مدخل

عرف العرب أشكالا تعبيرية مختلفة عبروا من خلالها عما يختلج في وجدانهم وانشغالاتهم المتعددة, عن طريق الشعر الذي يعد ديوانهم الذي حوا حياتهم وتاريخهم عبر مختلف العصور والى جانب هذا الفن الشعري عرفوا النثر الذي لا يقل أهميته عن نظيره الشعري. فعمدوا في ذلك إلى خطابات متعددة تحدثوا بواسطتها عن شتى انشغالاتهم الحياتية والفنية من ذلك: الخطابة الدينية والمحفلية,والرسائل الديوانية والاخوانية والمناظرات والمقامات والقصة والسير والتراجم.... وبذلك أنتجوا منظومة خطابية متعددة في أشكالها مختلفة في طبيعتها, متنوعة في آلياتها متباينة في أنظمتها وان كانت في النهاية تهدف إلى تأدية وظيفة أدبية وفكرية واجتماعية وقد عرفت هذه الخطابات تطورا لافتا عبر مسيرتها الأدبية والتاريخية فقد يطغو بعضها ويظهر في شكل لافت في عصره ويخبو بعضه إلى حين حسبما تستدعيه البيئة وحاجة المجتمع لذلك الفن

وهكذا عرف العصر الجاهلي الفنون النثرية منها الخطابة لكونها الواسطة المباشرة للتأثير على المتلقي وإحداث فعل التغيير في نفسه عبر الصورة الفنية التي يثيرها النص في المستمع وقد تحدث **الجاحظ** عن بلاغة العرب في جاهليتهم واستعانتهم بالخطابة لإيقاظ الحمية في النفوس والاستمرار في الدفاع عن قبائلهم فقال: **"كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام. وليس هناك معاناة ولا مكابدة. وإحالة فكر ولا استعانة . وإنما هو إلا أن يصرف وهمه إلى الكلام,والى رجز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو بعير أو عند المقارعة أو المناقلة.أو** عند صراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب والى العمود الذي إليه يقصد.فتأتيه المعاني إرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا" **(1)**
والى جانب الخطابة عرفوا فن المناظرات أو المنافرات والذي كان شائعا في ذلك العصر يعمد إليه المتناظرون من أجل تغيير الرأي المقابل وإقناعه بسداد رأيه.ورد حجته على نحو ما هو معروف في المناظرة التي قامت بين البحتري وأبي تمام
كما عرفوا الرسائل للتعبير عن حاجاتهم وأفكارهم وآرائهم ومراسلة شيوخ القبائل وفـــــــي هذا يوضح (زكي مبارك) في قوله: (وقد اهتم العرب في جاهليتهم بالنثر الفني اهتماما ظهر أثره, وعرفت خواصه في خطب الخطباء,ورسائل الكتاب ولكن ما عرف عن العرب من إهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فيهم أضاع علينا معرفة من اهتموا اهتماما جديا بتدوين البديع) **(2)**

---

(1) الجاحظ- البيان والتبيين- تحقيق: عبد السلام هارون- القاهرة - ط3 (د.ت) ص29
(2) زكي مبارك.النثر الفني في القرن 4هـ. منشورات المكتبة العصرية صيدا-بيروت (د-ط) (د-ت) ج1- ص65

كما استخدمت الرسائل في حياتهم اليومية وتوظيفها في شؤونهم السياسية والاجتماعية) ومن يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ.يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك.ويكد يلمس أن كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشؤون) (1)

وبمجيء الإسلام أصبح للنثر وجود متميز أضفى على الفنون النثرية آنذاك معان جديدة جعلتها اقرب إلى ما تدعو إليه تعاليم الدين الجديد, فانعكست بذلك خصائصه الفنية على تلك الأشكال النثرية التي عاصرته.ونما فن النثر واتسع نطاقه, وتعددت مجالاته وتطور تطورا سريعا لافتا وهذا على حساب الشعر خلافا لما كان عليه في العصر الجاهلي.وبفضل الحياة الجديدة التي أمت نهجا جديدا في الحياة وما يستدعيه قيام الدولة من لغة نثرية حضارية متطورة. تستند إلى العقل وتقوم على أسس منطقية. وقد توفر هذا في النثر عن طريق أشكاله المتنوعة من خطابة ورسالة ومناظرات....

وقد كانت الأحاديث النبوية مكملة لما جاء به القران الكريم شارحة لتعاليمه, حاملة أجمل وابلغ ما يمكن أن يمثله النثر آنذاك والى يومنا هذا.لما احتاجته الدعوة المحمدية من لغة نثرية حضارية تجاري مجريات الأحداث وتجوب البقاع لتنفذ إلى أعماق النفوس البشرية حاملة معها تعاليم الدين الجديد. وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده الكتابة وسخروها لخدمة شؤون حياتهم وتبشيرا لتعاليم الإسلام وكتابة الوحي وتدوينه(فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا يدونون ما يمليه عليهم وخص بعضهم بكتابة الوحي مثل عثمان وعلي فان غابا كتب أبي أبي بن كعب وزيد بن ثابت..) (2)
والرسائل في صدر الإسلام كثيرة بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شيوخ القبائل والملوك. ومنها رسالة إلى كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم, والنجاشي ملك الحبشة, والمقوقس حاكم مصر..

- والى جانب الرسائل عرف فن الخطابة تطورا كبيرا لمخاطبة الناس وحملهم على الصبر والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله . فكان هذا الفن رفيق الفتح الإسلامي والجهاد والدعوة المحمدية.

---

(1) ناصر الدين الأسد- مصادر الأدب الجاهلي وقيمتها التاريخية. دار المعارف- القاهرة ط5. 1978. ص71
(2) محمد يونس عبد العال- في النثر العربي- (قضايا وفنون ونصوص) الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان- ط1- 1996 ص175

أما عن النثر بصفة عامة في هذا العصر, فقد تخلص من غريب اللفظ ووحشه واتسم بالعفوية وبعده عن التكلف والسجع. مع مراعاة مقتضى الحال فكان متميزا في شكله ومحتواه.
وباتساع نطاق الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات التي امتدت شرقا وغربا كثرت دواوين الرسائل وقد ساعد على ذلك ظروف الحياة السياسية من فتنة وحروب الردة وقيام الأحزاب السياسية من شيعة وخوارج ومعتزلة,وكثرة القلائل فكان لا بد من اتساع نطاق النثر وخاصة الرسائل والخطابة للحث على الجهاد ومخاطبة المرتدين والثائرين. للتذكير بتعاليم الدين الحنيف. فالحاجة تتطلب مددا وفيرا وزخما كثيرا من الرسائل للمكاتبة والمراسلة. فكان انفتاح الدولة الإسلامية على ثقافات مختلفة أثره الايجابي في تطور الفنون النثرية واتساع مجالاته ليشمل نواحي عديدة من ميادين الحياة فكان التمازج بين الحضارات والثقافات وامتدادا للأفكار والمواضيع واستئناس بالحياة الأدبية الجديدة فنضجت الأشكال النثرية واكتسبت أبعادا جديدة فتعددت أشكالها واختلفت أنواعها وتجددت مضامينها تبعا لتطور الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية آنذاك. فظهر أدب الرسائل بأنواعه الديواني والاخواني والوعظي الإرشادي
" وتعد الديوانية من أهم ما احتفظت به المصادر وذلك لارتباطها بالأحداث السياسية وبالحروب والفتوحات واحتياج الرواة والإخباريين والمؤرخين إلى تدوينها وكان لكل حزب سياسي رسائله مثلما كان لكل منها خطبه وشعره ومناظراته وجدله وحجاجه التي تدافع عنه وتدفع تهم الخصوم. فللشيعة رسائلهم وكذلك الخوارج والأمويون والعباسيون وغيرهم" (1)
كما عرف هذا العصر-الأموي- فن المناظرة التي جرت بين الشيعة والخوارج والمعتزلة يسعى كل منهم إلى إعلاء وجهة نظر حول موضوع ما مدافعا عنه بشتى الوسائل وتوظيف أنجع الحجج والبراهين المنطقية للإطاحة برأي الآخر (فكانت تحدث بين أصحاب الأفكار المختلفة والمذاهب المتنازعة من المسلمين بين معتزلة وسنة وشيعة أو بين المسلمين وغير المسلمين فيما يتصل بالعقائد... ومعروف أن " إبراهيم النظام" كان يناظر غير المسلمين من أبناء الأديان الأخرى فيتغلب عليهم بما أوتي من قوة خارقة في فن الجدل حتى اسلم على يده أناس كثيرون. وكانت هذه المناظرات التي تتصل بالعقائد تلقى تشجيعا كبيرا من الخلفاء حتى أن المأمون كان يسمح للمتناظرين في حضرته أن يتكلموا في الديانات ويتناظرون بكل حرية وطمأنينة) (2)

---

(1) محمد يونس عبد العال – بديع الزمان الهمذاني- الدار المصرية اللبنانية . القاهرة ط1. 2003 ص14
(2) مصطفى الشكعة- بديع الزمان الهمذاني- الدار المصرية اللبنانية-القاهرة ط1. 2003 ص14

وقد ظهر في هذا العصر مجموعة من كتاب الفصاحة والبيان (كالحجاج وزياد بن أبيه وقطري بن الفجاءة والمختار الثقفي. وممن برز في تأصيل الفنون الكتابية من مثل: أبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك, والقاسم بن صبيح. وعبد الحميد الكاتب والذي يعد أول من أطنب في موضوع الكتابة وفصله وجعل من الترسل فنا قائما بذاته)

وقد حملت رسائل عبد الحميد ومن عاصره تأثيرات ثقافية أخرى كالفارسية. فكان ينقل عنهم ويترجم لهم فكانت الثقافات الأجنبية من يونانية وفارسية احد الروافد الأدبية إلى جانب الثقافة الإسلامية للمساهمة في نضج ثقافته.

كما نشطت الكتابة النثرية ونشطت معها حركة التأليف والتدوين والترجمة بعد العصر الأموي فاتسعت الدولة وعلا شأنها وكثرت الأعباء بكبر الملك وارتفع شان الكتاب وأصبحوا من ذوي المناصب العليا والهامة في الوزارة.

حيث اخذ الخلفاء يتحرون بالثقة والدقة في اختيار كتابهم وفي تولية المناصب الحساسة في الدولة. ويتم هذا بشروط خلقية. ولم يكن النثر في حقيقته إلا استجابة لدواعي تنظيم الدولة التي بدأت ترسم معالمها.

كما شهد هذا العصر فنونا نثرية من رسائل ومناظرات وخطب. إلى جانب فن المقامات.فابتداء من القرن (4هـ) أصبحت لفظة (مقامة) تطلق على لون من ألوان القص العربي باعتبارها فنا نثريا تتصل مواضيعها بحياة الناس وتصور المجتمعات شانها شان الفنون النثرية الأخرى.

وموضوعاتها متنوعة منها الوعظية والجدلية كما عالجت مواضيع نحوية ولغوية وفقهية وفلسفية أما موضوعها الرئيس والذي قامت عليه المقامة هو موضوع الكدية أو الشحاذة والغاية منه تعليم الناشئة فنون الكتابة والإنشاء في أبهى صورة أدبية بأنواع البيان والبديع والزخرف اللفظي.

ويمكننا القول أن المقامة كفن وضع تقاليدها وأسسها الفنية بديع الزمان الهمذاني بناءا على أحاديث ابن دريد التعليمية وتبعد في ذلك "الحريري" وقد تأثر كثير من الكتاب بمقامات البديع فمنهم من سار على نهجه ونسج على منواله. ومنهم من خرج عن حدود المألوف عن مقامات البديع واختفت من المقامة الكدية والشخصيات.

وفي هذه الأثناء كانت الأندلس على اتصال بما يجري في الساحة الأدبية بالمشرق ومسايرة لهذه الحركة وهذا عن طريق البعثات الموجهة إلى المشرق لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج. وقد عرفت الأندلس كغيرها من البلاد العربية فنونا شعرية ونثرية استقت من البيئة الأندلسية الصور الحية لطبيعة البلاد وما تتركه في النفس البشرية من سحر وجمال وفتنة لساكنيها فكانت هذه ذات اثر كبير في تلوين الأدب النثري بلون خاص

وتركت بصمتها الخاصة على الأشكال النثرية آنذاك (ولما كان أدب أي امة هو ابن بيئتها يتأثر بها ويؤثر فيها ويستمد عناصر نشأته ووجوده من طبيعة أرضها وأحداث تاريخها) (1)

فقد صور النثر الأندلسي في دقته وبراعته وجماله جوانب عديدة من الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية للمجتمع الأندلسي عبر العصور.

ولقد بدأ النثر الأدبي الأندلسي في القرون الأولى بسيطا ساذجا ضيق الأنحاء محدود المجالات وكان مقصورا على الخطب والرسائل. فكانت الخطابة مسايرة لحركة الفتح الأندلسي من ذلك خطبة (طارق بن زياد)

وما إن استقرت دعائم الدولة راح الخلفاء الأمويون إلى إنشاء المدارس والمكاتب وتشجيع العلماء والأدباء وجزل عطاءهم وبعثات يرسلون إلى المشرق للاستفادة والعلم...

واتسعت بذلك أبواب العلم والنثر وتنوعت أغراض الخطابة واكتسبت بعدا جديدا في ظل الخلافة الأموية . والى جانب الخطابة عرف الأندلسيون فن الترسل وتجلى هذا الفن في رسائل الأمراء والخلفاء والعمـــال والقواد وطــغى الديواني منـــــها على الأدبي الاخواني في العهود الأولـــــى: (وسرعان ما تبدلت الحال لما اتسعت آفاق والرقي تحت ظل الخلفاء. وفي رعاية ملوك الطوائف وجاب الرحالة الشرق وحملوا إلى بلادهم مؤلفات أشهر المتراسلين فيه وتعددت الدواوين وانتشرت مظاهر الحضارة في جميع وجوه المعيشة فأصبح الترسل فنا مستقلا يتعهده الأدباء كما يتعهدون الشعر. وكثرت أغراضه وتنوعت أساليبه وكان منه نوعان الديواني والأدبي) (2)

---

(1) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت- ط2 1976م ص07

(2) حنا الفاخوري – الموجز في الأدب العربي وتاريخه- (الأدب في الأندلس والمغرب أدب الانحطاط دار الجبل- بيروت- ط2 1991م ج3 ص 43

وبهذا بدا النثر في التوسع والتطور نحو الجدة شيئا فشيئا حتى بلغ ذروته في حدود نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس فكان ازدهار الأدب النثري فتعددت تبعا له طرق التعبير ونمت الأشكال النثرية السابقة. فاقبل الناس على هذه الفنون النثرية لمسايرتها للظروف السياسية من نشأة **دول ملوك الطوائف** وسقوط الخلافة الأموية في الأندلس وتشتت شمل الجماعة, وانهيار ذلك الصرح العظيم الذي عمل على تشييده عظماء من بني أمية طوال قرون. فقد نشأت تلك الدويلات تحت ضغط وحصار سياسي كبير وفتن داخلية: (وبانقضاء الخلائف قام الطوائف من أمراء ورؤساء البربر والعرب والموالي يقتسمون خطط البلاد ويبدؤون في تاريخ الأندلس عصرا جديدا هو عصر ملوك الطوائف) (1)

وقد ضمنت هذه الممالك أجناسا مختلفة من عرب وبربر وموالي الأمويين شكلوا الشخصية الأندلسية(فتقسمت الأندلس رقاعا صغارا من الدويلات عرفت باسم دويلات ملوك الطوائف من هؤلاء الملوك بنو جهور في قرطبة وبنو عباد في اشبيلية وبنو هود في سرقسطة وبنو ذي النون في طليطلة وبنو الأفطس في بطاليوس وأشهر هؤلاء وأعظمهم بنو عباد) (2)

وكان لنشوء هذه الدويلات اضطراب وانحدار سياسي في حين أهم ما ميز تلك الفترة من تاريخ الأندلس الصحة الثقافية والقوة الفكرية وكثرة الإنتاج الأدبي. فقد كان عصر سطوع للأدب ولم تنحصر الأشكال النثرية في بيئة واحدة كما هو معروف في العصور السابقة حيث كانت هذه الأشكال حكرا على عاصمة البلاد (قرطبة) المركز الأدبي دون سواها من الحواضر بل تعداها إلى حواضر أخرى أصبحت تضاهي وتنافس العاصمة (قرطبة كسرقسطة ,بلنيسة, اشبيلية, بطليوس, المرية..)

وفي هذا العهد نمت الأشكال النثرية المعهودة من العصور السابقة من رسائل بنوعيها الديواني والاخواني. ويقول في هذا (د/يوسف الطويل) : " وفي عصر ملوك الطوائف عرف النثر نوعين من الكتابة الديوانية والكتابة الإنشائية ولقد شملت هذه الكتابة الرسائل والمقامات . فالرسائل تعالج موضوعات الشعر وهي نوعان اخوانية وأدبية ومن ابرز الكتاب في هذا العصر الوزير ابن زيدون وابن خفاجة وابن برد الأصغر" (3)

---

(1) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- مرجع سابق ص 92
(2) عمر فروخ – (المنهاج في الأدب العربي وتاريخه) منشورات المكتبة المصرية ط1. 1959. ص 271
(3) يوسف الطويل – مدخل إلى الأدب الأندلسي – دار الفكر اللبناني ط1 1991 ص192

إلى جانب هذا الفن عرفوا فن المقامات عن طريق من رحلوا منهم إلى بلاد المشرق طلبا للعلم والمعرفة أو لأداء فريضة الحج. ثم عادوا إلى بلادهم محدثين بها.

وكما قام بعض الكتاب بمعارضتها وتقليدها (وكان أول المتذوقين لها الناسجين على منوالها بن شهيد وأكثر ما أعجبه فيها تلك القطع الوصفية ولذلك انشأ على منوالها قطعا في وصف البرغوث والثعلب والحلوى) (1)

وفي رسالته الخيالية (الزوابع والتوابع) يظهر مدى تأثره بالمقامة الابليسية للبديع ولعل هذا التشابه من بين الأسباب التي دفعت إلى عقد مقارنات بين مقامات البديع وكتابات ابن شهيد. وفي هذا يقـــــول(حازم عبد الله خضر):" وقد تتبعت العلاقة بين المقاصد البغدادية للبديع ومقامه ابن شهيد فوجدت بينهما علاقة واضحة مما يدل على معارضة أبي عامر للبديع فيها " (2)

ومن الكتاب الذين عارضوا مقامات البديع (أبو المغيرة وعبد الوهاب بن حزم, فقد عارض مقامه البديع في الغلام الذي خطب إليه ورده) بمقامة أخرى.

ولم يقف الأندلسيون عند حد المعارضة والشرح والرواية لمقامات البديع في المشرق بل تجاوزوه ومضوا في طريق الإبداع وحاولوا إنشاء مقامات خاصة بهم تميز الذات الأندلسية وتؤكد قدرتهم في مجال الكتابة

-والى جانب فن المقامات عرفوا المناظرات بأنواعها الحقيقية أو الواقعية ومثالها مناظرات ذات طابع فكري كمناظرة (ابن غرسيه) الشعوبية. ومناظرة (ابن الحزم) في فضل الأندلس. والخيالية والتي جرت على السنة الأدوات كمناظرة (ابن برد الأصغر) (بين السيف والقلم) وبين المباني كمناظرة (أبي جعفر بن احمد الداني) بين القصرين (المبارك) و(المكرم). وعلى السنة أصناف الزهور والنوار كمناظرة (ابن برد الأصغر) في تفضيله للورد على سائر الأزهار

ومناظـرة (أبو الوليد إسماعيل بن محمد) في تفضيلـه للبهـار ومناظـرة (ابن حسداي) فـي تفضيـله للنرجس

---

(1) إحسان عباس –تاريخ الأدب الأندلسي- (عصر الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع –بيروت-لبنان ط2.1971.ص303

(2) حازم عبد الله خضر- النثر الأندلسي- طبعة دار الرشيد للنشر-العراق(د.ط) 1981 ص 325

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نكون صورة عامة عن حالة النثر في هذه الفترة ولنا أن نتساءل عن هذه القوة الفكرية والصحة الثقافية التي شهدها النثر في ظل ظروف سياسية متدهورة وانعدام الأمن وكثرة الانقلابات فكان عصر الطوائف في الأندلس عصر ازدهار الأدب النثري واتساع مجالاته وتعدد أشكاله وتجدد مضامينه ليشمل كل مناحي التعبير وميادين الحياة من خلال الأشكال النثرية من رسائل ومقامات ومناظرات.

-وفي الفصل الموالي سنحاول أن نقف عند بعض الأشكال النثرية التي ميزت هذه الفترة قصد التعرف على تطورها وتجددها.

الفصل الأول

الأشكال النثرية وموضوعاتها

أولا: الرسائل

ثانيا: المناظرات

ثالثا: المقامات

الفصل الأوّل

الأشكال النثرية وموضوعاتها

أولا: الرسائل

ثانيا: المناظرات

ثالثا: المقامات

أولا: **الرسائل**:

أ- **الرسائل لغة:** مشتقة من رسل.والرسل(محركة) القطيع من كل شيء (1)

والجمع ارسال . والرسل, والإبل. فقال الأعشى: يسقى رضاهاتها قد أصبحت عزبا

زورا تجانف عنها القود والرسل (2)

وجاء في لسان العرب (أن الرسل قطيع من الإبل قدر عشر يرسل بعد قطيع) (3)

- ويقول في هذا الشأن (ابن وهب) محاولا تأصيل هذا المصطلح: (الترسل من ترسلت أترسل ترسلا, وانأ نترسل, كما يقال: توقفت بهم أتوقف توقفا وانأ نتوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل كما لا يقال تكسر إلا فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك أول مرة: أرسل يرسل إرسالا وهو مرسل والاسم: الرسالة أو راسل يراسل مراسلة وهو مراسل. وذلك كما هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق من ذلك انه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل. والرسالة من ذلك) (4)

ب- **الرسالة اصطلاحا**: الكلام المكتوب أو الملقى مشافهة يوجه إلى شخص أو جماعة من الناس يحمل في ثناياه فكرة أو رأي أو شعور أو أمر من أمور الناس السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية... ويرى الأستاذ (علي بن محمد) : (أن الترسل ينحصر في المفهوم التقليدي للرسالة القصيرة التي توجه الى مراسل بعينه. لا بلاغة ضربا من ضروب المضامين النثرية أو لقضاء أي ارب ظرفي آخر بواسطتها من أمثال: التهاني والتعازي والشفاعات والأمر والنهي) (5)

---

(1)الفيروز أبادي. القاموس المحيط. دار الكتاب العربي(د.ت) مادة (ر س ل)

(2) الأعشى. الديوان . دار بيروت للطباعة والنشر. 1980 ص 146

(3) ابن منظور. لسان العرب.دار صادر بيروت (د.ت) مادة (ر س ل)

(4) ابن وهب.البرهان في وجوه البيان. تحقيق. حنفي شرف. القاهرة مطبعة الرسالة 1969 ص152

(5) علي بم محمد. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(مضامينه وأشكاله) دار الغرب الإسلامي . بيروت. لبنان ط1 1990 ج2 ص481

والرسالة قسمان من حيث الغاية: فكري وبياني:

- **القسم الفكري**: وغايته محاكمة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات دون التفات كبير إلى أسلوب بياني معين ومن هذا النوع رسائل ابن باجة الفلسفية ورسالة الحدائق لابن السيد البطليوسي ورسالته المسماة " الانتصار" التي رد فيها على ابن العربي الفقيه حين تعقب أخطاءه في شرح سقط الزند. ومنها رسائل ابن حزم في الردود على مخالفيه. ورسالة ابن الأرقم رد فيها على ما انتقده ابن سيدة.
- **وقسم بياني**: المنزع أي الغاية الأولى منه إظهار البراعة الأسلوبية أو قل إن الاستقلال بالأسلوب فيه واضح المعالم. وقد يجمع القسمان معا **(1)**

ويمكننا أن نقسم الرسائل إلى: ديوانية وأدبية اخوانية.

1- الديوانية: وتعني بشؤون الدولة وأحوالها السياسية وتتمثل في الخطابات المتبادلة بين الحكام والولاة في مختلف المناسبات كالمكاتبات والعهود وتكتسي طابعا ديوانيا وصنعة رسمية.(وهي التي تكتب في شؤون الدولة كإرشاد من الخليفة أو الملك إلى وال من الولاة أو توجيه إلى حاكم أو وصف لموقعه أو تهديد إلى خارج الدولة وترجع إلى هذه الوسائل قيمة تاريخية إلى أنها تسجل الأحداث التاريخية والمواقع الحربية وأسماء الحكام والقواد كما تصور ألوان الحياة السياسية ومن هنا نعتبر هذا النوع من الرسائل وكأنه وثائق تاريخية قديمة) **(2)**

- والرسائل الديوانية تسمى أحيانا الرسمية الإدارية وتصدر عن دواوين الحكام وتعني بأمور الدولة ولذا يحرص على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصبغة الرسمية ومن هذا النوع العهود والتقاليد والمناشير والفتوحات وانتقال الخلافة والتلقيب والتنويه والاحماد والانصام والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد **(3)**
- وهذا النوع من الرسائل يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والأمراء ويختلف أسلوبها باختلاف غرضها. **(4)**

---

(1) إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة.نشر وتوزيع بيروت ط1. 1962 ص287-288
(2) مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. دار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1. 2003 ص 77
(3)محمد يونس عبد العال . في النثر العربي (قضايا وفنون ونصوص) الشركة المصرية للنشر- لونجمان ط1,1996. ص162
(4) أنيس المقدسي. تطور الأساليب النثرية في الوطن العربي . دار المعلم للملايين ط8. 1989 ص 218

- وتسمى السلطانية (وهي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه بل والى أعداءه أحيانا مقدرا ومتوعدا) (1)

ويعرفها محمد عبد الغني الشيخ فيقول" ونعني بها كل المراسلات والمخاطبات وغيرها من ضروب الإنشاء ذات الطابع الرسمي التي تدخل ضمن ترتيب الحكم وضبط شؤون الإدارة ومراسلة الأطراف المتعامل معها داخل البلاد وخارجها ذات الطابع السياسي .

وقد تكون صادرة عن شخص واحد وقد يكون واليا أو قاضيا أو أميرا وتعني بأمور الدولة السياسية وتتضمن العهود والتقاليد وانتقال الخلافة الفتوحات والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد. وما إلى ذلك من الموضوعات ذات طابع رسمي إداري" (2)

- وعليه فالرسائل الديوانية ترمي إلى ضبط العلاقات ووضع الترتيبات الإدارية وقد أورد الفلقشندي ما تهدف إليه هذه الرسائل في قوله: " تهتم بمصالح الأمة وقوام الرعية" (3)

الأدبية : (وتتصل هذه الرسائل بالأخلاق وسلوك الناس والسياسة والحكم والأمثال وتدور حول وصف الطبيعة والسيف والقلم والرحلات والشعوبية وحث الحكام على توجيه الكلمة وحث الشعب على مقاتلة العدو والشكوى ونقد الحكم وتصوير المجتمع الأندلسي وتصوير سقوط المدن الأندلسية بأيدي العدو والتفاخر والمباهاة والشاذة بالأندلس والفلسفة والعلم الإلهي...(4)

وتصور حياة الأفراد وسلوكاتهم المعيشية ويعرفها(حنا الفاخوري) " أما الترسل الأدبي فقد انصرف إلى جميع الكتاب واحتوى على الاخوانيات بأصنافها والمناظرات والمناقشات والمقدمات والقصص الخيالية والمقامات وكان من إغراضه الاعتذار والشوق والمدح والهجاء والعتاب والرثاء والشكوى والاستعطاف والوصف والاستهزاء والمناظرات بين السيف والقلم وأصناف الزهور والحيوان وما إلى ذلك...) (5)

الأخوانية: (وهي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء وهذا النوع من الرسائل ميدان فسيح للإبداع يتباري فيه الكتاب والأدباء وتتيح لأقلامهم وقرائحهم أن تنطلق على سبحيتها وان يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وأساليب قوية موشاة) (6)

---

(1) عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. المرجع السابق ص 448
(2) محمد عبد الغني الشيخ
(3) القلقشندي.صبح الأعشى في صناعة الأنشا. المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة. (دت) (د.ط) ج1 ص 37
(4) د/يوسف الطويل . مدخل إلى الأدب الأندلسي. دار الفكر اللبناني. بيروت. ط1 1991 ص 206
(5) د/ حنا الفاخوري- في الأدب العربي وتاريخه. دار الجبل. بيروت ط2 1991 ص 43
(6) د/ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص 454

- وهذا النوع من الخطابات يسمى الشخصي (الذي يتبادله الأصدقاء أو الناس عامة وهو الأقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظية والأسلوبية ومن موضوعاته: الشكر والتشوف والعتاب والتهنئة والشكوى والمدح والهجاء والاستماحة والاستعطاف والاعتذار والاستبطاء والشفاعة والعبادة والتعزية والوصف والدعابة ويمكن أن نلحق به الرسائل الوعظية والرسائل الدينية والجدلية) (1)

- ولهذا الصنف من الرسائل أغراض شتى أوصلها صاحب كتاب (صبح الأعشى) إلى سبعة عشـــر غرضــــا أو نوعا: (التهاني,التعازي,التهادي والشفاعات,التشوق,الاستزارة واختطاب المودة وخطبة النساء والاستعطاف والاعتذار والشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة) (2)

- بمعنى أن الرســـائل الاخوانية أنواع شتى تتنــــوع بحسب الموضوعــــات التي تعالجـها (وهي أكثر شمولا من الرسائل الديوانية من حيث تنوع الموضوعات وتعالج هموم العصر وتدور حول الايخاء الصداقة الحقة والدعوة إلى زيارة أو حفلة أو العتاب والشكر والشكوى والتهكم والذم والهزل والجد والنقد والشفاعة والاستعطاف والاعتذار والتهنئة والتعزية والشوق إلى لقاء أو إظهار البراعـــة الأسلوبية وأصبحت تشبـــه إلى حـــد كبير الرسائل الأدبية فـــي طولها) (3)

أ- **<u>الرسائل الديوانية</u>**: هي تلك الخطابات التي تنشا بين ملوك الطوائف في بلاد الأندلس . وتكتسب طابعا سياسي وتشمل المبادلات السياسية والإعلامية والودية (الاخوانية) والخارجية.

- وإذا احتكمنا إلى الجو العام الذي اكتنف هذه الفترة التاريخية من حكم العرب الأندلس وما ساده من فتنة وحروب ونزاعات حول السلطة وقيام دويلات ملوك الطوائف في الأندلس. نجد أن هؤلاء الملوك الذين حكموا البلاد في هذه الحقبة حاولوا إنشاء خطابات سياسية فيما بينهم من شانها أن تقوي ممالكهم وتجعلها قادرة على الصمود والتحدي أمام الأطماع الداخلية والخارجية. والسعي لتوسيع رقعتها الجغرافية وهذا عن طريق التحالف وعقد معاهدات واتفاقيات بين ملوك البلاد في إطار تقوية الصداقة وتوسيع النفوذ وضمان البقاء على ذلك المستوى وكسب الحلفاء وتبادل المعلومات الحربية منها والعلمية. ومن الخطابات السياسية ما جاء مشتملا على تعاليم الحكام والأمراء لرعيتهم وللعمال على جميع النواحي

---

(1) د/ محمد يونس عبد العال . في النثر العربي . الشركة المصرية العالمية للنشر . اونجمان . ط1 1996
(2) د/ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. المرجع السابق ص 454
(3) د/يوسف الطويل . مدخل إلى الأدب الأندلسي. المرجع السابق ص 202

والمقاطعات متضمنة أوامرهم وتوجيهاتهم. حاملة تعاليمهم وتهديداتهم وهذا لردع المتمردين في أقاليم البلاد وتحذيرهم من خطر الاستمرار في عصيانهم. ودعوتهم لتأييدهم. وإقناع الحكام أخيرا بعدم جدوى الحلول العسكرية واستعمال القوة, وضرورة اللجوء إلى الخطابات السلمية, الغرض منها إغراء المتمردين وتقريبهم منهم والعمل على كسب ثقتهم والحث على التزام كلمة واحدة لإعلاء شان الإسلام في البلاد الأندلسية والتصدي للأطماع الخارجية.

- ولقد عرفت الرسالة الديوانية في عصر ملوك الطوائف أغراضا عديدة استطاعت من خلالها أن تعكس الجانب الديواني من الحياة السياسية في تلك الحقبة والذي اكتسب طابعا رسميا صادرا عن الحكام والأمراء وملوك البلاد حاملا أوامرهم وتوجيهاتهم وتعاليمهم من تولية وعزل وتبليغ واستغاثة وزجر وتهديد الثائرين...

<u>1-رسائل التولية والعزل</u>: كانت تصدر للوزراء والقضاة والولاة. وتعني بشؤون التنظيم الداخلي للبلاد. والذي تقتضيه سياستها وإدارة شؤون الرعية. وتنظيم مرافقها المختلفة.

- ومن الرسائل الديوانية الحاملة لمعنى التولية. رسالة(المتوكل بن الاغطس) في تعيينه لوزيره(ابن خيرة) نائبا على مدينة(اشبولة) يقول في بعض أجزائها:"...وقد وليت عليكم من لم اثر-والله-فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب. ولا فرائض التخصيص على لوازم التمحيص. وهو الوزير القائد أبو عبد الله ابن خيرة ابن دوبة وبعض صحبه...وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية مـا التزم الاستيفاء بعده والوقوف بحـدة عند حده." (1)

- ومن هذا القبيل رسالة."أبو عبد الرحمن بن طاهر" في تولية احد الرجال على بعض المقاطعات يقول فيها" قلدت فلانا للنظر في أحكام فلانة وتخيرته لها بعدما خيرته واستخلفته,وقد عرفته واثقا بدينه راجيا لتحصينه, لأنه إن احتاط سلم وان أضاع الم, فليق الحق على أركانه وليصنع العدل في ميزانه, وليساو بين خصومه, وليأخذ من الظالم لمظلومه, وليقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير الممضي من شهاداته..." (2)

---

(1) ابن خاقان. قلائد العقبان. تحقيق سماحة الشيخ الطاهر بن عاشور.الدار التونسية للنشر. 1990 ص46
(2) العماد الأصفاهي. جريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق. آذارتاش وآذار بوش. الدار التونسية 1974 ق4/ج2 ص322

- ومن الرسائل المبايعة نورد رسالة(لابن برد الأصغر) جاء فيها " بايع الإمام عبد الله فلان بانشراح صدر وطيب نفس وفصاحة جيب وسلامة غيب.بيعة رضا واختيار. لا بيعة إكراه وإجبار على السمع والطاعة والمؤازرة والنصر والوفاء والنصيحة, في السر والعلانية والجهر والنية والعمل على موالاة من والاه, ومعاداة من عاداه من بعيد وقريب وغريب ونسيب, ويقسم على الوفاء به والقيام بشروط بيعته بالذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والقائم على كل نفس بما كسبت ويعطيه على كل ذمة الله وذمة محمد رسوله وذمة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وعباد الله الصالحين. ومتى خلعت ربقة بختر أو عذر, أو طوبت كشحا على نكث أو حنث, فعليك المشي إلى بيت الله الحرام ببطحاء مكة من مستقرك ثلاثين حجة نذرا واجبا لا يقبل الله تعالى إلا الوفاء به. وكل زوجة له مهيرة أو تنكرها إلى ثلاثين سنة فطالق تحتك طلاق الحرج ثلاثا وكل امة أو عبد لك أو تملكه فأحرار لوجه الله العظيم, وكل مال لك من صامت أو ناطق أو تملكه إلى ثلاثين سنة فير عشرة دنانير أو قدرها فصدقة من الفقراء والمساكين قد برئ الله تعالى منك ورسوله وملائكته والله بجميع ما انعقد في هذه البيعة شهيد وكفى بالله شهيدا وعلى الأعمال والنيات مشيبا.) (1)

- وفي مقابل مفهوم التولية نجد العزل ومن أمثلة رسائل العزل رسالة كتبها (المتوكل بن الأفطس) في عزل وزيره (أبي الوليد الحضري) حيث يقول: " ولما رأيت الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع أشفقت من التلف وعدلت إلى ما يعقبنا-إن شاء الله- بالخلق وأقبلت استدفع مواقع انسي. وأشاهد ما ضيعته نفسي. فلم أر إلا لججا قد تورطها وغمرات قد توسطتها فشمرت على الساق للجتها. وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي أدخلني رأيك ووطئك الساحل الذي كاد يحول بيني وبينه فعلك فنفسك لم وبسوء صنيعها المم واعتصم وان متت بجميل اعتقاد ومحض وداد فانا مقر بذكره معترف بقله وكثره لكنك كنت كالمثل السائر:"شوي أخوك حتى إذا انضج رمدا " حتى أطمعت في العدو ولست لأهل حضرتي الاستكبار والعتو واستهنت بجيرانك وتوهمت ان المروءة التزام زهوك وتعظيم شانك حتى أخرجت النفوس علي وعليك فانجذب مكروه ذلك إليك ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظ الحاشية وإكرام الغاشية." (2)

---

(1) ابن بسام. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق د/إحسان عباس. الدار البيضاء للكتاب-ليبيا-1978 ق1/م1 ص 498
(2) المصدر نفسه. ق2/م2. ص646-667.

هذه المقاطع من الرسائل الأندلسية تعد نموذجا للجانب الديواني للترسل الأندلسي الحاملة لغرض التولية والتنصيب والعزل. أدرجت على سبيل المثال لا الحصر. حيث يبنى خطابها على نوع من الخطط السياسية التي يرغب فيها الحاكم وذلك لترسيخها أو تثبيتها في حكمه على شكل أمر منه وتلقى على المحكومين دون مناقشتها والتسليم بها من تولية وعزل ونقل وتنصيب . وتنبني هذه الرسائل على أوامر كونها صادرة عن ذات عليا حاكمة نحو ذات دنيا محكومة فهذا النوع من الرسائل يعكس الجو العام السياسي الذي يمارس فيه الحاكم سلطته ونفوذه عن طريق توجيهات وتعليمات إلى الرعية

كما تنطوي رسالة التولية على نوع من المدح والثناء السياسي الصادر من الحاكم إلى احد وزراءه أو قضاته أو ممن تربطه بهم قرابة معينة من حسن السيرة وسلامة العقيدة ونبل الأخلاق والخضوع للتجريب.

فمن ذلك ما نجده في الخطابات السابقة من عبارات الثناء قول(المتوكل بن الاقطس) في شان(ابن خيرة:" لم ارثر-والله- فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب زلا فرائض التخصيص على لوازم التمحيص") **(1)**

- ومثله ما نجده في خطاب (أبو عبد الرحمن بن طاهر) حيث يقول:"...وتخيرته لها بعدما خبرته واستخلفته" **(2)**
- وكذلك في مبايعة(ابن برد) :"...بانشراح صدر وطيب نفس وفصاحة جيب وسلامة خيب.بيعة رضا واختيار لا بيعة إكراه وإجبار" **(3)**
- كما عكست رسائل التولية التشديد على الجانب الديني واشتراطه واعتباره من الضروريات خوفا من الغدر والخيانة والإخلال بالوعد ونقض العهد في مرحلة حرجة من تاريخ الأندلس شهدت فيه البلاد فتن واضطرابات وانقلابات داخلية وأطماع خارجية. وتمرد على السلطة المركزية في البلاد فاتسعت بذلك أطماع الراغبين في نيل المناصب العليا في الحكم فكان التمسك بالدين وسلامة العقيدة مشروطا في تولية المناصب الهامة في الدولة . ويظهر هذا في الخطاب (ابن طاهر) حيث يقول:" وقد عرفته واثقا بدينه, راجيا لتحصينه"

ونلمس هذا كذلك في خطاب(ابن برد) في قوله:" ويقسم... بالذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والقائم على كل نفس بما كسبت ويعطيه على كل ذمة الله وذمة محمد رسوله وذمة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين عباد الله الصالحين"

---

(1)ابن خاقان. قلائد العقيان. مصدر سابق ص46
(2)العماد الأصفهاني.جريدة القصر وجريدة العصر. مصدر سابق. ق4/ج2 ص322
(3) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص667

كما جسدت رسائل التولية الخطط السياسية التي يرغب الحاكم في تطبيقها وتثبيتها وهذه السياسة نلمسها في خطاب(المتوكل بن الأقطس) حيث يقول:(وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بحده عند حده) (1)

ومثله ما نجده في خطاب(ابن الطاهر) قوله(فليقم الحق على أركانه وليضع العدل في ميزانه وليساو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومـــــه, وليقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير الممضي من شهاداته) (2)

وفي خطاب (ابن لرد) قوله(على السمع والطاعة والمؤازرة والنصر والوفاء والنصيحة في السر والعلانية والنية والعمل على موالاة من والاه ومعاداة من عاداه من بعيد وقريب ونسيب) (3)

- ويمكننا أن نعد رسائل التولية أو العزل نوعا من أنواع التبليغ السياسي يعمد الكاتب فيه إلى استعمال الأسلوب الإخباري الذي من شانه أن يرسم صورة واضحة للكيفية التي تمت فيها التولية أو المبايعة والواضح أنها تمت في العلن والجهر بها بين الناس. فمن ذلك نجد ما نجده في خطاب "المتوكل":" وقد وليت عليكم..." . وفي خطاب ابن طاهر جاء على هذا الشكل :" قلدت فلانا النظر في أحكام فلانة" وفي خطاب ابن برد:"بايع الإمام عبد الله فلان..."

<u>2- رسائل الزجر والتهديد:</u> وهي رسائل تصدر عن ديوان الحكام للثائر على الحكم والخارجين عن القوانين في ومن عمته الفتن والاضطرابات السياسية والثورات على السلطة المركزية والتمرد على الحكام فكثرت بذلك المطامع والمطامح والسعي لإرضاء الرغبات من تولية المناصب وتوسيع النفوذ والظفر باسمي الألقاب والرتب. ولقد أدرك ملوك الطوائف حجم الخطر الذي يهدد وحدة البلاد استنادا للأطماع الشخصية. فسارعوا بذلك إلى مخاطبة الثائرين ومحاولة كسبهم بطرق سلمية بعدم جدوى الحلول العسكرية فخاطبوا من كان له قوة التأثير فيهم سعيا منهم لاستمالتهم وإغرائهم وترجيح الكفة لصالحهم وابتعادهم عن الفتن ومسببيها, وضرورة التزام صف واحد وكلمة واحدة لصالح البلاد.

ومن أمثلة هذه الخطابات ما كتبه (ابن برد) على لسان احد الأمراء إلى بعض الثائرين والمتمردين جاء فيه: (لقد أن نوقضوا سواهي العقول, وان ترحوا عوازب الأحكام فتسلموا السخائم وتغمدوا الصوارم وتعيدوا السهام في كنائنها ... فكم صال بناركم ولم يشرككم في قدحها وشقي بفتنتكم, ولم يغمس معكم يدا فيها. وموفور سعيكم لذهاب وفره.ومستور أعنتم على اكتشاف ستره... أما والله لتجزعن الخطباء ولتقرعن على الأسنان ولتحاولن الأوبة ولا مآب لكم والتوبة ولا قبـــــول منكم.) (4)

---

(1)ابن خاقان. قلائد العقبان. مصدر سابق ص46
(2) العماد الأصفهاني.جريدة القصر وجريدة العصر. مصدر سابق. ق4/ج2 ص322
(3) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص667
(4) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص489-498

- ومن هذا النوع من الخطابات ما كتبه (ابن برد الأكبر) على لسان (المظفر بن عامر) إلى احد المتمردين على الدولة وهو (هذيل بن رزين) جاء فيه:" أما بعد آتاك الله رشدك واجزل من توفيقه قسطك فان الله تعالى خلق الخلق غنيا عنهم وأنساهم بمهل غير مهمل بل ليحصي آثارهم وليبلوا أخبارهم,وجعلهم اخياف متباينين وأطوارا مختلفين فمنهم المخلص بالطاعة ومنهم المبتلي بالمعصية وبين الفريقين أقواما خلطوا عملا صالحا وأخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ولو شاء الله لكان الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم . والسعيد من خاف ربه. وعرف ذنبه وبادر بالتوبة قبل فوتها واستعصى الرحمة قبل منعها." (1)

ثم يذكره بماضيه تحت ظل **الملك المظفر** لينتهي إلى محاولة الصلح بينهما وجعل المظفر في صوره أمير المؤمنين العادل وصاحب الصدر الواسع وان هذا الخلاف الذي دار بينه وبين الملك المظفر أمر طبيعي يحصل بين الملك ووزرائه في أمور السياسة. وأبواب الملك لا تزال مفتوحة لتنتظر رجوعه وعودته إلى مملكة المظفر فيقول:" ولن تضيق بك السبل إلى حسن رأيه سهل. ولا يذهب بك النجاح إلى اللجاج إلى نار الدنيا ونار الآخرة إياك ومصارع الناكثين وحذار موارط الغادرين" (2)

ولابن برد رسالة اخرى على لسان من كان يكتب له من العامريين والخطاب موجه لقوم طلبوا الامان من مولاه وهذا في زمن اشتدت فيه الفتن وكثرت التمردات على السلطة وسادت فيه الفوضى وانفلتت زمام الامور من القادة والحكام جاء فيها :" اما بعد فانكم سالتم الامان او ان تلمظت السيوف اليكم وحامت المنايا اليكم وهمت حظائر الخذلان ان تفرج لنا عنكم وايدي العصيان ان تتحفنا بكم ولو كلنا بصاعكم , ولم نرع فيكم ذمة اصطناعكم لضاق عنكم ملبس الغفران ولم ينسدل عليكم وذوي اسنانكم المعاصين لكم ممن يهاب وسم الخلعان ويخاف سطو السلطان وانهم لا يراسلونكم في ميدان معصية ولا يزاحمونكم منهل حيرة ولا بما شونكم الى موقف وداع نعمة. ولولا تحرجنا ان نقطع اعضاءكم بكم ورجاؤنا ان يكون العفو على المقدرة تاديبا لكم لشريت دماءكم سباع الكماة واكلت لحومكم ضباع الفلاة. وقد اعطيناكم بتاميننا اياكم عهد الله تعالى وذمته ونحن لا نخفرهما ايام حياتنا الا ان تكون لكم كرة وغدرتكم غرة. فيومئذ لا اعذار لكم. ولا اقصار عنكم حتى تحصدم ضباة السيوف وتقضي ديون أنفسكم غرماء الحتوف" (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1. ص109
(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص109
(3)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 500-501

تندرج هذه الرسائل بشكل عام في إطار الخطابات السياسية الصادرة عن ديوان الحكام والأمراء إلى الفئة المتمردة والثائرة في مقاطعات البلاد وذلك لمخاطبتهم وردعهم والحث على إطفاء نار الفتنة المتفشية في البلاد والتذكير بضحايا تلك الفتن وويلاتها. مثلما جاء في خطاب (ابن برد) حين بدا خطابه بالتذكير بضرورة إطفاء نار الفتن والتذكير بالنفوس البشرية التي راحت ضحية لهذا النزاع والأطماع الشخصية دون اعتبار للأرواح البشرية. ولقد عبر المؤرخ (ابن حيان) عما أصاب البلاد الأندلسية من تشتت وتفرق إبان هذه الفتنة بقوله: " وأنشأتني المدة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة المفرقة للجماعة الهادمة للملكة المؤصلة المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية ففاضت أهوالها تعاضلها. وأوهلني عن تقييدها ووهمني أن لا مخلص منها فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها..." **(1)**

- ومن الخطابات الموجهة إلى الثائرين والمتمردين في البلاد ما كتبه (ابن برد الأكبر) على لسان (المظفر بن أبي عامر) إلى (هذيل بن رزين) وما كتبه (ابن برد) إلى الثائرين في البلاد. والذي بدأه بطلب الثائرين عهد امان من الأمير مولاه والذي لم يذكر اسمه ولا اسم ولا أصل هؤلاء الثوار المتمردين. ثم يذكر بقدرة هذا الحاكم على الصفح والمسامحة والغفران ووضعه عهد أمان مع هذه الفئة المتمردة على الرغم من نفوذه وسلطته
- وما يظهر في هذا الخطاب ان الثوار هم السابقون لوضع هذا العهد وطلب الأمان والخضوع لهذا الحاكم ولجوءهم إلى حمايته ونلمس هذا في قوله:" فأنكم سألتم الأمان..." **(2)** . وفي مثل هذه الحالة نجد أن الملوك يأخذون بأيدي هذه الفئة المتمردة ومجاراتهم وذلك لإطفاء نار الفتنة والقضاء نهائيا على القلاقل المسببة لها. وهذا في قوله:" ولو كلنا لكم بصاعكم,ولم نرع فيكم ذمة اصطناعكم ولضاق عنكم ملبس الغفران" **(3)**
- كما ينبني أسلوب هذه الخطابات على الوعظ والإرشاد والتهديد والوعيد الذي من شانه أن يوقظ الهمم ويغري الثائرين في مقاطعات البلاد مثلما نلاحظه في خطاب(ابن برد) حين يقول:" وقد أعطيناكم بتأميننا عهد الله تعالى وذمته ونحن لا نخفرهما أيام حياتنا إلا أن تكون لكم كرة ولغدرتكم ضرة فيومئذ لا أعذار لكم ولا أقصار عنكم حتى تحصدكم ضباة السيوف وتقضي ديون أنفسكم غرماء الحتوف" **(4)**
- وعلى أسلوب التهديد والوعيد جاء خطاب أخر (لابن برد) يقول فيه: " أما والله لتجزعن الخطباء ولتقرعن الأسنان ولتحاولن الآوية ولا مآب لكم والتوبة ولا قبول لكم" **(5)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص87
(2) المصدر نفسه. ق1/م1. ص500
(3) المصدر نفسه. ق1/م1. ص501
(4) المصدر نفسه. ق1/م1. ص500
(5) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص498

- وتعتمد هذه الخطابات على الأسلوب الإخباري الذي من شانه أن يقر حقائق واقعية متعلقة بالفتنة واعتمادها على ضمير المخاطب الجمع:(سألتم.إليكم-.عنكم-.بكم-.لكم-.فيكم-.بصاعكم-.اصطناعكم....)الدال على هذه الفئة المتمردة إلى جانب الضمير المتكلم الجمع(نحن) الدال على الحاكم أو الملك (**كلنا-لم نرع- أعطيناكم –نحن -تأميننا -حياتنا.)**

3-<u>رسائل التبليغ</u>: وتدخل هذه الرسائل ضمن المبادلات السياسية وتشمل تبادل المعلومات والأخبار سواء كانت علمية أو حربية وهي إحدى الطرق الهامة التي تقوي العلاقات بين دول ملوك الطوائف ومن شانها أن تنمي الثقة بينهما. ونورد في هذا النوع من المبادلات. تبادل المعلومات الحربية. رسالة بعث بها **المعتمد بن عباد** إلى **ابن صمادح** أمير **"المرية"** جاء فيها: " إنما أشاركك-أيدك الله-في النعمة- باسوغها وأطالعك في الهمة بابلغها وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين فرسان من الجند-نصرهم الله تناوش اطمع فيهم-ودل بأنه قد سقط في أيديهم-ثم وصبحوا يوم كذا بالحرب وكوفحوا إلى آخرة بالغرب بالطعن والضرب وانصرفوا والانجحاز. واحتجزوا بالجدران والأسوار..." **(1)**

وهي رسالة طويلة أوردها صاحب (الذخيرة) اقتطفنا منها هذا الجزء لما يدل عليه من رغبة المعتمد بن عباد في تبليغ (لبن صمادخ) بانتصار جيوشه على أعدائهم النصارى في معركة (لييط) ومشاركته لذة هذا النصر ومتعته.

ومن هذا القبيل رسالة (أبو مروان بن حيان) خاطب بها (ابن عباد) يبلغه فيها بانتصاره على (ابن ذي النون) فيقول:" لو أن فتحا اعتلى على تهنئة ممنوحة بارتفاع قدر أو جلالته صنع أو فرط انتقام مستأصل او تنزل حكم من الرحمن فاصل لكان فتحه هذا لك على عدو اسود الكبد, مظاهر البغي على الحسد طال والله ما استحييته لا من خجل. وتنكبته لا عن وهل,فأبى له رأيه القائل وجده العاثر وحينه المجلوب وحزبه المكبوب إلا اكتساب العار ومماتنة محصد الأقدار مجمع الجيش ذا الألوف ويجشم الشقة العنوف, ثم لا يتبرأ العدو العائظ له إلا التسلط على ضعفاء رعيته بإفساد لأقواتهم ونيله من دماء المحاويج منهم إلى التقاط نسبهم فكم نال مساقه الذين أرسلهم عليهم من دم أرملة غرثى ويتيمة كفرخ الحيارى إلى من أصيب فوقهم مـن عاجز سبيــل" **(2)**

---

(1) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص262
(2)

- تقوم هذه الخطابات على نوع من التبليغ بالنصر على العدو سواء كان داخلي ويشمل أي دولة من دول الطوائف, فقد كانت تتناحر وتتنافس فيما بينها, أو خارجي ويتمثل في العدو المسيحي وتبشير ملوك الطوائف ورعاياهم. بهذه الانتصارات.

- وقد أكدت هذه الخطابات نية التحالف والتالف التي كانت بين ملوك الطوائف في ذلك الوقت ومحاولة إشراك الطرف الثاني لذة النصر ومتعته وسرد وقائع ما حدث بين المسلمين والنصارى أو بين المسلمين فيما بينهم مثلما نلمسه في رسالة (أبو مروان بن حيان) والتي خاطب بها (ابن عباد) يبلغه فيها بانتصاره على (ابن ذي النون) وهي رسالة تعكس ظاهرة التنافس والتناحر الذي شهدته تلك الدويلات في ذلك العهد.

- ومن المعارك التي جرت بين المسلمين والنصارى ما نجده في رسالة (المعتمد بن عباد) (لابن صمادح) أين لظهر فيها تعاونه وتحالفه مع أمير المرية (ابن صمادح) وهذا من خلال قولـــــــه:" إنما أشاركك-أيدك الله-في النعمة باسوغها...) **(1)** والخطاب في هذه الرسالة حضوري موجه من الملك ابن عباد لابن صمادح باستعمال ضمير المخاطب (أنت) وجاء بصيغة الحاضر مثل: (أشاركك,أطالعك...) كما اشتملت الرسالة على الأسلوب الإخباري وذلك من خلال عرض وقائع المعركة.

- كما ينبني الخطاب في هذه الرسالة على نوع من الحوار وتداول الكتابة فالرسالة الأولى والتي بعث بها **المعتمد بن عباد لابن صمادح** تولد بدورها رسالة جوابية يبعث بها (ابن صمادح) ومن بعض ما جاء في جوابه قوله:" الحمد لله تعالى ما منح متعين , وموضع الضراعة إليه في الازدياد ظاهر بين على ما أولي من نعم أظهرت الإسلام بعد خمول والشكر له على قسم أعزت الدين وقد كان جد ذليل..." **(2)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص 262

(2)المصدر نفسه. ق2/م1. ص264

4-**رسائل الاستغاثة**:عرف عصر ملوك الطوائف فتن متفشية في جميع أنحاء البلاد.وتوارت على السلطة. وتمردات من قبل الثائرين على الحكم السائد آنذاك. وكثرت المطامع الشخصية. فادى هذا الحكم البلاد اللجوء إلى الحل العسكري لكنهم في الأخير أدركوا عقمه. فما كان عليهم إلا إرسال بلاغات وخطابات إلى حكام افريقية للاستغاثة بهم.

- ومن قبيل الخطابات الموجهة إلى حكام افريقية رسالة بحث بها **المعتمد بن عباد** إلى أمير افريقية في المهدية, محاولة منه التعاقد والتحالف ذد الخطر الصليبي. وذلك بإرسال مجموعة من خيرة رجاله لمساعدة **المعتمد بن عباد** فيقول:" إنني- أيدك الله- على ما بيننا من لجج خضر, وفياف عبر لمستكثر من إخائك, مستظهر بوفائك... والله انه ما أملي الأبعد وعملي الأحمد إلا أن يؤم أفقك الطلق... يعلم من خواص النبلاء والأعيان الفضلاء من يبلغك كتابي وينوب في إنهاء طاعتي إليك منابي" (1)

- وكتب الوزير(أبو الاصبغ بن الأرقم) رسالة عن(علي بن مجاهد) إلى (المعز بن بأديس) صاحب إفريقيا يصف له حجم الخطر الذي يهدد بلاده والمتمثل في التكالب الصليبي من الخارج والفتن من الداخل فيقول: " ومما وجب التعريف به ما عم أقطار ثغرنا وخشي مجامع أفقنا من تمالئ النصارى وتضافرهم من كل أوب إلينا بجمع لا عهد بمثله ملأ الفضاء وطبق الأرجاء وشغلنا بالفتنة بيننا عن تخفيف وطأتهم وتضعيف صورتهم فطمسوا الآثار وجاسوا خلال الأدبار موفورون لا مانع منهم ولا دافع لهم إلا التفاتة الله لأهل دينه بان اقل فائدتهم وخيب مرامهم واطاش مهامهم والحمد لله على منحته ومحنته" (2)

- ومن الرسائل الحاملة لمعاني الاستغاثة والاستنجاد للتخليص من الخطر الصليبي وإطفاء نار الفتنة الداخلية والخارجية رسالة بعث (أبو عبد الله محمد بن أيمن) على لسان (المتوكل بن الاقطس) يستغيث فيها بأمير المؤمنين (ابن تاشفين) جاء فيها :" لما كان نور الهدى-أيدك الله- دليلك وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الإصلاح معالمك ووقفت على الجهاد عزائمك وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام اعز ناصر وعلى غزوة الشرك اقدر قادر. وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاد فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها-أهلكهم الله- عن إفراط تسلطها واعتدائها وشدة كلبها واستشرائها تلاطف بالاحتيال

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص283
(2)لمصدر نفسه. ق3/م1. ص273

وتستنزل بالأموال ويخرج لها من كل خيرة وتسترضي لكل نفيسة خطيرة ولم يزل دأبها الإذعان والانقياد حتى استصفى الطريق والتلاد وإنني على الظاهر والباطن النفاذ وأيقنوا الآن بضعف المنن وقويت أطماعهم في افتتاح المدن واضطرمت في كل جهة نارهم, ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ومن أخطاه القتل منهم فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ويمتحنوهم بأنواع المحن والبلايا وقد هموا بما أرادوا من التوثب واشرفوا على أملوه من التغلب فيا الله ويا المسلمين !! ليسطو هكذا بالحق إلا فك ويغلب التوحيد الشرك ويظهر على الإيمان الكفر ولا يكتنف هذه الملة النصر؟.إلا ناصر لهذا الدين المهتضم ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم!! وإننا لله على ما لحق عرشه من ذل وعزة من ذل. فإنها الرزية التي فيها عزاء والبلية التي ليس مثلها بلاء ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك-أيدك الله- في النازلة في مدينة ثورية-أعادها الله- وإنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء ثم ما زال ذلك التخاذل يتزايد والتدابر يتساند حتى خلصت القضية وتعجلت البلية وحصلت في يد العدو-قسمه الله- مدينة سرتها وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع وفي الحصانة والامتناع وهي المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة يدركها من جميع نواحيها ويستوي في الاستضرار بها قاصيها ودانيها وما هو إلا نفس خافت ورمق زاهق فان لم تبادروا بجماعتكم عجالا وتتداركوها ركبانا ورجالا وتنفروا نحوها خفافا وثقالا وما أحضكم على الجهاد بما في حديث رسول الله عليه السلام فأنكم إلى معرفته أهدى, وكتابي هذا جملة الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها ومشتمل على نكتة هو يوضحها ويبينها فانه لما توجه نحوك احتسابا. وتكلف المشقة إليك طالبا ثوابا عولت على بيانه ووثقت في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه وأنت بفضلك تستوعب ما يؤديه استيعاب المستوفي ويصغي إلى ما ينهيه إصغاء الواعي وتجد منه مضض الموتمض وتتحرك لـــه تحرك الممتعض (1)

- فقد بدأ **المتوكل** رسالته هذه بالثناء على ملك المرابطين وناصر الإسلام **ابن تاشفين** والتذكير بجهاده وقوته ونصرته للإسلام والمسلمين والدعاء له. ثم عمد إلى موضوع الرسالة الرئيسي وهو وصف المسلمين وحالهم مع النصارى وذكر معاناتهم جراء الفتن والاضطرابات السياسية وافتقارهم للأمن والأمان في بلادهم وفي الختام يطلب نصرته ويستغيثه لحال الإسلام والمسلمين.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق2/م2. ص553-556

- ومن الرسائل الأندلسية ما عبرت عن الأحوال السياسية السائدة آنذاك في ظل ملوك الطوائف. حيث صورت الواقع السياسي والاقتصادي في ظل تراكم الضرائب والجزيات التي كان حكام الطوائف يدفعونها (لأذوفونش) هذه الضرائب أثقلت كاهل الاقتصاد العام للبلاد... فقد كانت هناك (الضريبة السنية التي يتقاضاها **اذو فونش** ومقدارها خاضع للمساومة متأثر بحال الرضي والغضب ولكنها على أي حال ضريبة ثقيلة تحصل من الرعية... ثم الضريبة المعروضة لدفع مرتبات الجند وترتفع كلما كثرت الحروب والفتن دائرة بين الأمراء أنفسهم وعي في الأحوال العادية "جزية" ... وهي ضريبة من الغنم والبقر والدواب والنحل...) **(1)**

- ومثال هذه الرسائل التي عكست الوضع المتدهور للبلاد وبينت هذا الخضوع الشبه التام للعدة رسالة(ابن القصيرة) إلى قواد البلاد على لسان (المعتمد بن عباد) جاء فيها:" الحال مع العدو-قسمه الله- بينة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف, معروفة لا تفتقر إلى نعت ولا وصف ومن لا يمكن مقاومته ومخاشنته فليس إلا بمداراته وملاينته وكان-قل الله حده وفض جنده- قد اعتقد الخروج في هذا العام إلى بلادنا-عصمها الله- بأكثف من مجموعه في العام الفارط واحفل وابلغ في استعداده وأكمل إلى أن الله تعالى يسير من إنابته إلى السلم من يسر ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظر ووقع الاتفاق معه على جملة من المال يقدم إليه ويستكف بها الشر المرهوب لديه تنتسف. فكم حال وكانت بخروجه تتلف ونعمة بأيدي طاغية تنتسف والرعية خاطبها الته في هذا العام على ما يقتضيه ما عم البلاد من الفساد وشملها من جائحة القحط والجراد" **(2)**

- كما دارت رسائل بين ملوك الطوائف تنم عن الرغبة في التعاون والتحالف ضد العدو الداخلي والخارجي منها ما كتبه **ابن البر** عن **المعتضد بن عباد** إلى (ابن هود) يطلب منه أعانته للقضاء على المتمردين داخل البلاد فيقول فيها: " من أعتقدك-أعزك الله- عمادا له وظهرا ورآك عتادا وذخيرا- طالعك-بحاله وأمره- وأطلعك على حلوه ومره وخرج إليك عن سره وجهره... راضيا بإنصافك فيما يقدره لديك ويمهده. والله لا يعدمني الاستظهار برأيك اعشوا إليه سراجا وسعيك احتذي عليه منهاجا وقد علمت صورة حالي مع المدبرين لقرطبة وصبري لهم في الخطير والجليل. فلم تزل عقارب سعيهم إلي تدب وريح جنايات بغيهم علي تهب(**3)**

---

(1)إحسان عباس-تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة-نشر وتوزيع-بيروت-لبنان- ط1. 1962 . ص39-40
(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص252
(3)المصدر نفسه ق3/م1 ص135

ينبني خطاب هذه الرسائل على نوع من الاستنجاد وطلب المعونة من إخوانهم في افريقية قصد تخليصهم من الخطر الصليبي الذي يهدد البلاد من الخارج واشتعال نار الفتن من الداخل فجاءت هذه الخطابات معبرة عن المعاناة الذاتية للشعب الأندلسي في ظل الظروف السياسية المضطربة التي تمر بها البلاد.

- ومن جهة أخرى نلاحظ أن هذه الخطابات تتركب من طرفي الخطاب: مرسل ومرسل إليه وفحوى الخطاب. مثاله ما نجده في رسالة بعث بها **المعتمد بن عباد** وهو المرسل إلى أمير افريقية في المهدية وهو المرسل إليه والغرض من هذا الخطاب محاولة التعاقد والتحالف ضد الخطر الصليبي.

- ومن الخطابات ما كانت تتم عن طريق واسطة بين المرسل والمرسل إليه ومثالها ما نجده في رسالة كتبها الوزير(أبو الأصغم بن الأرقم) وهو الواسطة في هذا الخطاب. عن (علي بن مجاهد) وهو المرسل إلى (المعز بن باديس) وهو المرسل إليه.

- ونجد هذا في رسالة بعث بها (أبو عبد الله محمد بن أيمن) وهو الواسطة على لسان (المتوكل بن الأقطس) يستغيث فيها بأمير المؤمنين (ابن تاشفين).

- ونجده أيضا في ريالة بعث بها (ابن القصيرة) وهو الواسطة على لسان (المعتمد بن عباد) وهو المرسل إلى (قواد البلاد) وهم المرسل إليه.

ب- الرسائل الأخوانية: وتسمى أحيانا الشخصية. ونعني بها تلك الخطابات التي تدور بين الأدباء والأصدقاء في مختلف الأوقات والمناسبات حاملة معها معاني الأخوة والصداقة, عاكسة الحالة الاجتماعية السائدة في ظل ملوك الطوائف. من تالف ومحبة بين أبناء الوطن الواحد.

- وفي القرن 5هـ أخذت هذه الرسائل تقترب من الشعر في كيفية تعبيرها عن العواطف وتناولها جانبا كبيرا من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فهي: " شعر غنائي منثور يجد فيها كاتبها متنفسا حرا عن عواطفه لا يقيده فيها وزن ولا قافية وهي اقرب فنون النثر إلى الشعر. وهي تعبير عن عاطفة شخصية " (1)

- ومن أهم المواضيع التي تناولتها الرسائل الأخوانية: المدح, العتاب, التهنئة, الشكوى, العتاب, الاستعطاف, والاعتذار, الشفاعة والوصف وغيرها من المواضيع الاجتماعية.

1- **رسائل العتاب**: يعتبر العتاب اكبر دليل على الصداقة والمحبة والألفة بين الطرفين, واحد العوامل المساهمة في توطيد هذه العلاقة الجامعة بينهما. فالصداقة تدوم ما دام العتاب.
يقول الشاعر: أعاتب ذا المودة من صديق... إذا ما رابني منه اجتناب

إذا ذهب العتاب فليس ود.... ويبقى الود ما بقي العتاب (2)

- فمعاتبة الصديق صديقه إذا أحس بشيء من الجفاء ونوع من التقصير من قبله أو برودة في كلامه أو عدم مبالاة ولا اكترات به. فيسارع لمعرفة سبب ذلك. مذكرا إياه بجذور الصداقة التي جمعتهما وقدمها والعهد المبرم بينهما... فتاتي مجموع هذه المشاعر في قالب عتاب تختلف لهجته وحدته بحسب الحالة النفسية للكاتب والموقف الذي هو فيه.

- ومن قبيل الرسائل الحاملة في طياتها معاني العتاب. رسالة (ابن شهيد) إلى (مجاهد العامري) أمير دانية يعاتبه فيها على إهماله للصداقة التي كانت تجمعهما وانشغاله بأمور السياسة يبدؤها بتذكيره بأيام الصبا والشباب وبالماضي وذكرياته فيقول: " كنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميها. وتلقي الخطوب علينا مراسيها. وتمخضنا الأيام مخضا وتركض بنا الليالي ركضا تربي صحبة وحليفي صبوة, وقد تخلينا عن الأنساب وانتسبنا إلى الآداب, والدار إذ ذاك صقب والملتقى كثب فإذا شمخ بأحدنا مارن. وثار به كمد لساكن يعتب على زمن وتقصير بإرادة عن سكن. تعاطينا كاس الشكوى وتخاذبنا حبل البلوى... ثم ألقت الأيام علينا بكلكل وأناخت من قوانا بجران. فنثرتنا بكل فج عميق,وافق سحيق.نثر الدر شذر مذر"

---

(1) أحمد أحمد بدوي-أسس النقد الأدبي عند العرب-مكتبة نهضة مصر-القاهرة-1964 ص 580-581
(2)ابن منظور-لسان العرب-دار صادر بيروت(د.ت) مادة(ع ت ب)

- ثم يأتي لعتابه على إهماله ونسيانه للصداقة والألفة التي كانت بينهما فبقوا:"ونفحت عليك رياح السعد... وقضيت إربك منه على قهرة فكان أول حيصتك عن الوفاء,وجيدتك عن رعاية قديم الإخاء إن تركت المخاطبة وأضربت عن المكاتبة خشية أن يكون كلنا عليك ورغبتنا في ما لديك..." ثم يواصل ويذكر صديقه أن رغم هذا الجفاء والإهمال اللذين يلقاهما منه لا يزال محافظا على تلك الصداقة متمسكا بها. فيقول في هذا: " ثم قلت:حمل أحسن الظن أجمل...فانطويت على ود وثبت على صحة عقد..." وفي الأخير يخلص بتذكير صديقه ما فعله الواشون لقطع أواصر هذه الصداقة والعمل على بث التفرقة والخلاف بينهما حيث يقول محاولا إنصاف نفسه ودرء التهم عنه فيقول: " ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم ما اجروا في ذكرك فضلا على أن يجروا ذكري لك وهم يعلمون أن مرماي غير مرماهم ومغزاي سوى مغزاهم, ويوقنون أن ابعد آمالي في صديق إذا سمى وارفع رغباتي لديه إذ طمي انفرج بابه وانتهاك حجابه,يمتعني بإشراق وجهه. ويورد في غدير بشره... ولا يقلل حظي من إكرامه ولا يهجر قسطي من لطيف اهتمامه. بعد أن يعدل القسطاس ويميز الذهب من النحاس" (1)

- ومن قبيل رسائل العتاب نورد رسالة (لابن برد) بعث بها إلى احد أصدقائه يعاتبه فيها. حيث يقول:" اظلم لي جو صفائك وتوعرت على ارضي إخائك,واراك جلد الضمير على العتاب,غير ناقع الغلة من الجفاء وفليت شعري ما الذي أقصى مهجه ذلك الود.واذوي زهرة ذلك العهد؟عهدي بك وصلتنا تفرق من اسم القطيعة ومودتها تحمل عن صفحة العتاب ونسبة الجفاء. واليوم هي انس بذلك من الرضيع بالثدي والخليع بالكأس وهذه ثغرة إن لم تحرسها المواجعة ونذك فيها عيون الاستبصار. توجهت منها الحيل على هدم ما بيننا ونقض ما اقتنينا وتلك ناعية الصفاء والصراحة يموت الإخاء.لا أتنبذ-أعزك الله- في الكتاب إليك وان رغم انف القلم,وانزوت أحشاء القرطاس واخرس فم الفكر يبق احدهما إسعاد لي على مكاتبك ولا بشاشة عند محاولة مخاطبتك لقوارص عتابك وقوارع ملامك لي قد أكلت أقلامك واغصت كتبك وأضجرت رسلك...وكثيرا ما يكون عتاب المتصافيين حيلة تسر المودة بها وتستثار دفائن الأخوة عنها. كما يعرض الذهب على اللهب وتصفق المدام بالأقدام. وقد يخلص الود على العتب خلاص الذهب على السبك.وأما إذا أعيد وابدي وردد وولي فانه يفسد غرس الإخاء كما يفسد الزرع توالي الماء" (2)

---

(1) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص228-29
(2) المصدر نفسه. ق1/م1 ص501-502

- ومثالها في العتاب رسالة(أبو عبد الله بن البزلياني) بعث بها إلى صديقه(أبو جعفر بن عباس) يعاتبه فيها على عدم إكرامه له في إحدى زياراته في بيته والتنقيص من قيمته, فخاب أمل الكاتب بعدما كـــان يتوقع معاملة خاصة من صديقه أثناء تلك الزيارة.فيــقول:"كلف المروءة-أبقاك الله- صعبة إلا على الكرام.وطرق الجفاء رحبة لسلوك اللئام والأحمق يرى البر خسرانا ويعتقد إكرام الوافدين نقصانا...وجئتك زائرا وكأني جئتك آملا وأردت مصافحتك فما مددت يدا,وطلبت معانقتك فخلتك مقعدا.بعد أن توهمت بالنهوض أقعدك الكسل.كأنك خمصانة*أثقلها الكفل* وجعلت تشير بالحاجب وتلوي الشفة وتدعي بالجهل في شيء معرفة فما كان ضرك حين أخللت أو أجللت,وما كان سوء:حين ناظرت لو أجملت وما كان ينقصك حين حكمت لو عدلت؟ (1)

- تندرج هذه الرسائل في شكل عام في إطار الخطاب الذاتي المعبر عن علاقة الأديب بغيره من الناس.وما تثيره هذه العلاقة في النفس البشرية من مختلف المشاعر المعبر عنها.بمصطلح الصداقة وما تعنيه من حب وإخلاص ووفاء واطمئنان. وكتمان أسرار.وإذا أحس احد الطرفين بنوع من الجفاء والبرودة أو التنكر وقلة الاهتمام لجا إلى عتاب صديقه وطلب التفسير منه ومعرفة سبب هذا التغيير.وهذا إن دل على شيء فانه يدل على مدى فعالية العتاب في تحريك مشاعر الأصدقاء وتنميتها وتجديدها.وتقوية أواصل الصداقة.فمن ذلك ما كتبه (ببن شهيد) إلى **مجاهد العامري** حيث بدا رسالته بتذكيره بأيام الصبا والشباب وبالماضي وذكرياته وبالليالي وانسها مستعملا في ذلك أفعال جاءت بصيغة الماضي المقترنة بضمير الجمع الدال على الكاتب وصديقه فيقول:"كنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميها..." وصولا إلى موضوع الرئيس وهو عتاب لصديقه(مجاهد العامري) على إهماله لهذه الصداقة وتناسيه لها.وتنكره لما كان يجمعهما فيقول مستعملا ضمير المخاطب:"ونفحت عليك رياح السعد..." ثم يواصل الكاتب عتابه مذكرا صديقه بان عهد هذه الصداقة لا يزال قائما رغم الجفاء والإهمال الذين يلقاهما منه فيقول مستعملا ضمير المتكلم(أنا) :"ثم قلت حمل أحسن الظن أجمل..." ليخلص في الأخير إلى تذكير صديقه بما فعله الواشون لقطع أواصل هذه الصداقة فيقول:"ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم..." (2)

***خمصانة:الخمصان والخمصان:الجائع الضامر البطن.والأنثى خمصانة وخمصانة.وجمعها خماص(ابن منظور-لسان العرب-مادة خمص)**
***كفل:الكفل:بالتحريك:العجز.وقيل:القطن يكون للإنسان والدابة وأنها لعجزاء الكفل.والجمع أكفال(ابن منظور-لسان العرب-مادة كفل)**
(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م2 ص633
(2)المصدر نفسه. ق1/م1. ص229

وقد حرص (**ابن برد**) كغيره من الكتاب الأندلسيين في رسالته على دوام المودة والصداقة التي تجمعه مع صديقه ومحاولة حمايتها من الذبول فيقول في مستهلها عن سبب هذا الجفاء:" اظلم لي جو صفائك وتوعرت علي ارض إخائك..." وبعدها يحاول ابن برد أن يضع صديقه في المحك حين اقترح عليه ثلاثة حلول لمواصلة هذه الصداقة أو قطعها.وهذا يعكس لنا الشخصية الجادة(لابن برد) وصراحته فيقول:" فإما أن تدلني بحجة فأتنصل عنك.وإما أن تنبئ بحقيقة فأستديم خلتك وإما أن تأزم فأسك فاقطع حبلي منك..." ثم يختم رسالته بالتصريح عن رأيه في العتاب وان ما كان قليله يعني عن كثيره فهو انجح.فكثرة العتاب تقضي على ذلك الود ويكون اقرب منه إلى الهجاء.فيقول في هذا الشأن:" وكثيرا ما يكون عتاب المتصافيين حيلة تسبر المودة بها وتستثار دفائن الأخوة عنها كما يعرض الذهب على اللهب وتصفـــق المدام بالهدام..." (1)

- وكما يدور العتاب بشكل عام في الرسائل الأندلسية في عهد ملوك الطوائف حول تنكر بعض الأصدقاء للود الذي كان يجمعهم والتقصير والتفريط في حق الصديق على صديقه وهذا من جانب الزيارة وما ينبغي لهذا الصديق من ترحيب وإعطاءه حقه من الضيافة.وعلى هذا الأساس جاءت رسالة:(أبو عبد الله بن البزلياني) بعث بها إلى صديقه (أبو جعفر بن عباس) يعاتبه فيها على عدم إكرامه له في إحدى زياراته في بيته والتنقيص من قيمته فخـــــاب أمل (أبو عبد الله بن البزلياني) بعدما كـــان يتوقع معاملة خاصة من صديقه أثناء تلك الزيارة.فيــقول:"كلف المروءة-أبقاك الله- صعبة إلا على الكرام.وطرق الجفاء رحبة لسلوك اللئام والأحمق يرى البر خسرانا ويعتقد إكرام الوافدين نقصانا..." فالكاتب هنا بصدد ذم الصفات التي وجدها في (أبي جعفر) من كبر وترفع:(ونحن هنا لا نظن أن البزلياني يفتري على (ابن عباس) الكذب أو يتهمه بما ليس فيه فقد شهر بالكبر حتى عده صاحب الذخيرة من صفات أربع تقدم فيها سائر الناس وهي:" المال...والعجب...والبخل...والكتابة:وهي اقل أربعه) (2)

وقد تضمن هذا العتاب نوعا من الهجاء لما أثارته تصرفات الوزير (أبو جعفر بن عباس) من سخط وغضب واستنكار لدى الكاتب فجاءت لهجة العتاب شديدة عنيفة تحمل كل معاني اللؤم والازدراء فلومه بمثابة ترسيخ لهذه الصداقة واستمرار لها.فما لقيه الكاتب من صديقه لم يوفه حقه ولم يضعه في المكانة التي يستحقها مع العلم انه رجل علم وأدب.يقول الكاتب واصفا تلك المعاملة مخاطبا (أبا الجعفر) :(وجئتك زائرا وكأني جئتك آملا وأردت مصافحتك فما مددت يدا,وطلبت معانقتك فخلتك مقعدا....) ثم يحاول الكاتب درء التهم الموجهة إليه محاولا إلصاقها بقائلها.فيقول:" ومن العجب أم تنسبني إلى وهي حضنك إذا غلبت.وتلحنني في النطق وهي عادتك إذا كتبت

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص502

(2)علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي.بيروت.لبنان ط1 1990 ج1 ص390

ولعمري لقد قلتها ولقد جهلتها وتركتها وما عرفتها وكما أن بركة الأشجار في الأنوار, فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار فأين رسائلك وأشعارك ومؤلفاتك وآثارك؟هيهات,هيهات! غلبك على الجو أعله ونفاك عن جهله" (1)

- هذا ما نلاحظه في رسالة (أبو عمر بن الباجي) يرد فيها على عتاب صديقه جاء فيها:" المودات-أعزك الله- إنما تثبت دلائلها وتصح مخايلها بضمرات الفؤاد لا بمزورات المداد...وفي علمه تعالى أني من الاعتلاء بمجدك,والاعتلاق بحبل ودك,والاستناد إلى كرم عهدك بمنزلة لا يتعاط إدراكها احد,ولا تطول صفائي فيها يد...وقد ورد كتابك ففضضته من مثل عقارب لآسية,وسهام نافذة صائبة ومن عتاب صدع قلبي,وفث في عضدي,وتقريع لم أقف ببابه ولا جذبت بأسبابه..." (2)

- وقد وجدت رسائل العتاب صدى في نفس الأصدقاء المعاتبين وكان لها أثرها البالغ في نفوسهم فكان العتاب بمثابة إحياء للود القديم وترسيخ للصداقة.هذا ما لاحظناه في رسالة (أبو العمر بن الباجي) ردا فيها على عتاب صديق له حيث يقول:" المودات-أعزك الله- إنما تنثبت دلائلها وتصح مخايلها..." فالكاتب هنا في رده على عتاب صديقه يحاول أن يبرئ نفسه من المآخذ التي أخذها عليه صديقه محاولا إظهار صداقته له ورغبته في استمراريتها.فعتاب صديقه قد حرك فيه مشاعر الصداقة التي تجمعهما, فأحياها من جديد.

- وكثيرا ما تتطرق رسائل العتاب في مضمونها إلى درء التهم ومحاولة بريء النفس من مجموع المآخذ التي أخذت عنها وهذا ما وجدناه في رسالة ابن الشهيد إلى مجاهد العامري محاولا إنصاف نفسه مما قاله الوشاة ودرء التهم عنه, فيقول:" ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم..."

- وأيضا في رسالة (ابن عبدون) يحاول فيها تبرئة نفسه أمام صديق له ودرء الشبهات عنه وهو في ذلك يلومه على تصديقه لما قيل عنه فيقول: " سلام على من نظر بقلبه لا بعينه وحكم بيقينه لا بظنه, ونطق بعقله لا بهواه واخذ من دنياه لأخراه ولم يستقره قال ولا قيل ولم تهزه تلك الأباطيل... وبلغني قول من قضى علي بالظنة وحكم بالشبهة وللمقولات طرق لا يتعداها معتد,إلا وكان وبال ذلك راجعا عليه ... لاسيما في ضربة توجب حقا وتضرع خدا, وتفل من فاضل حدا..." (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م2 ص635
(2) المصدر نفسه. ق2/م1. ص192
(3)المصدر نفسه. ق2/م2 ص680

- ومن الرسائل الحاملة لمعنى العتاب في إطار إهمال احد الطرفين للآخر أو التنكر لصداقته رسالة بعث بها (أبو عامر بن التاكرني) إلى (أبي جعفر بن عباس) جاء فيها:" كتبت عن نفس تفيض بمائها وتجيش بدمائها وتشكوا إلى الله عظيم أدوائها غيضا على تقلب الزمان وعجبا من تنكر الإخوان... لا يلفظني عجب إلا إلى مثله ولا انتقل من مستغرب إلا إلى شكله,إن أبرمت حبلا من الإخاء نقض المفسدون مريرته أو ملأت يدي بمن اعتد به الشدة والرخاء افسد الواشون سريرته..." (1) فالكاتب هنا يشكو الجفاء والإهمال الذي يلقاه من صديقه(أبو الجعفر) وقد يعود هذا الإهمال إلى عوامل سياسية وخلافات بين مملكته (المرية) ومملكة(بلنسية) جاءت سلبا على الصداقة التي كانت تجمع بين (أبي جعفر) و(أبي عمر)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م1. ص229

2-**رسائل المدح**: وتكون بين الأصدقاء للإشادة بعواطف الصداقة والمحبة والأنس ومنها ما يكون في مدح الملوك والتودد إليهم واستعطافهم, وكذا مدح الوزراء واعيان الدولة.

- وينبني خطاب رسائل المدح على نوع من التودد للحكام والأمراء والتوسل إليهم والتقرب من مجالسهم والدنو منهم لنيل رضاهم وكسب ثقتهم وللحصول على مرادهم من كتابة هذه الرسالة, والسبيل للتمهيد لذلك هو المدح والثناء والتعظيم للشأن. وهذا ما نجده عند الكاتب(ابن زيدون) لما عرف عنه من مدح الملوك واستعطافهم والتودد إليهم. وخير تمثيل لهذا :رسالته(الجدية) التي بعث بها وهو في السجن إلى ملك قرطبة (أبي الحزك بن جهور) يستعطفه فيها ويسترحمه (1) ليعيده إليه فيستهلها بكل أنواع المدح ومعاني الثناء والإجلال (لابن جهور) مستعينا بأسلوب النداء قصد تقريب ذات المرسل إليه وهو (الملك ابن جهور) وجعله وكأنه يخاطبه وجها لوجه. فيقول:" يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتدادي به واعتمادي عليه وامتدادي منه, أبقاك الله ماضي حد العزم.راوي زند الأمل, ثابت عهد النعمة" ثم يتخلص من المدح والثناء إلى الشكوى والعتاب, وهذا ما يعرف في القصيدة التقليدية بحسن التخلص فيقول: " إن سلبتني- أعزك الله- لباس أنعامك.وعطلتني من حلي إيناسك واظمانتي إلى برود إسعافك . ونقضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك,بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك وسمع الأصم ثنائي عليك,وأحس الجماد باستنادي إليك فلا عزو فقد يغض بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفي به ويؤتي الحذر من مأمنه, وتكون منية المتمني في أمنيته والحين قد يسبق جهد الحريص:

(كل المصائب قد تمر عن الفتى ۞ وتهون غير شماتة الحساد)

واني لأتجلد وارى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع. فأقول: هل انأ إلا يد أدماها سوارها, وجبين عضه إكليله, ومشرفي الصقه بالأرض صاقله, وسمهري عرضه على النار مثقفة, وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

(فقسا ليزد جروا ومن يك حازما ۞ فليقس أحيانا على من يرحم)

هذا عتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة لم تنجلي, هذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ولن يريبني من سيدي إن أبطا سيبه, أو تأخر- غير ضنين– غناؤه فأبطا الدلاء فيضا أملؤها وأثقل السحائب مشيا أحفلها وانفع الحيا ما صادف جديا. وألذ الشراب ما أصاب غليلا. ومع اليوم غدو ولكن اجل كتاب له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في إغفاله.

(وان يكن الفعل الذي ساء واحدا ۞ فأفعاله اللائي سورن ألوف)

---

(1) عبد العزيز بن عواد-النثر الأدبي الأندلسي – ط1 1996 ص118

- أعود فأقول: ما الذنب الذي لم يسعه عفوك, والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك, والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يق به احتمالك ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل؟!أو مسيئا فأين الفضل؟!

(إلا أن يكون ذنب فعدلك واســـع ۞ أو كان لي ذنب ففضلك أوسع)

حنانيك قد بلغ السبيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى, وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لأدم فأبيت واستكبرت وقال لي نوح"اركب معنا فقلت" سآوي إلى جبل يعصمني من الماء"وأمرت ببناء الصرح " لعلي اطلع إلى اله موسى" وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت, وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش"طالوت" وقدت الفيل لأبرهة, وعاهدت قريشا على ما في الصحيفة. وتأولت في بيعة العقبة ونفرت إلى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد,وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك على عائشة الصديقة, وانفلت من إمارة أسامة وزعمت

إن إمامة أبي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد, ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

(ثلاثة آلاف وعبد وقينـــــة ۞ وضرب علي بالحســام المهند)

وكتبت إلى عمرو بن سعد :"إن جعجع بالحسين" وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة:

(ليت اشياحني ببدر علموا ۞ جذع الخزرع من وقع الأسل)

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل أن يسمى نكالا. ويدعى-ولو على المجاز-عقابا.

(وحسبك مـن حادث يامـرئ ۞ ترى حاسديه لـــه راحمينا)

- لننتقل بعدها إلى استعطاف الأمير ونيل عفوه والتذكير بما فعله الوشاة والحسدة ضده. فيقول:"فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح. ونبا جاء به فاسق وهم الهمازون المشاءون بينهم. والواشون الذين لا يصدعوا العصا. والغواة الذين لا يتركون أديما صحيحا. والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس فقال:"ما أضنك بقوم الصدق محمود إلا منهم"

(حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ۞ وليس وراء الله للمرء مذهب)

والله ما غشيتك بعد النصيحة.ولا انحرفت بعد الصاغية.ولا نصبت لك بعد التشيع ولا أزعمت يأسا منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد آخذه حسن الظن عليك ففيم غبث الجفاء باذمتي وعاث معقوق في مواتي.وتمكن الضياع من وسائلي؟! ولم ضاقت مذاهبي وأكدت مطالبي؟! وعلام رضيت من المركب بالتعليق؟! بل من الغنيمة بالإياب.وبان غلبني المغلب.وفخر علي العاجز الضعيف,ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع قبل أن افترس.وتدركني ولما أمزق؟(1)

- وعليه فقد طمت هذه الرسالة الطويلة وعاني المدح والثناء الذي يدخل في لطار التوسل والاستعطاف:(فالمدح إذن هو القالب العام الذي تصب فيه المعاني الأخرى التي يتوسط بها الكاتب لبلوغ أهدافه المنشودة سواء كانت من قبيل الاستعطاف أو الشفاعة أو التكسب أو الاستجداد) (2)
- ومن الرسائل الموجهة لمدح الأمراء والوزراء رسالة(ابن خفاجة) في مدح احد الأمراء فيقول:"مثل الأمير ممن المجد من أعدائه والبأس من أجناده والفهم من طلائعه والحلم من طبائعه,والكرم من حلاه والسؤدد من علاه والعزم من خدمه والحزم من شيمه, والأقدام والإكرام والأنعام من صفاته والرياسة والنفاسة من سماته والفضل من أخلاقه والشرف من أعراقه والمحامد من أرديته والنصر معقود بأولويته- جدير أن تهز نحو الآمال ذوائبها وحقيق أن تعمل إليه الآمال ركائبها..." (3)
- وقد اشتملت هذه الرسالة على مجموعة من الصفات من شانها أن تدعم غرض المدح وتخدمه منها :

المجد.الباس.الفهم.الحلم.الكرم.السؤدد.العزم.الحزم.الاقدام.الانعام.الرياسة.النفاسة.السياسة. الفضل.الشرف...) وقد حصرها الكاتب عرضا في جملة اعتراضية استهل بها رسالته

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص340- 342

(2)علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي ط1 1990 ج1 ص274

(3)

- ومثالها رسالة بعث بها **ابن زيدون** إلى **المعتضد بن عباد** تحمل معاني المدح والثناء والتعظيم يقول فيها:" أطال الله بقاء الحاجب فخر الدولة مولاي وسيدي ومولى المناقب الجليلة والضرائب النفيسة في أكمل مل تكفل به من علو القدر ونفاذ الأمر وخصه من النعم باصبغ سربالا ...وحسبي أن أملي قد ارتاب الجناب الرحب والمشرب العذب ولعل الحظوظ ستكشف والنوائب ستصرف إلى أن ابلغ ابعد غايات الأمل من مشاهدة حضرته العلياء, والنظر إلى غرته الزهراء

فو الله ما ينصرف فكري ولا ينصرم حين من عمري إلا في الذكر له والشوق إليه وتصور المثول بين يديه...وأنا أقدم الاعتذار من مهابة تستملك جناني.وحصر يكاد يقطع في أول المشافهة لساني.فان حدث ذلك فعذري عذر الفضل بن سهل وقد انقطع بين يدي الرشيد فقال له:" يا أمير المؤمنين من فواهة العبد أن تملك قلية مهابة سيده...واني لم أزل منذ فارقت حضرتك الجليلة حضرة المجد والسيادة ومحلل الإقبال والسعادة لهج اللسان بما أجناني من ثمار الحكمة والنعمة وأفادني من عقد الأدب والنشب ... والله يبقيه لعبيده الذين أنا آخرهم وأولهم في شكر النعمة ويرفع من هممهم ما انخفض ويبسط من آمالهم ما انقبض ولا يعدمهم التقلب في النعمة والاعتلاق بأسباب ذممه بمجده وكرمه" **(1)**

- فقد اشتملت هذه الرسالة على عدة أغراض تدخل في إطار مدح الملوك من استعطاف وتوسل والغرض منها التقرب إلى مجالس الملوك ونيل رضاهم والفوز بالمكانة واخذ العطايا

- والى جانب مدح الملوك واستعطافهم.عرفت الرسائل الأندلسية مدح الوزراء واعيان الدولة.ومن هذا القبيل رسالة (أبو جعفر بن احمد) في مدح احد الوزراء فيقول: " فانك اتخذت إلى العلا طريقا مختصرا خفي من غيرك فلا يرى له أثرا فكل يرى أساس المجد سعيه لنفسه واستنفاذ وسعه لذاته...وأنت-أعزك الله- إنما تشيد مجدك بان تبذل لغيرك جهدك وتنفق في ذلك ما عندك وهذا طريق لا يهتدي إليه إلا عيون أرائك وغرض بعيد لا تصميه إلا سهـــام أنحائك" **(2)**

- كما كتب (أبو المطرق بن الدباغ) رسالة يمدح فيها الوزير الكاتب(أبو محمد بن عبد البر) يقول فيها:" انك المنتهى الذي إليه يجري.وتبتغي لديه الزلفى , ويتوصل به إلى العليا وأنا ممن يتشيع فيك تشرعا ويحبك طبعا وتطبعا.واستنزل في الجمع بك الأقدار. واستخدم في التعلق بأسبابك الليل والنهار..." **(3)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص405.407
(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص767
(3)المصدر نفسه. ق3/م1 ص316

- فمن الملاحظ أن الكتاب الأندلسيين لم يتحفظوا في مدحهم للوزراء فكان مدحهم لا يختلف عن مدح الملوك والغاية من ذلك منفعية باعتبار الوزراء سلما يصل به الكتاب إلى الملوك.

- ومن الرسائل التي جاءت في مدح الأصدقاء. رسالة (أبو القاسم بن الجد) في مدح احد أصدقائه يذكر فيها بأخلاقه وفضائله وصفاته النبيلة فيقول:" إذا عددت-أعزك الله- أعيان الزمان وأفاضل الإخوان ثنيت عليك خنصري... لأنك-والله يبقيك- حامل آداب ومعارف ولا بس من خلع الفضل مطارف ومتميز بفضول محاسن منحت جمالها ومتفرد بحواص فضائل جمعت كمالها لا أعدمني الله منك جملة فضل, وزهرة نبل وذخر وفاء وعلق سناء" (1)

- ولأبي(محمد بن عبد البر) رسالة بعث بها إلى (أبي عامر أبيه) يمدحه فيها ويذكر علمه وتميزه وتفرده ومدى أهميته ومكانته بين علماء عصره.يقول فيها:" ففضلك في كل قطر كالمشاهد وشخصك في كل نفس غير متباعد فأنت واحد عصرك وقريع دهرك علما بيدك لواؤه وفضلا إليك اعتزازه وكنت كذلك والناس موفورون والشيوخ أحياء يرزقون. فكيف وقد درس الأعلام والكدى واستنزع العلم بقبض العلماء فانقضى والناس عندنا ما عندك ظماء.ولدينا الداء وأنت الشفاء" (2)

- كما ظهرت رسائل أندلسية حملت معها أسمى معاني الصداقة والأصدقاء يشيد فيها الكاتب بخصال صديقه أو خليله مادحا له مذكرا إياه بقيمة هذه الصداقة وضرورة بقائها مهما بعدت المسافات وطال الأمد فالأجسام تتباعد والقلوب تتقارب وتبقى الرسالة ملاد الكاتب يفرغ فيها كل ما تعنيه صداقة هذا الصديق من مشاعر نبيلة وعميقة ومن قبيل هذه الرسائل رسالة(أبو جعفر بن احمد) جاء فيها:" استكمل الله تعالى لمثنى الوزارة سعادة وأستوصله في سموها عادة واسأله المسرة يدنوها معادة كيف لا أراقب مراقي النجوم وأطالب مآقي العين بالسحوم وقد انذر بالفراق منذر وحذر من لحاق البين محذر- وياليت ليلنا غير محبوب وشمسنا لا تطلع بعد وجوب فلا نروع ولا نفجع بوداع.حسبنا الله كذا بنيت هذه الدار وأبى سبحانه أن تصل شمس انسنا الأقدار, ولعلها تجود بعد لأي. وتعود إلى أحسن رأي وتنظر رحيلا وتعمر ربعا محيلا" (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص299. 300
(2)المصدر نفسه. ق3/م1 ص104
(3)ابن خاقان. قلائد العقبان. تحقيق. الشيخ الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر 1990 ص400

- وعلى العموم فقد عكست رسائل المدح الظروف العامة للحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف.وصورت مشاعر الصداقة والتشوق التي جمعت أبناء الوطن الواحد.كما صورت الاستعطاف والتوسل والتقرب من الملوك وبلاطاتهم ونيل رضاهم. وبهذا أصبح المدح النثري بعدا ثانيا جعله يتعدى حدود الشعر,بعدما كان المدح منذ القدم في قصائد الشعراء.

<u>3- رسائل الهجاء:</u> يعد الهجاء نقيض المدح يسعى فيه الكاتب لإظهار مساوئ الشخص المهجو.وسلبياته محاولا بذلك جعله في أبشع صورة وأقبحها سواء بذكر الصفات الخلقية من طول وقصر ونحافة وسمنة...أو خلقية وتشمل كل الصفات المستكرهة في الإنسان من كذب ونفاق ونقض عهد وإخلاف وعد وغيرها.

- ومن هذا القبيل رسالة (لأبي عامر الاصيلي) بعث بها إلى (أبي محمد بن أبي الفرج) يهجو فيها أهل(شنتمرية) ويذكر بعض صفاتهم من حمق وجبن ونقص وصغر عقل... فيقول:" والله لقد جبلت البلاد وبلوت العباد فلاشك عندي ولا مرية أن أرذل الناس أهل شنتمرية الأوغاد الحثالة.معادن الخساسة والنذالة أخلاق اللؤم.وروايح الثوم.أحلام البغال.وأقفال النعال.قوم غلتهم الوراعة والطماعة عن التحلي بالجود والشجاعة..." (1)

- ومن الرسائــل الحاملة لمعاني الهجــاء المشوب بالفكاهــة والتهكم والسخرية رسالة(ابن زيدون) " الهزلية" والتي يهجو من خلالها الوزير (ابن عبدوس) على لسان محبوبته "ولادة" بنت المستكفي بالله. يسخر منه ويستهزئ به وقد علق عليها " المقوي" بقوله:" وبسببها (ولادة) خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات والتنديدات مالا مزيد وقد افتتحها بقوله:" أيها المصاب بعقله..." (2) وعبر عنها د/عبد العزيز عتيق بقوله:" أما الرسالة الهزلية فقد كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي لمنافسه في حبه الوزير أبي عامر بن عبدوس وفيها يسخر ابن زيدون منه سخرية بلغت في بعض أجزاء الرسالة حد الهجاء"

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق ق2/م1. ص 310
(2) عبد العزيز عتيق.الأدب العربي في الأندلس.دار النهضة العربية للطباعة والنشر.بيروت ط2. 1976ز ص458

- يبدأ ابن زيدون رسالته بمدخل يصف من خلاله) ابن عبدوس) بصفات الجهل والتفاهة بأسلوب السب والشتم المباشر فيقول:" أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سقطه.الفاحش غلطه والعاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره.الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش في الشهاب, فان العجب اكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب" ثم يعود **ابن زيدون** ليوجه الخطاب مباشرة **لابن عبدوس** بعدما كان الخطاب بضمير الغائب.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التجاهل والتحقير والانتقاص من قيمة ابن عبدوس بعدم التلفظ حتى باسمه فيقول:" وانك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك متهديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك مرسلا خليلتك مرتادة مستعملا عشيقتك قوادة كاذبا نفسك انك ستنزل عندها بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل.

- ثم يتوقف ابن زيدون عن أسلوب الذم المباشر مستخدما طريقة(الجاحظ) في الفكاهة والسخرية والاستهزاء: (عن طريق سير من الومضات التاريخية تهدف كلها إلى التحقير الكلي بواسطة التعظيم الساخر ويأتي ذلك بفعل المقابلات التي تظهر المهجو في قالب المتفوق على النماذج المثالية كل في الميدان الذي شهر به عبر الحقب المتطاولة من التاريخ) (1) مستعملا في ذلك ثقافته ومحصوله المعرفي ويظهر هذا في قوله:" ولا شك إنها قلتك إذا لم تظن بك وملتك إذا لم تغر عليك. فإنها أعذرت في السفارة لك وما قصرت في النيابة عنك زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه.قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت في مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال حتى خلت أن يوسف-عليه السلام- حاسنك فغففت منه وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه.وان قارون أصاب بعض ما كنزت.والنطف عثر على فضل ما ركزت وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعي ماشيتك والاسكندر قتل دارا في طاعتك وارشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك والضجاك استدعي مسالمتك.وجذيمة الابرش تمنى منادمتك.وشيرين قد نافست بوران فيك.وبلقيس غايرت الزباء عليك.وان مالك بن نويرة انم ردف لك.وعمرو بن جعفر إنما رحل إليك.وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك.وجساسا إنما قتله بأنفتك.ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك:السموأل إنما وفى عن عهدك.والأحنف إنما احتبى في بردك وحاتما إنما حاد بوفرك ولقي الاضياف ببشرك. وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك والسليلك بن السلكة إنما عدا على رحليك وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيدك.وقس بن زهير إنما استعان بدعائك ولياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك,وسحبان إنما تكلم بلسانك.وعمرو بن الأهتم

---

(1) علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي ط1 1990 ج1 ص 391

إنما سحر ببياتك وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك.والحمالات بين عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك وان الاحتيال هرم لعقمه وعامر حتى رضيا كان ذلك عن إرادتك وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك,وقتيبة فتح ما وراء النهر يسعدك والمهلب اوهن شوكة الازارقة بأيدك وفرق ذات بينهم بكيدك, وان هومس أعطى بلينوس ما اخذ منك . وأفلاطون أورد على ارسطا طاليس ما نقل عنك وبطلموس سوى الإسطرلاب بتدبيرك. وصور الكرة على تقديرك وبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك.وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك,وكلاهما قلدك في العلاج.وسالك عن أمزاج واستوصفك تركيب الأعضاء واستشارك في الداء والدواء. وانك نهجت لأبي معشر طريق القضاء.وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق وجعلت للكندي رسما استخرج به الدقائق. وان صناعة الألحان اختراعك وتأليف الأوتار والانقار توليدك وابتداعك. وان عبد الحميد بن يحيى باري أقلامك. وسهل بن هارون مدون كلامك. وعمرو بن بحر مسمليك. ومالك بن أنيس مستفتيك وانك الذي أقام البراهين. ووضع القوانين. وحد الماهية وبين الكيفية والكمية وناظر في الجوهر والعرض. وميز الصحة من المرض وفك المعمى وفصل بين الاسم والمسمى. وصرف وقسم وعدل وقوم وصنف الأسماء والأفعال وبوب الظرف والحال. وبنى وأعرب ونفى وتعجب. ووصل وقطع. وثنى وجمع واظهر واضمر واستفهم واخبر. وأهمل وقيد. وأرسل واسند . وبحث ونظر وتصفح الأديان. ورجح بين مذهبي هاني وغيلان ولشار بذبح الجعد.وقتل بشار بن برد وانك لو شئت خرقت العادات.وخالفت المعهودات فأحلت البحار عذبة.واعدت السلام رطبة ونقلت غدا فصار أمسا. وزدت العناصر فكانت خمسا وأنك المقول فيه: كل الصيد في جوف الفرا"

وليس على الله بمستنكر ۞ أن يجمع العالم في واحد

ثم يغير (ابن زيدون) من أسلوبه ليأخذ من الهجاء المباشر المشوب بالصفات القبيحة والذميمة فيقول:" مفرط الحمق والغباوة حافي الطبع,سيئ الإجابة والسمع بغيض الهيئة,سخيف الذهاب والبيئة ظاهر الوسواس. منتن الأنفاس كثير المعايب. مشهور النثالب.كلامك تمتمة وحديثك غمغمة. وبيانك فهفهة.وضحكك قهقهة ومشيك هرولة وغناك مسالة. ودينك زندقة وعلمك مخرقة" ثم يعمد ابن زيدون في سخريته وتهكمه من غريمه في الحب (ابن عبدوس) الى مقارنته بأشياء ترمز للغباء والحمق وهذا على سبيل المقارنة فيقول مثلا:" حتى أن باقلا موصوف بالبلاغة إذا قرن بك. وهبنقة مستحق لاسم العقل إذا أضيف إليك.وطويسا مأثورا عنه يمن الطائر إذا قيس عليك.فوجودك عدم والاختباط بك ندم والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر" ثم يأخذ ابن زيدون في طرح الأسئلة

والغرض منها التحقير حيث يقول على لسان محبوبته(ولادة) :" كيف رأيت لومك لكرمي كفاء.وضعتك لشرفي وفاء واني جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها والطير إنما تقع على الأفها! وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان. وشعرت إن المؤمن والكافر لا يتقاربان وقلت:الخبيث والطيب لا يستويان.وتمثلت:

(أيها المنكح الثريا سهيلا ۞ عمرك الله كيف يلتقيـان)

وما كنت لاتحطى المسك إلى الرماد ولا امتطي الثور بعد الجواد فإنما يتيمم من لم يجد ماء. يرعى الهشيم.من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له ولعلك إنما غرك من علمك صبوتي إليه وشهدت ما عطي له. من أقمار العصر وريحان المصر. الذين هم الكواكب علو همم. والرياض طيب شيم" **وابن زيدون** كغيره من الكتاب لجأ إلى التصوير الكاريكاتوري من خلال إلصاق عدة صفات على هيئة (ابن عبدوس) جعلته في صورة مضحكة:" وان كنت إنما بلغت قعر تابوتك. وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت إرادتك.وجررت هيمانك.واختلت في مشيتك.وحذفت فضول لحيتك وأصلحت شاربك ومططت حاجبيك ورفعت خط عذارك واستأنفت عقد إزارك.رجاء الاكتنان فيهم. وطمعا في الاعتداء بهم.فظننت عجزا..." ثم ينهي **ابن زيدون** رسالته هذه بأسلوب شديد اللهجة في إطار الإنذار والتهديد والوعيد. حيث يقول:" فان عدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه.بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا.فإذا صرت إليها عبث أكارها بك وتسلط نواطيرها عليك فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك. ومن فجلة منتنة يرمي بها تحت خصاك ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك. وترى ميزان قدرك" (1)

4- <u>رسائل التهنئة:</u> تعد مظهر من المظاهر الاجتماعية الحاملة لمعمى الصداقة والمودة والايخاء بين الأصدقاء والغاية منها توطيد العلاقات بين الطبقات الاجتماعية في مختلف البيئات. وترسيخ أسس الصداقة ولقد شهدت رسائل التهنئة في الأندلس نشاطا كبيرا على مستوى الدولة. فكانت هناك رسائل توجه لمن ظفر بمنصب أو تمت توليته على قطاع ما أو تمت ترقيته, وكذا على مستوى العلاقات الاجتماعية من تهنئة لمن رزق بمولود...

- ومن رسائل التهنئة التي جاءت في شان تولية منصب. رسالة **لابن طاهر** يهنئ فيها احد أصدقائه لتوليته منصب في الوزارة جاء فيها :" وان بشراي تتابعت أن هلاكك في الوزارة طلع بدرا.زان نداءك بها صار شفعا وكان وترا. ولقد قعدت التهنئة فأقبلت إلى هواديها وانثالت على من حواضرها وبواديها" (2)

---

(1)مصطفى الشكعة.الأدب الأندلسي(موضوعاته وفنونه.دار العلم للملايين.بيروت.لبنان. 1983 ص595-599
(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق ق3/م1. ص65

- ومنها رسالة **لابن خفاجة** يهنئ فيها بالقضاء وتدرجه في مناصب الوزارة فيقول:" ومثلك من شهدت له مخايل الولاية باكتمال السيادة واكتمال السعادة.وان القضاء شرف مرتبة وكرم مأثرة ومنقبة. ليضيف عن نصل فضلك غمده.ويغرق في بحر فخرك مده...وليهنئ الوزارة أن شدت بجيدك عراها ونيطت بنحرك حلاها. وشفع لها فضلك فاصار زترها شفعا.وجمع إلى يصر بها سمعا. وإنهما في تضافرهما لك وحسنهما بك لعقد ثنى بعقد وعلمان رجما في برد" (1)

- ويحاول **ابن خفاجة** في رسالته إبراز دور الدين في القضاء ومعرفة القاضي له فيقول:" إن الدين لمشتد بك أزره فعنانه على الرائض صعب وعوده على الغامر صلب"

- ومن هذا القبيل رسالة **أبو حمد بن عبد البر** في التهنئة يقول فيها:"أطال الله بقاء الوزير الأوحد.الخطير الأمجد مسرورا بسو الأحوال والرتب معصوما من طوارق الأحداث والنوب... ولما طلع البشير علي بتصيير الوزارة إليه ودور رحى الخلافة عليه جددت لله تعالى حمدا وشكرا ولنعمه الجزيلة ذكرا ونشرا.وأخذتني هزة الجذل والارتياح وأسفر لي وجه الأمل والاقتراح فانتشيت من فوح وطرب. ونيل مراد وارب ودعوت الله أن يجعلـــها ولاية,تبلغ من السعد نهاية وتضاعف الدين حماية..." (2)

- وعليه تقوم رسائل التهنئة الخاصة بأمور الدولة والسياسة من تقليد المناصب الرسمية في الدولة على نوع من التالف وحب المشاركة في متعة هذا التنصيب والترقية ويظهر وقع هذه الأنباء السارة في نفسية الكاتب من خلال قول **ابن طاهر**:" وان بشراي تتابعت" وفي رسالة **عبد البر** قوله:" ولما طلع البشير علي ... جددت الله حمدا وشكرا. وأخذتني هزة الجذل والارتياح. وأسفر لي وجه الأمل والاقتراح..."

- كما تقوم على نوع من المدح والإطراء في إطار المجاملة التي يطمح الكاتب من خلالها إلى تبيان أهمية الشخص المقصود للتهنئة وقيمته. وذلك بتوظيف النعوت والأوصاف والتي من شانها أن ترفع من قدره وتعلو من شانه في الجانب السياسي . ويظهر هذا المدح في رسالة (ابن طاهر) من خلال قوله:" ولقد قعدت للتهنئة فأقبلت إلى هواديها,وانثالت على من حواضرها وبواديها" . وفي رسالة (ابن خفاجة) من خلال قوله:" ومثلك من شهدت له فحايل الولاية باكتمال السيادة واكتمال السعادة ... وان شدت بجيدك عراها. ونيطت بزجرك حلاها ..."

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م2 ص555. 556
(2)المصدر نفسه. ق3/م1 ص217

وكذا ما جاء في رسالة **عبد البر** قوله :"أطال الله بقاء الوزير الأوحد,الخطير الأمجد مسرورا بسمو الأحوال والرتب معصوما من طوارق الأحداث والنوب"

- وكما ظهر نوع من التهنئة يدور موضوعه حول المناسبات الاجتماعية منها ميلاد الأطفال وما يحدثه هذا الخبر من سعادة في الأسر يحاول الكاتب مشاركة غيرهم فيها لتعم سعادة الجميع وتأصل الصداقة أكثر فأكثر. وفي هذا نورد رسالة للكاتب (أبو محمد غانم) بعث بها إلى صديق له بغرناطة يهنئه بميلاد طفل له, جاء فيها :" ومما أغفلته بقلة اليقظة,وسالت الله ألا تكتبه علي الحفظ تهنئتك بالفارس المولود. والفرع المودود. والنجم السعيد.الذي تطلع في أفق سمائك.وتلفع بلفاع ضيائك مليته ولدا برا حرا" (1)

وأيضا ما كتبه **أبو القاسم بن الجد** إلى احد أصدقائه يهنئه فيها بمولود له تمناه منذ وقت طويل بشوق وترقب فيقول:" أن أحق ما نبسط فيه التهنئة لسان.وتشرف في ميادين معانيه بيان وبنان أمل رجي فتأبى زمانا. واستدعى فلوى عنانا وطاردته المنى فاتبعها حينا وغازلته الهمم فأسعرها حنينا ثم طلع غير مرتقب وورد من صحبه المباهج في عسكر لجب. فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال والتدليل على ما ورائه من كواكب الإقبال.نجم سعادة تطلع في أفق سيادة,وغصن سناء تفرع من دوحة علاء, لقد تهالت وجوه المحاسن باستهلاله وأقبلت وفود الميامين باستقباله. ونظمت له قلائد التمائم من جوهر المكارم وخصب بالثدي الحافل بلبان الفضائل..." (2)

- والواضح في هذه التعابير أن مجيء هذا المولود إلى هذه الأسرة كان مرغوبا ومرتقبا ومحببا وأضفى إلى جو العائلة نوعا من البهجة والسرور والأمل والرغبة في الحياة يقول الكاتب في رسالتـــه:" فكان كالمشير إلى ما بعده من كواكب الآمال"
- كما ظهرت رسائل التهنئة بالنجاة من النكبات ومن هذا القبيل رسالة بعث بها(أبو القاسم بن الجد) إلى الوزير(أبي القاسم الهوزني) يهنئه بنجاته من نكبة ألمت به.ويظهر مدى سروره بهذه النجاة فيقول:" قد يجتنى-أعزك الله- من شجر المساءة ثمر المسرة,ويجتلي وجه المحبوب غب المكروه مشرق الأسرة..." (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م2 ص855
(1)المصدر نفسه. ق2/م1 ص293
(2)المصدر نفسه. ق2/م1 ص 291

- وما يدخل في غرض التهاني ما كتبه أبو محمد بن عبد البر إلى المعتضد بن عباد,ويهنئه فيها بانتصاره وضمه مدينة(شلب) معربا عن سعادته ووقوفه إلى جانبه فيقول:" اعزز به من صنع جميل صنع الله بحصول قاعدة شلب وذواتها في قبضتك واستظال ذلك الأفق بظل طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم قد خاب ظنه في التماسك واخلفه أمله في التهالك فأي نعمة ما اجلها وأجزلها... فظهوري منوط بظهورك وسروري موصول بسرورك واتصال حالي بأحوالك وحبلي بحبالك هنأك الله وإياي ما خولت. وقرن بالزيادة آلاء قبلك" **(1)**

-وفي مجال الانتصارات على المنافسين من الأمراء والملوك والملوك ما كتبه (**أبو العلاء صاعد البغدادي**) إلى **مجاهد العامري** صاحب (دانيه) يهنئه بانتصاره على خيران العامري صاحب المرية في موقعة حربية يظهر فيها سروره وسعادته بهذا النجاح فيقول:" كتابي وأنا مستطير فوحا ومستوفر مرحا...ولما أتتني احدث خرائطك الجزيلة وتبادرت التباشير باحتلال المركب.كاد الفرح يقضي علي وينزع التماسك من يدي..." **(2)**

- وهذه الرسائل تعكس الحياة السياسية المتدهورة في ظل ملوك الطوائف من حروب وتناحر.لما في ظلها هذا النوع من الرسائل لتهنئة الأمراء والملوك بهذه الانتصارات.

- كما ظهرت رسائل التهنئة لزيارة البقاع المقدسة. منها رسالة كتبها ابن الجد هنا فيها صديقا له بزيارته البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج فيقول: " كتبت وقد هزني وافد البشرى واستخفني رائد المسرة الكبرى بما سناه الله من قدومك محوط الجوانب والأرجاء منوط الفخار بذوائب الجوزاء محطوط الآثار في مواطن الرسل ومواطن الأنبياء فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها وأوضح في مناهج مسالكها, لقد شهد في الميقات يخلوص إهلالك واحوامك واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك ورضيت المروة والصفا عن كمال أشواطك وتهلهل بطن المسيل لسعيك فيه وانحطاطك ثم الوقوف الأعظم من عرفة تخشعك ودعائك.وارتفع خفض تضرعك واستخذائك.وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي تقربك وتزلفك وزكا تهجدك وتنقلك وعند الإفاضة فاضت مناك واوطارك.وقبلت هداياك وجمارك وحطت خطاياك وأوزارك بما صدرت عن تلك المعالم المكرمة والشعائر المعظمة لك من جميل الذكر في الخافقين.ولما قعد بي عن قصدك ما قعد ولم يمكنني الوفود في جملة من وفد استنبت كتابي ومنابي" **(3)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق ق3/م1 ص 129
(2)المصدر نفسه. ق4/م1 ص11-12
(3) المصدر نفسه. ق2/م1 ص289

5-رسائل التعزية: تعد التعزية نوعا من التعبير عن عواطف الصداقة والتلاحم الاجتماعي.وكما قلنا عن رسائل التهنئة أنها تعبر عن المشاركة في المناسبات الصادرة من تولية وترقية وتهنئة بمولود وزيارة البقاع المقدسة.فكذا الحال بالنسبة لرسائل التعزية باعتبارها تعبير صادف عن المشاركة في هذا الحزن والتضامن مع المعزى ومقاسمته أوقاته الصعبة.

- ومن رسائل التعزية نورد رسالة(لابن طاهر) يفتتحها بقوله يجري مجرى الحكمة والمثل وهو أن الدنيا متاع وغرور.ومآلها الخراب بعد الأعمار حيث يقول:" موهوب الدنيا- أيدك الله- إلى استلاب ومعمورها إلى خراب ومطمعها الآتي والسراب تغافص العزة,وتقطع در الدرة وتخون ذا الثقة المبرة...فرع والله من الفضل ذوى ونجم في الرياسة هوى.أظلمت بعد الآفاق وأدرك تمامه المخاق" وهو في هذا الصدد يذكر بعض صفات المرثي وخصاله كما هو معروف في رثاء الشعر,حيث يبدأ الشاعر بحكمة تنتهي بواقع زوال الدنيا ومتاعها ثم ينتقل إلى تعداد مناقب وصفات المرثي ليصل إلى تقديم العزاء والدعوة لهم بالصبر والسلوان وان هذا المصاب حكمة وابتلاء من الله عز وجل فهو المعطي والآخذ فيقول:" والحمد لله نفاذ أقضيته. ومحتوم قدرته.وهو المنهل لا يعل منه الذي ينهل فالتماسك عند هجومه ألزم ووفور الأجر عند ذوي النهى احزم" (1)

- ومن رسائل التعزية في المحارم ما كتبه(ابن البر) في تعزية صديق له لموت والدته.يبدؤها بالحديث عن تقلبات الدهر وأن دوام الحال من المحال فيقول:" يا سيدي.ومن لا زال جأشه ساكنا وحرمه آمنا... بودي-أعزك الله- لو خاطبتك بالتهنئة لا بالتعزية...ولمنها الأيام تحلى وتمر.والأقدار تسئ وتسر والرزايا تتطرف وتتحيف والمنايا تستدرج وتتخطف" ثم يذكر أثر هذه الفاجعة على نفسه ومحاولته مشاركة صديقه فيها ويعبر عن حزنه وألمه لفقد هذه الوالدة فيقول:" واتصل بي في وفاة الوالدة- المرجو لك دعوتها فساءني يعلم الله أن يطرق خطب رحامك.ويطأ رزء ذراك.مشاركة لك في الهمم ووقوعا معك تحت الحادث الملم..." لينتهي إلى تقديم التعزية والدعوة له بالصبر واحتمال الشدائد فيقول:" أرجوا أن تشد له عزائم عزمك وتحمله على كبد احتمالك وتقلب إليه محن اصطبارك وتذكى عليه قبس اعتبارك.فتعلم كثرته وجمومه. وتذكر شموله وعمومه.وتستشعر أنه عرف لا ذكر وعوان لا بكر فتتأسى بكثرة الباكين على الهالكين وتتعزى بسرعة اللاحقين على السابقين" (2)

- ولقد عرفت الرسائل الأندلسية حالات تمزج فيها التعزية بالتهنئة ما كتبه(أبو محمد بن عبد البر) حيث مزج فيها بين التعزية والتهنئة معا. وهذا النوع من الرسائل لا يتأتى لأي كاتب لصعوبة المزج بين مشاعر الفرح والسرور لتقليد منصب أو تولية بين مشاعر الحزن والأسى لفقد الشخص. فنجد رسالة (أبو محمد بن عبد البر) يبدؤها بمدخل يتحدث فيه عن تقلب أحوال الدهر وتناوب مساءا ته ومسراته فيقول:" أحوال الدنيا-أعزك الله- مبنية على التداول والتعاقب ومساءاتها جارية مجرى التبادل والتقارب. فمن عبرة تفضي إلى عبرة. ومن مساءه تعقب بمسرة ومن منحة تفتر عن محنة ومن قرحة تقلع عن فرحة" ثم يدخل إلى الموضوع فيقول:" انهي إلي من تقليدك العهد.إمضاءك العقد

---

(1)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1.ص81
(2)المصدر نفسه.ق3/م1.ص218

الناصر.سيدي وآسني عددي.أبقاه الله- علي بلنسية... مكان المعتصم رحمه الله-فقلت ملك تردد في عنصر وخاتم تنقل من خنصر.وقد سددت-أيدك الله- ثلما وشفيت كلما وسمت الخطوب رغما وأوسعتها هما" (1)

6- رسائل الشفاعة: وهي رسائل جاءت لغرض التوسط لطبقة من الناس لدى الملوك وذوي النفوذ في البلاد ويتولى هذه الشفاعة أو الوساطة كتاب من ذوي السمعة الجيدة والمكانة المرموقة بين الملوك.فهم بمثابة جسر يوصل ذوي الحاجة إلى صاحبها.

- ومن الرسائل الأندلسية التي يدور موضوعها في دائرة الشفاعة و الوساطة.رسالة (لابن زيدون) بعث بها إلى ملك (بطليوس) (المظفر سيف الدولة أبو بكر بن الأفطس) يشفع فيها لأحد الأدباء فيقول: "و هو فتى نام جده واستيقظ جده,فتنكر الزمان له واعتزت الأيام به بين ذئاب سعاية عوت عليه, و عقارب وشاية دبت إليه و أصلي بنار حرب لم: يجنها.....وآل به الأمر إلى فراق أحبته و البعد عن مسقط رأسه ....واشهد أن ذلك لم يزده للحاجب إلا ولاء....و انه لا يزال يعيد شكره و يبديه" (2)

و قد تكون الشفاعة و الوساطة لأحد أعيان الدولة ووزرائها و من هذا القبيل رسالة (أبو عبد الرحمن بن طاه)ر يشفع فيها لأحد أمراء الدولة **بني هود** في سرقسطة جاء فيها: "أكرم يد.....يطوقها المرء جيد مجده.و يزين بها ديوان حمده ما سد خلة من حسب أقعدته يد الدهر المريب.....وموصله وصل الله حرمتك بالسلامة من نكد الأيام بن المستعين بالله.....يرسل بي إلى مكارمك في ترميق حاليه و لحاولته لما جفت غضارته و عوض نكد العيش من رغد النعمة و حول إلى الضيق بعد السعة و إلى التجول من الدعة" (3)

كما كتب **ابن شرف القيرواني** رسالة يشفع فيها لأحد الشيوخ عند **المظفرين الأفطس** فقد أبعده هذا الأخير عن أهله و بيته ووطنه بسبب الوشاة الذين الصقوا به تهما دفعت بالملك **المظفر** إلى طرده من البلاد يبدؤها بمدح الملك و الأعراب عن حنينه و شوقه لملاقاته فيقول: "كتبت وشوقي إلى شرف لقياه و شيم سقياه, شوق القارضين إلى سكون و سكنى....واعتلا قي يذكره اعتلاق مالك و عقيل وقفا نبك بالملك الظليل....لي رغبة إلى مفاخره وتطارح بين يدي مآثره و ادلال على سماحة سحاياه.....ليصل إلى الغرض من رسالته و هو شفاعته لهذا الشيخ فيقول: "و ذلك أن شيخا يفنا قصد فنائي,فبكى حتى بل يفضل دموعه ردائي ومنعه الشوق بشجاه من الكلام على ارتجاءه.ثم ذكر انه كاسب نسيات.وأبو بنين وبنات...ووصف أن بغاه وحسده آذوه وتنصل من ذنوب قرفوه بها ومولاي

---

(1)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق- ق3/م1 ص398
(2)المصدر نفسه.ق1/م1.ص 62

أعلم بصدقها من كذبها" ثم يختمها وهو طامع في عفو وصفح هذا الملك وقبول شفاعته وثقة كبيرة في عدله وسماحته.فيقول:" ولا شك انه سيبلغه تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكرى والعناية ببعض امرى...وبودي لو تكلفت بآماله.وجمعت بينه وبين أطفاله...إلا أن يتفضل بأحسن الاحمل علي وعلى أبي جعرة تهشل فيعود – أيده الله- بفضيله الإيثار,ويكسبني في الناس أطيب الأخبار والآثار" (1)

- وعليه يمكننا القول أن رسائل الشفاعة ظاهرة فنية اقتضتها ظروف المجتمع الأندلسي في عهد ملوك الطوائف وما شهدته تلك الحقبة التاريخية من فتن واضطرابات سياسية هزت كيان المجتمع الأندلسي فظهرت تبعا لذلك فآت متمردة على الحكم وسادت الفوضى البلاد. وراح ضحية لهذه الظروف السياسية فئات من الناس منهم من نفي وغادر أهل ودياره.فكانت هذه الرسائل منفذا تطل من خلاله هذه الفئة وبصيصا من الأمل تترقبه الابصارو ورسولا يوصل شكواهم إلى الجهة الحاكمة في البلاد من أمراء وملوك. وقد تولى هذه المهمة مجموع من الأدباء ذو المكانة الأدبية المرموقة والصوت المؤثر المسموع عند الملوك. كما عكست هذه الرسائل الجانب التضامني والتالف الاجتماعي للمجتمع الأندلسي .

---

(1)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق- ق4/م1 ص195

المناظرات: ويمكن أن نسميها بتسميات مثل المنافرات أو المفاخرات أو المباحثات أو المجادلات أو المراوضات أو المخاصمات أو الناقصات أو المقاومات (1)

- وهى حوار بين شخصين أو فريقين يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين و يكون الدفاع عنه بشتى الوسائل وبتوظيف انجح الحجج و البراهين المنطقية للإطاحة بالرأي الآخر.

ويعرفها (عبد العزيز عتيق) بقوله: "فن يهتف الكاتب من ورائه إلى إظهار مقدرته البيانية وبراعته الأسلوبية فى الموضوع الذي يكتب فيه و من المناظرات ما يأتي على صورة رسالة يدور الحوار فيها بين شيئين أو أكثر أو بين شخصين حول موضوع معين.و منها ما يؤتى على صورة أشبه بالمقالة الحديثة و يبنى على التفاخر و المباهاة بشيء ما يقصد الإشادة به و بيان فضائله و مناقبه" (2)

و المناظرة عند (عبد العزيز بن عبد الله العواد) : "نوع من أنواع النثر الأدبي يقصد الكاتب من خلاله أن يظهر مدى قدرته الأدبية و مبلغ إبداعه بما يتناوله من الموضوعات التي يكتب فيها و يتخذ منها معرضا و إطارا لسحر بيانه و جودة أسلوبه و بعد خياله و لربما يتخذ بعض الكتاب من تلك المناظرات أو المحاورات وسيلة للرمز إلى هدف ينشد أو قصد يرمى إليـــــه" (3)

و لقد عرفت المناظرات منذ القرن الثاني للهجرة: "حينما كانت تحدث بين أصحاب الأفكار المختلفة و المذاهب المتنازعة من المسلمين فيما يتصل بالعقائد...و معروف أن إبراهيم النظام كان يناظر غير المسلمين من أبناء الأديان الأخرى فيتغلب عليهم بما أوتى من قوة خارقة في فن الجدل حتى اسلم على يده أناس كثيرون ,وكانت هذه المناظرات التي تتصل بالعقائد تلقى تشجيعا كبيرا من الخلفاء حتى أن المأمون كان يسمح للمتناظرين في حظرته أن يتكلموا في الديانات ويتناظروا بكل حرية وطمأنينة" (4)

- والمناظرة نوعن: حقيقية وخيالية, (أما المناظرات الحقيقية فقد كان أيضا لبعض الكتاب الأندلسيين فيها مجال واسع- فقد كتبوا في فضائل الأندلس وأهلها فباهوا غيرهم بتقدمهم الحضاري وفي رقيهم العلمي والفكري فافتخروا بمشاهير علمائهم وفقهائهم ومحدثيهم وكتابهم وشعرائهم ومؤرخيهم وما كان نهم من نتاج في مختلف فنون العلم والأدب والمعرفة, وأمعنوا في ذلك إمعانا ظهر أثره جليا فيما اثر, وقدر له البقاء من تراثهم. كما عنوا كذلك بالمباهاة بمدنهم الأندلسية وما تميزت به في جمال عمرانها, ووفرة خيراتها, وسحر بيئتها وروعة مناظرها) (5)

- والخيالية تعالـج بعض الظواهر الاجتماعية السائدة فـــي أي عصر وتأتي على السنـــــة الأزهــــار والأدوات والمباني: (ينطلق فيها الكاتب بعيدا بخواطره ووجدانه ويحلق بفكره وخياله ما شاء, فتراه يشخص الكائنات ويستنطق الجماد والنباتات بأسلوب عذب شائق فيجعل منها أناسي تتجاوز وتتباهى وتتفاخر فيما بينها, إذ يعلن كل من المتناظرين أو المتحاورين محاسنه وينشر فضائله) (6)

---

(1) محمد يونس عبد العال.في النثر الأدبي.الشركة المصرية للنشر.لونجمان ط1 1996 ص 99
(2)عبد العزيز عتيق.الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص 469
(3) عبد العزيز بن عبد الله العواد- النثر الأدبي الأندلسي ط1.1996 ص 147
(4)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص 267.
(5)عبد العزيز بن عبد الله العواد- النثر الأدبي الأندلسي.- مرجع سابق ص 473
(6)المرجع نفسه ص 148

1- المناظرات الحقيقية(مناظرات ذات طابع فكري) :

- كان مجالها واسعا لدى الأندلس و أهلها فأبدعوا بكل ما جاءت به قرائحهم فكتبوا في فضائل الأندلس و أهلها و هم يتباهون في ذلك بجمال بلادهم و طبيعتها الخلابة و بيئتها الساحرة و جمال عمرانها و تحفة قصورها و رياضها. و الإشادة برقيهم العلمي و الفكري و التباهي بأمجادهم.

(و هذا النوع من المناظرات منه ما يدور حول الإشادة و الفخر بمناقب الأندلس و تفضيلها على ما عداها في كل شيء.و منها ما تجرى فيه المناظرة بين مدن الأندلس حيث تفخر كل مدينة بما خصها الله به من مزايا ومحاسن لا توجد في غيرها) **(1)**

- وقد ارتبط وجود هذا النوع من المناظرات ذات الطابع الفكري بالأندلس في هذا العصر, لما شهد من تطورات مست جميع المستويات.

فبانقسام الأندلس إلى دويلات وانفراد كل حاكم بمقاطعته أدى هذا إلى ظهور علوم جديدة منها علوم الأوائل والتي كانت محرمة في العصور السابقة. فاتسعت بذلك دائرة العلوم وأصبح الكل يبدي راية ويطرح تساؤلاته بعدما كان من الخطر أن ترفع الأصوات أو تطرح هذه الأفكار أو تخطر في ذهن احد, فأكثرية الأدباء والكتاب قد لاذوا الصمت وفضلوا الانطواء خوفا من عواقب ذلك. ومن العوامل المساعدة على هذا التغيير في الفكر الأندلسي عاملين:

1- نظرا للأحداث التي شهدتها الأندلس خلال العصور الماضية من فتن واضطرابات داخلية هزت البلاد أدت بالكتاب الأندلسيين للبحث عن الذات الأندلسية في خضم هذه الأحداث ومحاولة استنطاق ماضيهم والتمسك بالموروث الثقافي والفكري والسعي لإنقاذ مستقبل بلادهم. والذي تهدده المخاطر من الداخل والخارج والتساؤل عن حقيقة أصلهم والذي يشترك في تكوينهم خليط من الأجناس البشرية من عرب وسقالب ومغارب وبربر وآسيان ومع الزمن امتزجت هذه الشعوب مكونة بذلك الشخصية الأندلسية

2- إن البلاد الأندلسية تمتلك مقومات ثقافية وفكرية لها جذورها العريقة فكان الأجدر لشعبها الاعتزاز بهذا الموروث والدفاع عنه والتباهي بفضائل البلاد وأمجادها وعلمائها وفقهائها وكتابها وشعرائها والرد على من ينتقص مزاياها وشانها

---

(1)عبد العزيز عتيق.الأدب العربي الأندلسي. مرجع سابق. ص473

- ومن هذا المنطلق ظهرت تلك المناظرات ذات الطابع الفكري التي يسع فيها الكتاب لبيان فظل بلادهم والتباهي بالتراث الفكري والحضاري والتغني بها.

- فمن ذلك ما كتبه الفقيه أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم في فضل الأندلس يعود السبب في كتابيها رسالة بعث بها ابن الربيب إلى أبى المغيرة بن حزم يلوم فيها الأندلسيين من علماء و كتاب و مؤرخين على تقصيرهم في حق بلادهم من إشادة و مباهاة بمحاسنها و فضائلها.يقول فيها:لم يتعب احد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده و لم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه.و لا بل قلها بمناقب كتابه و وزرائه و لا يسود قرطاسا بمحاسن قضائه و علمائه.." (1)

-و قد وصلت هذه الرسالة مسامع (**أبو محمد على بن حزم**) صدفة من منزل صديقه (أبو بكر ابن إسحاق المهلبى) أثناء مجلس (يمن الدولة) فكتب مناظرته التي عرفت بتباهيها بفضائل الأندلس و علمائها نزولا عند طلب صديقه (المهلبى) و الخطاب موجه للجميع : "فانك و إن كنت المقصود و المواجه فإنما المواد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي" (2)

-و قد جاءت هذه المناظرة من طرف واحد على غير عادة المناظرات التي تقوم بين شخصين أو طرفين أو فريقين و السبب في ذلك يعود لموت (ابن الربيب) قبل إنهاء (ابن حزم) مناظرته حيث يقول: "فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات رحمتنا الله و إياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى و قد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من في القبور..." (3)

- فقد كتب ابن حزم ليباهي بالأندلس وتراثها وحضاراتها ومجارات علماء المشرق في ذلك.

- يبدو لابن حزم مناظرته بمخاطبة صديقة والإعراب عن حنينه وشوقه للقياه بعد حمد الله والصلاة والسلام على اشرف المرسلين... يقول: " الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الأكرمين... أما بعد يا أخي-أبا بكر- سلام عليك, سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ ... " ثم يصف كيف أن الظروف شاءت أن يطلع على رسالة ابن الربيب فيقول : " واني لما احتللت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتأملته, فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبين في الدار أهل افريقية ... يذكر له فيها أن علماء

---

(1)المقري.نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ج3 ص157
(2) المقري. نفح الطيب. ج3. ص160
(3) المصدر نفسه ص160

بلدنا-بالأندلس- وان كانوا على الذروة العليا من التمكن باقافين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم, ومحاسن فقهائهم, ومناقب قضاتهم, ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم. "

ثم يأخذ في مناقشة حول من قال أن تراث الأندلسيين لم تسخر له كتب خاصة وعظيمة فيقول:" فأما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة. وخواص كل بلد منها. وما فيه. مما ليس في غيره. وهو كتاب مريح مليح"

- ثم ينتقل ابن حزم للحديث عن فضائل الأندلس بدءا بالناحية الإقليمية والموقع الفلكي للأندلس فيقول:" أما في قسم الأقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا ومعمق تمائمنا مع (سر من رأى) في إقليم واحد. فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا وان كانت الأنوار لا تأتينا إلى مغربية عن مطالعها على الجزء المعمور, وذلك عند المحسنين للإحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها. فلها من ذلك على كل حال يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع احد النيرين. بها تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في علوم القراءات والروايات وحفض كثير من الفقه والبصر بالنحو والعلوم..." بعد هذا يأخذ بالحديث عن فضائل الأندلس من الناحية الدينية محاولا بذلك إضفاء صفة القداسة على بلاده من خلال الإشارة إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يصف فيه جماعة " يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة..." (1)

والرسول صلى الله عليه وسلم يخلد طائفتين من المجاهدين هم أسلاف الأندلسيين الذين فتحوا بلاد الأندلس ويستخدم في ذلك كل الحجج والبراهين المنطقية والمعلومات التاريخية لإثبات أن البلاد المقصودة في الحديث هي الأندلس لا غيرها.

- ثم يأخذ في تعداد التأليف التي جمعت والفت في الأندلس فيقول:" وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الضان غير مجموع والفت عندنا تأليف في غاية الحسن.لنا خطر السبق في بعضها:فمنها كتاب(الهداية) لعيسى بن دينار وهي ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن قاسم ز واجمعها للمعاني الفقهية. وفي تفسير القران كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد ... ومنها في أحكام القران كتاب ابن أمية الحجازي. وكان شافعي المذهب... ومنها كتاب (التمهيد) لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ومنها كتاب في الصحابة.ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثره ما صنفوا في ذلك. ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد البر بن محمد بن يوسف بن القرضي في (المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال) ولم يبلغ

---

(1)المقري. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج3 ص161

عدد الغني الحافظ البصري في ذلك إلا كتابين. وبلغ أبو الوليد- رحمه الله- نحو الثلاثين.لا اعلم مثله في فنه البتة.ومنها في اللغة كتاب (البارع) الذي ألفه إسماعيل بن قاسم يحتوى على لغة العرب. ومنها كتاب احمد بن أبان بن سيد. في اللغة. المعروف بكتاب (العالم) نحو مائة سفر... ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السمـــــاء في(أخبار شعراء الأندلس) كتاب حسن.وكتاب بالحدائق **لأبي عمر احمد بن فوج**.عارض به كتاب (الزهرة) لأبي بكر محمد بن داود.رحمه الله تعالى... ومنها كتاب (التشبيهات من أشعار الأندلس) جمعة أبو حسن علي بن محمد بن أبي حسن الكاتب . ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس.للمستنصر رحمه الله تعالى... ومنها كتاب (التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس) تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار...

وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق وهي كتب حسان رفيعة.وكتب محمد بن الحسن المنحجي.أستاذنا.رحمه الله تعالى. وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان.وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد أدركنا وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا أحسن للقول.والعمل في الطبائع لنصدقن.

وكتب ابن الهيثم في(الخواص والسموم والعقاقير) من اجل الكتب وانفعها... " (1)

- ثم يذهب ابن حزم في مسايرة رأي ابن ربيب ومجاراته في قوله: " أن هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهـــم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمــــائهم" (2) يقول:" أما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى في المثل السائر:ازهد الناس في عالم أهله... ولا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم والماهر منهم واستقلالهم كثيرا ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما في سائر البلاد إن أجاد قالوا سارق صغير ومنتحل مدع.وان توسط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السيف قالوا:متى كان هذا؟ من تعلم؟وفي أي زمان قرأ؟ ولامه الهبل.وبهد ذلك إن ولجت به الأقدار احد طريقتين إما شغوفا بائنا يعيله على نظرائه أو سلوكا في غير السبيل التي عاهدوها.فهناك حمى الوطيس على البائس وصار غرضا للأقوال.وطلبا للمناصب ونصبا للتسبب إليه وذهبا للألسنة وعرضه للتطرق إلى عرضه وبما نحل ما لم يقل
- وطوق ما لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقد قلبه بالحرى وهو السباق المبرز إن لم يتعلق بالسلطان بحظ أن يسلم من المتآلف وينحو من المخالف فإذا تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستنشع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما اغفل فتنكس لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته,وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ نحوك

(1)المقري. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج3 ص161
(2)المصدر نفسه ج3 ص159

شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يلفت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الأمر" (1)

ويستمر **(ابن حزم)** في عرض المؤلفات الأندلسية مباهيا ومفتخرا بذلك بعلماء بلده وفقهائها وكتابها ونقادها وقد سرد عددا كبيرا منهم.

وعليه فقد مثلت هذه المناظرة شكل المناظرات الأندلسية ذات الطابع الفكري خير تمثيل لما حملته من أسماء للنبهاء والمشهورين من علماء الأندلس.كما صورت هذه المناظرة طريقة **ابن حزم** في الكتابة والجدل وابتعاد عن الصنعة والتكلف:" بل يعتمد البساطة في التعبير يبتعد عن الزينة اللفظية والسجع ولا يهتم بنظرية الأسلوب بل يرسله إرسالا دون التفات إلى حلاوة الجرس" (2)

مناظرات الشعوبية: وهي أول مناظرة من نوعها والتي يدور موضوعها حول فكرة الشعوبية وقد ساعد على ظهور هذه النزعة توسع نفوذ المسيحيين في بلاد الأندلس نتيجة انتصاراتهم وخضوع شبه كلي للدويلات الإسلامية وقد تجلت هذه الشعوبية في شكل معاداة للعرب وانتقاص من قيمتهم: " وترجع إلى انتشار عقد الخلافة وتمزق البلاد وظهور الدويلات المستقلة يتناهب الحكم فيها السقالب والمولودون والموالي والبربر العرب" (3)

وتحت هذا الانقسام والتفكك أتيحت الفرصة لذوي المطامع والأماني في التخلص من الحكم العربي وهذا يعود على الأجناس الغير عربية فكان هدفهم إرجاع الوضع السابق إلى ما قبل الفتح الإسلامي. وقد ظهرت معاداة للعرب في شكل أدبي.

- فطن الأندلسيون إلى أن الذي يسعى إلى هدم العروبة والانتقاص من قيمتها ومحاولة التفريق بين أبنائها الذين يجمعهم دين واحد يؤلف بينهم وهو الإسلام. والمس بالعروبة هو مساس للإسلام والمسلمين. فاخذ الأندلسيون في الدفاع والتصدي لمثل هذه الأفكار الشعوبية المستجـــــدة وذلك بتبيان.(المآثر العربية والمفاخر الإسلامية) (4)

---

(1) المقري.نفح الطيب. مصدر سابق ج3 ص123/122
(2) إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة) دار الثقافة بيروت. لبنان ط2 1969 ص333
(3) فايز عبد النبي فلاح القيسي. أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري.دار النشر للنشر والتوزيع ط1 1989 ص214
(4)ابن بسام الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م2 ص705

- فكان أول أثار حركة الشعوبية في الأندلس شكل المناظرة الأدبية جاءت صريحة واضحة, وقد عبر من خلالها (ابن غرسية) عن أحقاده اتجاه العرب. وقد وجهها إلى الأديب (أبي جعفر الخراز) يلومه فيها على تركه مدح (مجاهد العامري) ملك بلاده الصقالبي, واقتصاره على مدائح (ابن صمادح التجيبي) أمير الحرية.

- ويعود السبب في ذلك كون (مجاهد العامري) أصله صقالبي تنتفي فيه حمية العروبة بينما (ابن صمادح) تجيبي أصله عربي أصيل, فالسياق هنا ملائم لنغمة الشعوبية

- ويبدو (ابن غرسية) مناظرته بمخاطبة الأديب (أبي جعفر الخراز) ومحاولة إثارته على قوم(ابن صمادح) لتقصيرهم نحوه وعدم إعطاءه المكانة التي يستحقها فهم:" ليسوا بعرب ذوي أنيف حرب بل هم القياصرة الأكاسرة" (1)

- فقد اتخذ **ابن غرسية** في هذا التقديم حجة لعرض مفاخر العجم والتباهي بما لديهم ومقارنتهم بالعرب وغايته في ذلك ذم العرب وايرادهم في أحقر صورة.

- ثم يأخذ في عرض فضائل العجم وصفاتهم الايجابية ومحاولة إثبات السلبية منها في العرب. حيث يقول:" مجد.نجد,بهم لا عراة شويهات ولا تهم.شغلوا بالماذي والمران عن رعي البعران وبجلب العز على حلب المعز جبابرة قياصرة ذوو المعافر والدروع للتنفيس عن روع المرع حماة السروح نماه السروح صقورة غلبت عليهم شقورة..." (2)

- ويستمر بالإشادة بأهله والإطاحة بالعرب وهذه المرة يفتخر بصفات العجم أثناء الحروب من إسراع إلى السلاح والتضحية وحب الاستشهاد والموت:" والغريب إن أكثر ما يفتخر به ابن غرسية صفات تعودنا أن نتصورها إلا للعرب سواء حسنت للأنظار أو ساءت من نوع الإسراع إلى شن الغارة والتعويل على السلاح وحده والعناية بإعداد آلة الحرب وحب الموت والإقبال على المنية..." (3)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص706
(2)المصدر نفسه ق3/م2 ص706
(3)علي بن محمد-النثر الأدبي الأندلسي- دار الغرب الإسلامي- بيروت-لبنان-ط1 1990 ج1.ص440

يقول في ذلك **ابن غرسية** :" إذا قامت الحرب على ساق وأخذت في اتساق وقرعت الطنابيب واشرعت الأنابيب وقلصت الشفاه فغر الهدان فاه.وولي قفاه ألفيتهم ذمرة الناس عند احمرار البأس الطعن بالاسل.أحلى عندهم من العسل" (1)

- وواصل طريقه في الفخر والمدح مستدلا في ذلك بأشعار العرب من مثل قول **أبي تمام**:

مستسلمين إلى الحتوف كأنما ۞ بين الحتوف وبينهم أرحام

- وقد اخرج العرب في صورة سلبية حيث يقول:" فتبدو لهم صورة باهتة القسمات لا مجد فيها ولا سؤدد حياتهم بؤس ومعيشتهم شظف ومسكنهم حقير ورزقهم فقير فبالجملة فإنهم امة عقيم لا تنبت فيها نبتة الشرف باستثناء الدوحة النبوية التي جاءت فيهم كما يجيء البر في التراب" (2)

و **لابن غرسية** في مناظرته هذه يعمد إلى طريقة التضمين و الخلط حين ينسب لقومه العجم صفات لم تكن يوما فيهم بل الصورة هنا مستوحاة من صور الكرم و التباهة و الشجاعة و التصدي للأحوال و تقديم النفس للموت في سبيل الوطن و النسب الأصيل الممتد إلى النبي صلى الله عليه و سلم كلها صفات لا يمكن أن تكون إلا للإنسان العربي الأصيل و قد صور قومه على هيأة الإبطال الذين خلدهم التاريخ لما حققوه من انتصارات على المسلمين و ذلك في عهد ملوك الطوائف و سقوط معظم المدن الأندلسية بقيادة فردنلد و الفونسو السادس حيث يقول: "فمنا عليكم بالعتق و أخرجناكم من ريق الرق و ألحقناكم بالأحرار فغمطتم لنعمة فصفعناكم صفعا يشارك صفعا اضطركم إلى سكنى الحجاز و ألجأكم إلى ذات المجاز" (3)

ثم يستمر في الفخر بالعجم و ذلك بذكر علومهم و ما توصلوا إليه و يسميها بأسمائها اليونانية فيقول:حلم علم ذووا الآراء الفلسفية الاريضية و العلوم المنطقية الرياضية حملة الاسترلوميقى و الجومطريقى و العلمة بالارتماطيقى و انولوطيقا و القومة بالموسيقى و الفوطيقا و الهظة بعلوم الشرائع و الطبائع. والمهرة في علوم الأديان والأبدان ماشئت من تدقيق وتحقيق حبسوا أنفسهم على العلوم الدينية والبدنية. لا هلى وصف الناقة الفدنية" (4)

- ويستثني من العرب الرسول صلى الله عليه وسلم: " ابن عمنا الذي بالبركة عمنا الاسماعيلي الحسب الإبراهيمي النسب... وبهذا النبي أفاخر من يفخر وأكاثر جميع من تقدم وتأخر. المنيف الطرفين الشريف السلفيين المتلقي بالرسالة... أصلي عليه عدد الرمل ومدد النمل..." (5)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق. ق3/م2 ص707
(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص440
(3)المصدر نفسه. ق3/م2 ص707
(4)المصدر نفسه. ق3/م2 ص711
(5)المصدر نفسه. ق3/م2 ص713

- وينهي ابن غرسية مناظرته كما بدأها يلوم الأديب ابن الخزار بتركه مدح ابن مجاهد العامري الصقلي ويوجه تهديده له: فيقول:" نحن معشر الموالي لا نولي إلا من هو لعظيمنا موالي فاستأخر أو تقدم وحذار أن تقرع سن الندم" (1)

- و بهذا تنتهي مناظرة **ابن غرسية** ذات النزعة الشعوبية.يقول عنها (ابن بسام): "هي رسالة ذميمة...ذم فيـــــها العرب و فخر بقومه العجم و أراد أن يعرب فأعجم و إذا أفضى بنا القول إلى ذكرها فانا أثبتها ها هنا بأسرها.و اجتلب فصولا من رسائل جلائل بعض أهل العصر ردوا عليه و يكتبوه حتى أسكتـــوه..." (2)

- وقد رد على هذه المناظرة عددا من الكتاب أوردهم ابن بسام ثلاثة منهم في كتابه وهم: (أبو جعفر بن الدروين.فأبو الطيب عبد المنعم فابن عباس)

- وقد جاء رد **ابن الدروين** على مناظرة **ابن غرسية** الشعوبية ردا يوحي بالروح الوطنية وحمية الإسلام مدافعا بذلك على العروبة والإسلام والفخر بهم ومحاولة تسفية كل ما جاء به **ابن غرسية** وتحقير العجم مثلما فعل هو الكشف عن النقائص التي غفل عنها نسبها للعرب فجاء رده سب وسخرية واستهزاء وهذا ما نلمسه في المقدمة حيث يقول:" أخسأ أيها الجهول المارق والمــرذول المنافق أين أمك ثكلتك أمك أو ما علمت انك إنما سحبت من عقالك تعقالك. وقدمت أول قدمك لسفك دمك" (3) .

ثم لجا إلى أسلوب المناظرة من جدل ونقاش حاد وقلب كل ما جاء به ابن غرسية من مفاخر قومه إلى سلبيات

- وهذا ما ذهب به كل من (أبي الطيب وابن عباس) في ردهما على **ابن غرسيه** فقد تحدثوا عن مفاخر الأندلس وفضائلها وذكر مناقبها معتمدا في ذلك على الأسئلة الإنكارية وغرضهم من ذلك تحسيس **لابن غرسية** حجم التهم التي وجهها للعرب وترسيخ عقدة الذنب في نفسيته وتخطئ ما ذهب إليه وهي كلها ردود تمجد العرب وتفخر بهم. وتدخل ضمن إطار المناظرة ذات الطابع الفكري وتتميز بتعدد الأطراف المتجادلة. **فابن غرسية** بمناظرته تلك يظهر معاداته للعرب حين يفخر بالعجم وبما وصلوا إليه وتحقير للعرب والاستهزاء بهم. أثار حمية وغيرة الأندلسيين على أصلهم ولغتهم ودينهم فجاءت ردود معادية لما ذهب إليه **ابن غرسية** ومحاولة ترجيح الكفة لصالح العرب إليه ويضفي عليه صفة القداسة والقوة حيـــــن يقول:" لبنفسج:(وأنا- والله- المتعبد له والداعي إليه- والمشغوف به) وتقول زهرة الخيري كذلك لهذا الملك(الورد) : (والله أعطه الفضل دوني وهو له بالبيعة يميني ما اجترأت قط إجلالا له واستحياءا منه على أن أتنفس نهارا أو أساعد في لذة صديقا أو جارا...)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق. ق3/م2 ص714
(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص705
(3)المصدر نفسه. ق3/م2 ص715

- وعليه فمناظرة(ابن برد) : " تنص على مبايعة فيها معنى الخضوع المطلق الذي يبلغ حد الرق والعبودية. وهي أخيرا تتبرأ من كل من يشذ عن هذا العقد أو يخرج عن بنوده بمنافسة الورد في إمارته أو عصيانه والانـــــتزاه عليه" (1)
- ومن المناظرات الأندلسية التي جاءت على لسان الأزهار مناظرة (أبو الوليد إسماعيل بن محمد) الملقب بحبيب. كتبها(المعتضد بن عباد) وقد جاءت مناظرته مكملو لما قاله (ابن برد) في مناظرته حيث جعل الولاء المطلق للملك (المعتضد) وذلك بتشخيصه في زهو (البهار) حيث أعلنه إماما على بقية الأزهار حيث يقول:" إن نواوير فصل الربيع التي هي الورد في الوطن وصاحبته في الزمن لما قرأت ما كتبه (ابن برد) على الورد أنكرت ما فيه وبنيت على هدم مبانيه ونقض معانيه وعرفت الورد بما عليه فيما نسب إليه من استحقاقه ما لا يستحقه واستئهاله ما لا يستأهله ورأت أن مخاطبة من اخطأ تلك الخطبة وأدنى من نفسه تلك الدنية تدبير دبري ورأي غير مرضي.فكتبت إلى الأقحوان والخيري كتابا قالت فيه:لو أن استحق الورد إمامه واستوجب خلافة لبادرتها آباؤنا ولعقدنا أوائلنا التي لم تحاوره في مكنه وتجيء معه في أوانه بما غيره أشكل له وأحق به وهو نور البهار البادي فضله بدو النهار والذي لم يزل عند علماء الشعراء وحكماء البلغاء مشيها بالعيون التي لا يحول نظرها.ولا يحور حورها وأفضل تشبيه الورد بنظرة الخد عند من تشيع فيه واشرف الحواس العين إذ هي كل متولي عين.ليس الخد حاسة.فكيف تبلغه الرئاسة؟ أين الخدود من العيون نفاسة ورئاسة لولا القياس الفاسد . وأصبح تشبيه الورد أقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعر الطائي ولقد وافق ووفق وشبه فحقق" (2)
- فعليه فمناظرة **أبو الوليد** تنحو المنحى نفسه الذي سلكه **ابن برد** في تعظيم ابن جهور وإعلان الرئاسة له وتفضيله عن سائر ملوك الطوائف.فأبو الوليد كذلك يعلن ولاءه وانتمائه للمعتضد واستعمل في ذلك الحجج والبراهين لتأكيد أفضلية البهار على الورد ومحاولة تخطيء ما ذهب إليه ابن برد في تفضيله للورد.
- وهذا ما ذهب إليه **أبو عمر بن الباجي** في مناظرته التي جاءت على لسان البهار.ويرمز به الملك المقتدر بن هود وفيها منافسة قوية بين الورد والبهار جاء فيها: "أطال الله بقاء المقتدر بالله مولاي وسيدي ومعلي حالي ومقيم أودي.وأعادني من خيبة العناء وعصمني معه من إخفاق الرجاء.ولا اشمت بي عدوا من الرياض يناصبني. وحاسدا من النواوير يراقبني.وقد علم الورد موقع إمارتي وغني بلطيف إيماني عن عباراتي وأنها تحية الزهر حياك بها وخبيئة ذخرها لك واهلك لها وقد أتيت في أواني وحصرت وعاب اقرأني... وأنا عبد مطيع مسخر ومملوك بتصرف مدبر.حقيق بان يحسن إلي فادني وجدير بان يهتبل بي ولا احفي لأني سابق حلبة النوار وأول طلائع الأزهار وأنا ناظـــــر الفضل وعينه ونضار الروض ولجينه.وقائد الظرف وفارسه وعاقد مجلس الأندلس وحارسه" (3)

---

(1) علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي.دار الغرب الإسلامي. ط1 1990 بيروت . لبنان ص445
(2)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص130.131
(3)المصدر نفسه. ق2/م1 ص194.195

- ومن الملاحظ على هذه المناظرة اختلافها من حيث القصد والهدف عن مناظرة **ابن برد** والتي رمز من خلالها **للملك ابن جمهور** بالورد.ومناظرة **أبو الوليد** في تفضيله للبهار والذي يرمز به **للملك المعتضد** . أما مناظرة **أبو عمر بن الباجي** فبحديثه عن البهار فهو يرمز به لنفسه لان غايته التقرب من الملك **ابن هود** والطمع في إنعامه واثبات ولائه التام له حين وصف نفسه بالعبد:" عبد مطيع مسخر ومملوك بتصرف مدبر حقيق بان يحسن إلي فادني وجدير بان يهتبل بي ولا أجفى لأني سابق حلية النوار..." (1)
- ثم يعود **ابن الباجي** إلى أسلوب المدح والتوسل للملك ابن هود للوصول إلى هدفه المنشود من التقرب من الملك والرغبة في الدنو من مجلسه والتطلع لنيل أعلى المراتب لديه.ونيل رضاه.يقول في هذا:" فهل لمولاي أن يحسن لي صنيعا.ويكرم النور جميعا ويدنيني فارقي إلى أختي الثريا سريعا في مجلس قد أخلصته سحائبه وأفرغت الحمن عليه والطيب ضرائبه.وجهك بدوره وعزتك فجوة.وأخلاقك زهرة.وثناؤك درة وعطره..." (2)
- ويعرب **ابن الباجي** في الأخير عن خوفه من تغير أحواله بعد بلوغه سنا متقدمة وكثرة الحاسدين والواشين فنجده يعبر عن همومه الخفية بقوله:" وقديمـــــا أكرمني مولاي فلا يهنئ . ووصلني فلا يصرمني ومنحني فلا يحرمني..." (3)
- وقد عبر **ابن الحناط** عن إعجابه بمناظرة **ابن باجي** في البهار وألمح إلى مراميها البعيدة وأشار إلى غرابتها وبديع معناها وسحر ألفاظها فقال في رسالة خاطب فيها احد أصدقائه:" بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر بن الباجي في البهار منقولة بخط على اختلاله واختلاف أشكاله إلا أن حسن الرسالة وموضعها من البلاغة والجزالة يغطي علي تماءة خطي ودناءة ضبطي فاجتلها- أعزك الله- عروس فكر لحظها حبر ولفظها سحر ومعناها بديع ومنتهاها رفيع ومرماها سديد ركب اللفظ الغريب فاعتن له المراد البعيد.يطمع ويؤنس ويوحش ويؤنس فأما أطماعها فيما تحرز من لدونة ألفاظها وسهولة أغراضها وأما اياسها فيما يعجز من امتثالها ويبعد من منالها" (4)
- وذلك بذكر سلبيات العجم والفخر بما حققوه وإضافة شريف الأعمال إليهم.واثبات قدرتهم في المجال الأدبي.
- ومن خلال عرضنا لمناظرة **ابن حزم وابن غرسية** ذات الطابع الفكري محاولة منهم لإعلاء وجهة نظره حول أصله وموطنه. (العرب,العجم) فكان الدفاع عنها بتوظيف الحجج والبراهين التي تمس الجانب الأدبي والفكري والتاريخي... وذلك لإظهار بلده في أحسن صورة وأبهى حلة.

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص195.194
(2)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195
(3)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195
(4)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195. 196

- وبهذا فقد استطاع النثر الأندلسي وبصفة خاصة فن المناظرة التعبير عن الحالات النفسية ونقل الآراء المتججة غضبا والمشحوذة بكل مشاعر الوطنية.وعليه فقد دخل النثر الأندلسي مجال الصراع الفكري الذي طغت عليه الصيغة السياسية في فترة عرفت فيه الوحدة الأندلسية تفككا وانقساما في الحكم وظهور القوميات التي عرفت في التاريخ بملوك الطوائف والتي فتحت بذلك عيون الطامعين من داخل البلاد وخارجها فادى هذا بنهوض الكتاب الأندلسيين للدفاع عن عروبتهم والفخر ببلادهم والدفاع عنها ضد كل من في نفسه مرض.فقدم الكتاب الأندلسيين كل ما جادت به قرائحهم وتسخير أقلامهم للتغني بأمجاد العربية والفخر بانتمائهم للإسلام.

-**<u>المناظرات الخيالية</u>**: " وينطلق فيها الكاتب بعيدا بخواطره وبوجدانيه ويحلق بفكره وخياله ما شاء فتراه يشخص الكائنات ويستنطق الجماد والنباتات بأسلوب عذب شائق فيجعل منها أناسي تتجاوز وتتباهى وتتفاخر فيما بينها إذ يعلن كل من المتناظرين أو المتحاورين محاسنه وينشر فضائله" (1)

- وتعالج من حيث الموضوع بعضا من الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر ملوك الطوائف. وهذا النوع من الكتابة شمل عدة أنواع من المناظرات منها ما كان على لسان الأزهار. ومنها ما كان بين المباني وبين الأدوات:

<u>أ- المناظرة بين الأزهار</u>: يعود ظهور هذا النوع من المناظرات على لسان الأزهار لشغف الأندلسيون بجمال بلادهم وسحرها وحبهم لطبيعتها الخلابة ولجمال بيئتها الساحرة.فهي مصدر إلهامهم وفخرهم.ولقد عرفت الطبيعة الأندلسية ألوانا مختلفة للأزهار وتنوعت أسماءها فكانت الأزهار والورود والنرجس والبهار والبنفسج...واختلفت أذواق الناس في تفضيلهم لهذه الأنواع والميل إلى نوع على حساب نوع آخر.ومحاولة إبراز محاسنه وتشخيصه واستنطاقه.

- ومن أول الكتاب الذين أبدعوا في هذا الفن (**أبو الحفص بن برد الأصغر**) حين كتب إلى (**أبي الوليد بن جهور**) بمناظرة في تفضيل الورد.أجرى فيها حوارا بين الأزهار فيبدؤها بعقد اجتماع بين الأنوار والأزهار :" وتعتمد رسالة **ابن برد** على مقدمة يشرح فيها الناطق باسم الأزهار جمال كل نوع منها.ثم يذكر المجتمعين أن فيهم من يستحق الرياسة وهو الورد وقام كل نور حضر ذلك المجلس فادى شهادته" (2)

- وقد أقام حلفا بين الأزهار والنوار من اجل إيجاد حلف بينهما فقام قائم منهما بحمد الله ويبدي شكره على منحه من حسن أنواع الزهر وجعلها تحب. ثم ينتقل إلى ما يشبه النقد الذاتي لعدم اعترافه بالأفضلية لغيره وإنكار الرئاسة على الورد: (مع انه الأكرم حسيا والاشرف زمنا) (3)

- ويجلس هذا الخطيب وكأنه حكيم الجماعة وضميرها الحي فيقوم البنفسج مؤيدا لهذا الرأي مبايعا للورد على الحكم والرئاسة.

فقال النرجس الأصغر: (والذي مهد لي حجر الثرى وأرضعني ثدي الحيا لقد جئت بها أوضح من لبة الصباح واسطع من لسان المصباح ولقد كنت اسر من التعبد له والشغف به والأسف على تعاقب الموت والرجعة دون لقائه ما انحل جسمي ومكن سقمي وإذ قد أمكن البوح بالشكوى فقد خف ثقل البلوى)

- ثم قام البنفسج وقال: (على الخبير سقطت.وأنا والله المتعبد له الداعي إليه المشغوف به كلفا المغضوض بيدي النائي عنه أسفا وكفى ما بوجهي من ندب وبجسمي من عدم نهوض ولكن في التأسي بك وفي الاستواء معك وجدان سلو)

---

(1)عبد العزيز بن عبد الله العواد.النثر الأدبي الأندلسي. ط1 1996. ص148
(2)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص290
(3)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص123

- وينهض البهار بعده ويرى رأي البنفسج ويذهب مذهبه ويأتي الخيري وهو آخر المتحدثين فيحقر نفسه ويعظم للورد ويمد إليه البيعة على الطاعة والولاء.وتختم الرسالة باتفاق جميع الأزهار على وثيقة رسمية (هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر وضروب الزهر...عندما راجعت من بصائرها وألهمت من مراشدها واعترفت بما سلف من هفواتها.وأعطت للورد قيادها وملكته أمرها...واعتقدت السمع والطاعة والتزمت له الشرف والعبودية وبرئت من كل زهر نازعته نفسه المباهاة له والانتزاء عليه في كل وطن ومع كل زمن) (1)
- وعليه تعد مناظرة ابن برد على السنة الأزهار تمثيلا للمناظرات الخيالية وقد اعتمد في ذلك أسلوب جدلي والأدلة العقلية متجها في ذلك إلى النقد الذاتي في مفاضلاته.
- ثم قام البهار فقال: (لا تنظرن إلى غضارة منبتي.ونظارة ورقي ورقتي وانظروا إلي لقد صرت حدقة باهتة تشير إليه.وهينا شاخصة تندي بكاء عليه.)

ولولا كثرة الباكين حولي ۞ على أخواتهم لقتلت نفسي

- ثم قام **الخيري** فقال: (والذي أعطاه الفضل دوني ومد له بالبيعة يميني ما اجترأت قط إجلالا له واستحياء منه على أن أتنفس نهارا أو أساعد في لذة صديقا أو جارا فلذلك جعلت الليل سترا واتخذت جوانحه كنا)
- ثم استوت آراء الأزهار وأجمعت على تقديم الرئاسة للورد: (إن لنا أصحابا وأشكالا واقرابا نلتقي بها في زمن ولا نجاورها في وطن فهلم فلنكتب بذلكم عقدا ينفذ على الاقاص والاداني.فكتبوا رقعة نسختها هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر وضروب الزهر وسميتها وشتويها وبيعيها وقضيها حيث ما نجمت من وهاد أو ربوة وتفتحت من قرارة أو حديقة عندما راجعت من بصائرها وألهمت من مراشدها واعترفت بما سلف من هفواتها وأعطت للورد قياده وملكته أمرها وعرفت انه أميرها المقدم لخصاله فيها والمؤمر لسوابقه عليها. واعتقدت له السمع والطاعة والتزمت له الرق والعبودية وبرئت من كل ذهر نازعته نفسه المباهاة له والانتزاء عليه في كل وطن ومع كل زمن فانه زهر قضى عليه لسان الأيام هذا الحلف فلنعرف أن إرشادها فيه وقيام أمرها به) (2)
- ومناظرة ابن برد تعكس في مضمونها أوضاع المجتمع الأندلسي في ظل ملوك الطوائف فالورد يرمز به إلى الملك **ابن جهور** فالكاتب يحاول أن يقر له الرسالة والحكم على حساب حكام المقاطعات الأخرى حين رمز لهم بالأزهار الأخرى (البنفسج.النرجس.البهار.الخيري)
- وقد جنح **ابن برد** إلى أسلوب التلميح والإشارة من مثل قوله: (هو أولى بالرئاسة منا ...وان بذلنا الإنصاف عن أنفسنا ولم نسبح في بحر عمانا ولم نمل مع هوانا دنا له ودعونا إليه فمن لقيه منا حياه بالملك) فهي تعبير بشكل أو بأخر عن الظروف السياسية التي عرفتها بلاد الأندلس في هذا العهد.ومن كثرة الحكام واستقلال كل مقاطعة بحاكمها واشتداد روح التنافس بين هؤلاء الملوك على الحكم والسلطة والنفوذ.

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق. ق2/م1 ص129

(2)المصدر نفسهق2/م1. ص129

- فابن برد يجعل من ابن جمهور ملكا تخضع الملوك لأمره وتنقاد الأهواء
- ومن المناظرات التي جاءت على لسان النرجس مناظرة الوزير الكاتب **أبي الفضل بن حسداي** كتبها **(للمقتدر بن هود)** وهي مناظرة مغايرة للمناظرات السابقة حيث أن الحوار لم يعقد بين : (النرجس والأزهار الأخرى وإنما جعل الحوار بينه وبين احد الناس من خواص المقتدر بن هود) (1)

فالخطاب لم يوجه للملك لبن هود مباشرة بل جاء عن طريق احد خواصه ليكون له الوقع في نفس الملك ويحظى باهتمامه ليرقى إلى درجة خواصه فيقـــول : " حتى أتيح طريق من خواصك يقصدني وسبيل من عبيدك يعتمدني" (2)

- والنرجس في مناظرة لبن حسداي يرمز به إلى : النديم المخلص أو الصديق الوفي الذي لا يريد الحاسدون له خيرا في ظل الأمير صاحبه) (3)
- وان رسول الملك مر على النرجس فوجده في حالة ذبول فخاطبه متسائلا: " يا أيها الزهر الفارد والنور الشارد الساحر بحدقه.وأجفانه. الناظر بورقة وأغصانه الباهو بورقه وعقيانه مالي أرى قبضتك غبرا ذابلة.ومنابتك شعثا ناحلة وعهدي بك تمج الأنواء ريقتها في ثغورك فتبح حافلة.وترضع الانداء أفنانك فتغدو حاملة فتنوء بجيدك منثني.كأنك أصبحت منثنيا وقد ساءني ما عانيت من ضناك ونحولك" (4)
- ويبالغ بشعوره بان ينقله من مقامه ومن مجاورته:" للنبات الهشيم إلى جنات السور المقيم ونتسعد بالفوز العظيم باستسلام راحة الملك الكريم" (5)
- وقد سعى ابن حسداي في مناظرته إلى إثبات تفوق النرجس على غيره من أنواع الأزهار حيث وصفه بأنه:" قائد الأنوار.ووافد الأزهار.وأنا لها جالب وهي طاردة ومبسر بورودها.زهي مؤيسة متباعدة فاني غلبت بما طبعي من التيقظ والذكاء" (6)

---

(1)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص291
(2)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص471
(3)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص291
(4)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص471
(5)المصدر نفسه. ق3/م1 ص471
(6)المصدر نفسه. ق3/م1 ص472- 473

- وقد عبرت هذه المظاهر عن هموم الكاتب الذاتية,فقال على لسان النرجس: " فكم تمنى الأزهار أن تضام لديك مطالبي وتكثر في ذراك مشاربي فأزل عني حسدهم بكبتهم فقد شجاهم تقدمي قبل وقتهم" (1)

- وفي النهاية يختم **ابن حسداي** مناظرته بأسلوب يمزج فيه بين غرض المدح والاستعطاف والرجاء للتقرب من الملك **ابن هود** ونيل رضاه: " فلا تضع أيها الملك سبق تقدمي وحق مقدمي فقد أشخصت طرفي إليك أملا وبسطت نحوك كفي سائلا.وحسبي أن تلاقيني ببشرك وتناجيني بفكرك فتنبه الغرم من وسنه وتنشر الحزم من جنته ذلك من براعة العلا.وأصالة النهى ذكاء يره الأول اقتراح زنده ومضاء يغري بأسر هز خده. ولديك من مناهل الكرم ونواصل النعم وما يزري بالمزن ويوفي على الديم:

ما نفخ لنا من طيب خلقك شيمة ۞ إذا كانت الأخلاق مما توهب (2)

- وعليه فقد تبين لنا من خلال مناظرة **ابن برد** على لسان الورد ومناظرة **أبو الوليد** في تفضيله للبهار على غيره.وأخيرا مناظرة **أبو الفضل بن حسداي** على لسان النرجس مدى التشابه بينهما من حيث الغاية وهي التقرب من الملوك وكسب ثقتهم أو نيل رضاهم.ومدى التنافس بينهم على السنة الأزهار والتي تعكس من جهتها الوضع السياسي المشحوة بالتنافس والصراع الذي شهده ملوك الطوائف. هذا الوضع الذي دفع بالكتاب الأندلسيين إلى تفضيل احد الملوك على الآخر وذلك باستخدام مهارته الفنية في ذلك. فكانت المناظرات أفضل تمثيل لهذا الواقع.

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص472
(2)المصدر نفسه. ق3/م1 ص472- 473

المناظرة بين المباني: يعد هذا النوع من المناظرات خصوصية أندلسية وشكلا جديدا عرف عند الاندلسيين في هذا العهد ويعود ذلك الى طبيعة البلاد المادية.وما عرف عنها من كثرة القصور الضخمة والمباني الفخمة وفي هذا المجال تنافس الملوك والأمراء

- ومن قبيل المناظرات التي دارت على السنة المباني ومحاولة استنطاق الجماد.مناظرة أقامها أبو جعفر بن أحمد الداني) بين قصرين من قصور (المعتمد بن عباد) باشبيلية,أحدهما (المبارك) والآخر (المكرم) وهي مفاخرة ضمنية يبادر فيها القصر المبارك,وهو المكان الذي هجره الملك لينتقل الى القصر المكرم بالحديث فيقول:" نحن ايها المحل السعيد,والقصر القديم الجديد.وان نبضت فينا عروق.نعلم أنه لبعضنا على بعض حقوق.فما أحقنا بحق المشايعة والمتابعة لما نظمنا من سناء الدولة اللخمية وتشرفنا به من ولاء المملكة المعتمدية-عقد الله لنا أسبابها, ومد علينا أطنابها- وحقا أقول أيها القصر المكرم:لا جرم انه لك السبق والتقدم,فانك أس الخلافة.وقرارة الرياسة ومركز الدل المتداولة. شهدت الأشهاد انه بك مهدت البلاد,وعنك انبثت الجياد كأنها الجراد على حين اشتدت شوكة المارقين.وحميت جمرة المعاندين فألظوا بهم مجلحين.وشنوا عليهم الغارة ممسين ومصبحين. فأذلوا كل جبار عنيد وقطعوا دابر كل ختار مريد.حتى خضدوا تلك الشوكة,وأطفأوا تلك الغائرة فانجلت الغماء وسكنت الدمهاء بتدبير قاضي العدل وحكم عباد البأس والفضل. فمرت لك كذلك برهة. وتراخت بك على تلك الحال مدة آمنا سربك صافيا شربك.لا يطار غرابك, ولا يضار بسوء جنابك فهنيئا لك النعمى الأولى.وهذه أخـــرى" (1)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص759

- ويواصل القصر المبارك حديثه وقد ظهر في صورة الراضي بالقضاء والقدر والاستسلام لحقيقة الواقع الذي يعيشه من حب الملوك لتغيير قصورهم وهجرتهم من الى الأفضل. والنعاني المتضمنة في هذه المناظرة تنم عن أحوال ملوك الطوائف آنذاك التي شهدت تغيرا وتقلبا في أساليب المعيشة وتنقلهم بالحاشية من حال الى حال ومن مكان الى آخر. فيقول: " ولما ثاب من سعدي ثائب.وأسعد جدي قدر غالب. درج عنك الي وطلع من تلقائك بطالع الاقبال علي.المولى المعتمد الذي أحياك رفاقا قدم.وأسب فيك كبيرا قد هرم.كما أحيا ذكري.ونوه من قدري.اذ حط اسمي عن عرض الدور لأثبته في ديوان ساميات القصور....

في كل شـــــارق الزوار تكنفني ۞ وبعد حول يزار الركن والحجر

لو أن ايوان كسرى كان عاصرني ۞ فكان لـــــــي دونه عز وفتخر

بساحتي تعقد الرايات يتبعهـــــا ۞ جيش يسايره أو يقدم الظفـــر

وان الخجل منك ليكسوني أثوابـــا ۞ والمعرفة بحقك تقتضينـــــــي

اعترافا لك واسعابا على ما ضيعته قبل من مداخلتك وفرطت قديما فيه من مواصلتك فاني كنت آنفا في نحو ما انت فيه اليوم زاهيا- هنأك الله المنحة منه وسوغك النعمة اليك وجب أن أخاطبك معتذرا مستغفرا...." (1)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق. ق3/م2 ص 750

ثم يصرح القصر **المبارك** أنه بحث طويلا عن كاتب يكتب عنه هذه الكلمات ليكون وسيطا وشفيعا له عند الملك (المعتمد) فكان هذا القصر الجديد المكرم خير من يمثله فيقول :" وتنازلت أطلب من يجيد ما يكتب حتى قيض فنشئ هذه الرقعة وحلي لدي بالبلاغة فخاطبك عني بما تراه وتتوضح مغزاه وقد استوجب باتصاله بي.واعتلاقه بسببي حقوقا عندي وحظا وافرا اعتنائي وودي وأسألك فضل العناية به دوني وصدق الشفاعة له عني عند المولى المنعم. ولا أقل من أن يبلوه ويخبره فان استحق بالاحسان احسانا أوسعه وأوسعني عنه انعاما وامتنانا. وان كانت الدولة السعيدة غنية عنه فما أخلق مكارمه بأن يلحفه ظلها ويبوئه فضلها فيكون في خباياها. ويقيم في ذراها ليعلم من علم بقصده لها انه قد حلي بطائل منها وعسى ان يظفر بعد حين رأي في تشريفه بتصريفه" **(1)**

- ويرد عليه القصر المكرم ردا لا يقل أصلا ونبالة وفضلا عن رأي القصر المبارك حيث يقول:" أحسنت ايها القصر المبارك أحسنت,شد ما بنيت وسرعة ما القيت وأصبحت- والله يتم سناءك وينمي بهائك- وبهذه الطبائع محبب المقاطع والمنازع:

ومن يك عبـــــدا للمؤيد لا يزل ۞ حميدا مساعيه سديدا سهامــه

مليك اذا ما عم أمرا فانمــــــا ۞ ذريعته خطية وحسامـــــــه

لقد هيأت لك الهيئة العلوية مراتب سنية وأطلعتك النصبة الفلكية مطالع من السعود سمت بك صعدا الصعيد. ومنحتك من عزة السلطان ما اناف بك على الأقران الى العنان فأين منك الجوزاء. وقليل لك ان أقول الابلق الفرد وتيماء! انت فلك نجوم الملك وسماء رجوم الشرك... والته يا سيد القصور. وبهجة الدعور ما تقرر لك لدي. وقص عنك الي من محاسن أحرزتها صفتك وفسرتها جملتك من تحليلك بوجهين على منصبين فيضيف الى مجلس بين حيرين كلاهما محاسنه فائقة... فأنت منها في ظل ممدود وطلح مخضود وطلع منضود...

لقد فات حسنك كل القصور مثلما ۞ فات المؤيد كل ملك في الورى

ملك اذا وقف الملـــوك ببابـــه ۞ عاد المعظم منهم متصغـــــرا

طلب المعـــالي بالعـوالي واللها ۞ فاختارهـــا والطالبوهـــا بالعرا

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص762

وبودي أيها القصـــر المألـــوف جنابـــه. المنيف نصابـــه. لو أمكننا اللقـــــاء حتى الشفـاء. ويتمكن الاخـــــاء:

ولو كـــــان سعى الجهـــــاد ۞ سعى بي نحـــوك فرط الوداد

وشخصك الا أطالعـــــه لحظا ۞ فاني اطالعـــه بالفـــــؤاد

ولقد أثقل ظهري وأعيا ناهض حمدي وشكري اذ أخذت بطرفي الفضل وسمتني خطتي العجز في القول والفعل ما تبرعت به- ولك انم الطول فيه- من مبادهة المخاطبة...

فلولا ما اتصل بي عنك وتقرر لدي من لدنك من صحة طويتك.وسلامة دخلتك,لقلت : هذا الجفاء مجلو في صورة الثناء. والازدراء مخبو تحت لسان الاطراء وانك امعنت في كتابك في التصريح... ولا مررت منه بفقرة الا صرحت لي عن ندرة. وكلما اعدت طرفي راعي حسن ما تعيده وتبيده فطفقت تارة به اعجب وأخذت طورا منه أعجب وقلت:" لله كاتبه,لقد اوجز فأعجز واقتضب فكأنما أسهب. ثم عدت أقول لا عجب استملي من محاسن "القصر المبارك" فكتب. وهل هو الا البحر يقذف بالدر والروض يبسم عن يانع الزهر" (1)

- تقوم مناظرة أبو جعفر بن أحمد على نوع من اعتراف الطرفين المتناظرين بأحقية الآخر وأهميته وقيميته والحجج والبراهين المستخدمة تخدم كلا الطرفين المتناظرين (المبارك,والمكرم)
- فنرى القصر المبارك وهو القصر القديم الذي هجره الملك المعتمد يتحدث عن القصر المكرم المحل الجديد فيقول: " وحقا أقول أيها القصر المكرم لا جرم أنه لك السبق والتقدم فانك أش الخلافة. وقرارة الرياسة. ومركز الدول المتداولة. شهدت الأشهاد أنه بك مهدت البلاد. وعنك امبثت الجياد كأنها الجراد.... ومعلوم أيها القصر الذي يزان به العصر... وانما العجب الأعجب ما نمى الي عنك. مما تكامل فيك واجتمع لك. من حدائق بواسق في أيسر من رجعة الطرف وأسرع من قبضة الكف الى أنوار انبعثت وازهار تنوعت فمن ورد كتوريد الخدود. ونرجس كمقل الغيد وسوسن كأنه راحة ثنت النبان على قراضة من العقبان... فاني كنت آنفا. في نحو ما انت فيه اليوم زاهيا- هنأك الله المنحة منه وسوغك النعمة الجسمية به- من الشغل المطرد بخدمة المولي المعتمد..." (2)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص766

(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 759.766

- وكذا حديث القصر **المكرم** عن القصر **المبارك** فيه نوع من المديح والاطراء حين يقول: " أحسنت أيها القصر المبارك أحسنت شد ما بنيت وسرعة ما لقيت... لقد هيأت لك الهيئة العلوية مراتب سنية وأطلعتك النصبة الفلكية مطالع من السعود سمت بك صعدا من الصعيد ومنحتك من عزة السلطان ما أناف بك على الأقران الى العنان فأين منك الجوزاء؟ وقليل لك أن أقول الأبلق الفرد وتيماء! أنت فلك نجوم الملك وسماء رجوم الشرك... والله يا سيد القصور وبهجة الدهور ما تقرر لك لدي. وقص عنك الي من محاسن أحرزتها صفك..." (1)
- كما ضمت هذه المناظرة حججا عملية وذلك بلجوء أحد الطرفين الى توظيف أبيات من الشعر لبيان أهمية الطرف المتناظر ومكانته. فمن ذلك قول القصر **المكرم** في شأن القصر **المبارك**

لقد فات حسنك كل القصور مثلما ۞ قات المؤيد كل ملك في الورى

ملك اذا وقف الملــــوك ببابـــــه ۞ عاد المعظم منهم متصغـــــرا

طلب المعـــالي بالعـوالي واللها ۞ فاختارهــا والطالبوهــا بالعرا

ولو كـــــان سعى الجهـــــــاد ۞ سعى بي نحـــوك فرط الوداد (2)

وشخصك الا أطالعــــــــه لحظا ۞ فاني اطالعـــه بالفــــــؤاد

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق. ق3/م2 ص 762

(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 764

- كما لجأ القصر المبارك الى الشعر لتقوية دوره وتبيان أهميته ومكانته قديما وحديثا فيقول:

في كل شـــــارق الزوار تكنفني ۞ وبعد حول يزار الركن والحجر

بساحتي تعقد الرايات يتبعهـــــا ۞ جيش يسايره أو يقدم الظفــــر

يسعــــد محتسب في الله معتــمد ۞ عليه أفعالــــــه فـــي دهر غرر (1)

- وهـــذه المناظرة تقوم عـــلى الحجج والبراهين باعتبارهـــا العنصر الفعلي والمنتــج للمناظــرة ويضاف الى المناظرات التي عرفت عند الأندلسيين والتي جرت على ألسنة الأزهار والمباني نوعا آخر جاء على لسان الأدوات وأجمل ما مثل هذا النوع من المناظرات مناظرة لابن برد الأصغر أجراها على لسان كل من السيف والقلم وكتبها الى الموفق ابي الجيش مجاهد وكان يرمز بمناظرته تلك الى ما كان شائعا في عهد ملوك الطزائف من اعتراف بالقوة ومحاولة تقريب ذوو الكفاءة الحربية من الملوك ضف الى ذلك سيطرة لغة الحرب والقوة على لغة العلم والقلم.
فيبدؤها بقوله: " أما بعد حمد الله بجميع محامده وآلاءه والصلاة على خاتم أنبياءه. فان التسابق من جوادين سبقا في حلبة وقضبين نسقا في تربة والتحاسد من نجمين أثار في أفق وسهمين صارا على نسق والتفاخر في زهرتين تفتحا من كمامة وبارقتين توضحتا من عمامة لأحمد وجوه الحسد وان كان مذموما مع الأبد وربما امتد أحد الجوادين بخطوة أو حصل أحد القضبين بربوة وكأن السهمين أنفذ مصيرا أو راح أحد النجمين أضوء تنويرا أو غدت احدى الزهرتين أندى غضارة أو مست أحدى البراقتين أسنى انارة فالمقصر يرتقب تقدما وتقارب الحالتين في المجانسة يشب نار المنافسة وان حال بينهما قدح النقاد وقبح الحاسد الأضواء" (2)

- وهو بمثابة تمهيد يعترف ابن برد من خلاله بفضل كلا من السيف والقلم ووضعهما في نفس المنزلة التي يستحقانها ويواصل في اطراءه ومدحه لكل من الأداتين السيف والقلم والاعتراف بتساويهما في الأهمية والغاية معا . فيقول: " وان السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان الى القصد من بات يسري الى المجد وسلمين يلحقان بالكواكب من ارتقى لساميات المراتب وطريقين يشرعان نهج الشرف لمن ترقى اليه ويجمعان شمل الفخر لمن تأتب عليه ووسيلتين يرشفان العلى في عاشقها ويبسطان في وصال مجتمعين لا يفرق تجميعهما جررا أذيال الخيلاء تفاخر وأشما بأنف الكبرياء

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص760

(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص523

- تنافرا وادعى كل واحد منهما أن الفوز لقدحه وان الدر من أصدافه وان البكر من زفافه وان البناء من تشييده وان الملأ من تعضيده. وان كباء الثناء موفوف على مجامره وأن خطيب الفخر محبوس على منابره. وان حلل المآثر من نسيجه. وان أفراد المفاخر من تزويجه وحين كشف الجدال قناعه ومد الخصام ذراعه وهز الأباء من عطفه وأشم الأنف من أنفه. قاما يتباريان في المقال ويتساجلان في الخصال ويصف كل واحد منهما جلال نفسه. ويذكر فضل ما اجتنى من غرسه ويأبى بمنقبه نافرت الشها. ومرتبة ريضة خيسها, ورياسة من ذوائب الجوزاء صادها. ونباهة في صهوة العيوق أفادها " (1)

- ويبدأ الحوار بين الاداتين ويشتد الخصام بينهما حين يبدأ القلم بالتباهي والتفاخر وحجته في ذلك المكانة التي حظي بها في الذكر الحكيم وهي أجل مكانه. فقال القلم :" ها. الله أكبر أيها المسائل بداء يعقل لسانك ويحيز جنانك وبديهة تملأ سمعك وتضيق ذراعك خير الأقوال الحق وأحمد السجايا الصدق والأفضل من فضله الله عز وجـل في تنزيله مقسما به لرسوله فقال: " والقلـم وما يسطرون" (2)

وقال: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم" (3) فجل من مقسم وعز من قسم فما تراني وقد جللت بين جفن الايمان وناظره وجلت بين قلب الانسان وخاطره لقد أخذت الفضل برمته وقدت الفخر بأزمته " (4)

- ثم يأتي السيف ليرد على القلم فيعرض محاسنه هو الآخر ويذكر بمناقبه بوصفه أداة القوة ووسيلة الحرب لا غناء عنها حيث يقول مخاطبا القلم: " عدنا من ذكر الطبيعة الى ذكر الشريعة. ومن وصف الخصلة الى وصف الملة لا أسير ولكن أعلن قيمة كل امرئ ما يحسن. وان عاتقا حمل نجادي لسعيد. وان عضدا بات وسادي لسديد وان فتى اتخذني دليله لمهدي وان امرءا صيرني رسيله لمفدي يشق مني الدجى بمصباح ويقابل كل باب بمفتاح. أفصح والبطل قد خرس وابتسم والأجل قد عبس. أقضي فلا أنصف وأمضي فلا أصرف أزري بالوفاء. وأهتك الأمة هتك الرداء" (5)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق. ق1/م1 ص 524
(2) سورة القلم الآية 1
(3) سورة العلق الآية 4
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1. ص 524
(5)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 524

- وتشتد لهجة الحوار وتزداد حدته ويعرض كل طرف محاسنه ومناقبه يثير بها غضب الآخر وحقده ويظهر هذا من خلال رد القلم الذي يكشف فيه عن غضبه وحنقه ويتهم بذلك السيف بالخيانة والجور مفتخرا بمناقبه حيث يقول: " نعوذ بالله من الحوز بعد الكور وقبحا للتحلي بالجور والخيانة تسود ما بيض الصفاء وتكدر ما أخلص الاخاء وتوكد أسباب الفتن وتضرب بقداح الفتن. الحق أبلج.والباطل لجلج ان تأبى النصفة فانها في قدحها المأمونة الطائر محمودة الباطن والظاهر أحكم فأعدل.وأشهد فأقبل. وترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل أعد نفسي. وأستكفي فأكفي أحلب الغنى من ضروعه وأجتني الندى من فروعه وهل أنا الا قطب تذور عليه الدول وجواد شأوه يدرك الأمل. شفيع كل ملك الى مطالبه ووسيلته الى مكاسبه. وشاهد نجواه قبل كل شاهد ووارد معناه قبل كل وارد" (1)

- ويجيب السيف بلغة أشد غضبا زحنفا ويخرج الحوار من دائرة المفاخرة فيعمل على القلم بشدة ويدخل بذلك الحوار في دائرة السباب ويحاول كل طرف اظهار معايب الآخر فقال السيف:" يا الله! استنت الفصال حتى القرعة. ورب صلف تحت الواعد. لقد تحاول امتدادا بباع قصيرة وانتفاضا بجناح كسيرة أمستغرب والفلس ثمنك.ومستجلب وكل بقعة وطنك؟! جسم عار. ودمع بارد تحفى فتنعل بريا حتى يعود جسمك فيا. ان الملوك لتبادر الى دركي ولتتحاسد في ملكي.ولتتوارثني على النسب ولتتغالى في على الحسب فتكللني المرجان وتنعلني العقبان وتلحفني بخلل كحلل. وحمائل كخمائل حتى أبرز براز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء.

فقال القلم: من ساء سمعا ساء اجابة.أستعيذ بالله من خطل أرعيت فيه سوامك وزلل افتتحت به كلامك وان ازدرائك بتمكن وجداني وبخس أثماني لنقص في طباعك.وقصر في باعك. الا وان الذهب معدنه في الحفر

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق. ق1/م1 ص 525

وهو أنفس الجواهر والنار مكمنها في الحجر. وهي احدى العناصر . وان الماء وهو الحياة أكثر المعايش وجدانا وأقلها ثمنا. وقلما تلقى الاعلاق النفسية الا في الأمكنة الخسيسة وأما التعري فعنينا بالجمال عن جر الأذيال. وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه. أو يبتهج الاغريض حتى يجذب سعفه . أم يتلألأ الصبح حتى تتجلى سدفه ان الضحاء للرجال مهروف. وان الحفر على النساء موقوف ولولا جلاء الصفايل صدأك لأسرعت ذهابا وعدت مع التراب ترابا" (1)

- ويزداد الحوار حدة وياتي دور السيف ليستأثر بمحاسنه فقال السيف: " جعجهة رحى لا يتبعها طحن وجلجلة وعد لا يليها مزن في وجه مالك تعرف امرته وجه لئيم وجسم سقيم وغرب يفل ويم يطل ودموع سجام كأنهم سخام ورأس لم يتقلقل في لب وجوف لم يتخصخص فيه قلب أوحش من جوف العير يشهد عليه كثرة الجور بقلة الخير فهب من نومك. وأفطر من صومك ان انتضاني جاهل أوهمته أني سائل ففر خوفا أن يغرق وولى حذرا أن يخترق أكرع يوم الوغى في لبة البطل فأعوذ كالخد كسي صبغ الخجل كأنما اشتملت بالشقيق أو شربت ماء العقيق.

- فقال القلم: " ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا. ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة. ان ماءك السائل جامد وان جرمك الملتهب لبارد. ولن يغرق فيه حتى تكرع في السباسب العطاش. ولن يحترق به حتى يقع في نار الحباحب الفراش. فأقصر عن جفنك من العمى رواقا واحلل من خصرك للجهل نطاقا. يسفر البلاء لك عن قضيب عاج ولسان سراج وقدح ورق جلل بالعقبان. وحلة نرجس فوق جسم أقحوان. لليل في قوديه لطخ وللمسك في صدغيه نضح" (2)

ثم نلاحظ تدخلا لابن برد يقاطع فيه هذا الحوار الشديد اللهجة بين الأداتين بحوار سردي ينهي به ما نشأ من تنافس وخصومة بينهما بعد: " أن أكثر تعارضهما وطال تراوضهما وقابل كل واحد منهما يجمعه جمعا. وقرع بنبعه نبعا ولم ينثن أحد الصارمين كهاما ولا أرتد أحد العارضين جهاما فبادرا الى السلم يعقدان لواءها. والى المؤالفة يردان ماءها. وقالا: ان من القبيح أن تتشتت أهواؤنا وتتفرق آراؤنا وقد حمعنا الله في المأتلف الكريم وأحلنا بمحل غير ذميم بأعلى يد فالت آمالها ووافت المطالب أوطانها. ولم تقابل بابا مغلقا الا قرعته ولا حجابا مضلعا الا رفعته ولا جدا عاثرا الا أقالته ولا أملا غائرا الا أسألته تلك يد الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها ومستوجب المكارم ومستحقها العاقد لواء المجد بذوائب السماك والمطل بفخره على الأفلاك. والمقدم اذا أحجمت الأبطال.

---

(1) ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص 525
(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 526

والضاحك اذا بكت الآجال. والساري الى العليا اذا أدلج الكرام والمسهد في الآراء اذا هجد الأنام والطالب ثأر العديم بوجوده والمشفع النيل بمزيده والمسعف لميعاده والمخلف لايعاده والمجري في ذوايات الهمم ماء.والمطلع في ظلمات الآمال سناء فاذا قد عدل بيننا بحكمه يوم وعاه ويوم سلمه فجاوز بك حد المسالمة. وجاوز بي حد المشارسة. ولم يثنك حتى بلغ مناه ولم ينثني حتى وافق هواه.ولم يقصر بي عن غاية بلغك اليها. ولم يقدمك الى مرتبة أخرني عنها فأجمل رداء نرتديه.وأفصل حذاء نحتذيه.وأهدى سبيل نقصده.وأصفى منهل نرده.مؤالفة نجرر ذيلها.ونميل ميلها." (1)

- ثم يعقد القلم معاهدة خطية بينهما حتى حتى لا يغدر أحدهما بالآخر. فقال القلم:" ان مما نبرم به عقدنا ويستظهر به بعضنا على بعض.وان حالت حال كان للدهر انتقال.ان نخط كتابا مصيبا.يكون لنا مثابا وعلينا رقيبا فقد يدب الدهر بعقاربه بين المرء وأقاربه ويسعى بالنميمة بين الفرعين من الأرومة"

- فقال السيف: أنت والبيان.وجريا والميدان فقال القلم:ان النثر في ذلك مثل يسير وان للشعر في ذلك ذكى خطير وانه لشد والحادي وزاد الرائح والغادي.وأختاره على التثر تنويها للذكر فقال:

قد آن للسيف ألا يفضـــل القلمـــــا ۞ مذ سخر الفتى حـــاز العلى بهما

ان يجتن المجد غضا مـــن كمائمــه ۞ فانمــا يجتني من بعض غرسهما

ما جريا أمــــــلا فوافيــــا أمــــدا ۞ الا وكانت خصال السبق بينهمـــا

سقاهما الدهر مــــن تشتيه جــرعا ۞ ولليالي صروف تقطع الرحمـــــا

حتى اذا نام طلاف الجهل وانتبهـت ۞ عين النهى قرعا سنيهما ندمــــا

راحا يكف ابي الجيش التي خلقـت ۞ غمامة كل حين تمطر النعمـــــــا

يـــا أيـــها الملك الســامي بهمته ۞ الى السماء علا قد أعيت الهممـــا ... (2)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق. ق1/م1 ص 527

(2)المصدر نفسه ق1/م1 ص528

- وبهذا يختم ابن برد مناظرته التي وصفت بأنها : (من بدائعه العقم المستنزلة للعصم) (1) وذلك يعود لأهمية موضوعها الذي يتناول التنويه بقيمة كل من السيف والقلم باعتبارهما أداتين مهمتين في حياة الناس. فالسيف يرمز للقوة باعتباره لغة الحرب. وهي اشارة الى الحياة السياسية في ظل ملوك الطوائف التي شهدت انقلابات وفتن وتمردات

فالسيف يعكس طبيعة الجند ورجال الحرب وأداة القوة والقلم بدوره يعكس طبقة الأدباء والكتاب الذين قل شأنهم في ظل الملك أبو الجيش العامري وباعتبار أن الجند والحراس هم حاشية الملك وعماد الملك فقد نالوا مكانة رفيعة. وفي المقابل تأخرت رتبة الكتاب والأدباء. وقد حاول ابن برد ان يسوي بين أصحاب القوة وأصحاب العلم في مجتمع عرف في تاريخ الاندلس بالتشتت وكثرة الفتن. ولا يعترف الا بلغة السيف والقوة للحفاظ على بقاءه

- كما انه في مقاطع اخرى من المناظرة أعرب عن سخطه من هذا الوضع السائد ومن نظرة اصحاب القوة والسيف للكتاب من أمثاله حين قال على لسان السيف :" أمستعرب والفلس ثمنك.ومستجلب وكل بقعة وطنك؟ جسم عار ودمع بار" ويضيف السيف :" ان الملوك لتتوارثني على النسب ولتغالي في على الحسب"
- وهي كلها دلالات واماسات تحمل في باطنها واقعا اجتماعيا تعانيه الطبقة المثقفة في ذلك العصر.
- وعليه تعد مناظرة ابن برد مرآة عاكسة للواقع المغيش في ظل ملوك الطوائف من صراعات بين رجال السيف الذين ينظرون الى طبقة الكتاب نظرة احتقار وانتقاص وتقليل من الشأن ويرون أنفسهم أحق بالمكم. في حين نرى رجال القلم أنهم أهل لهذه الوظيفة على اعتبار انهم الأساسيين في المجتمع. بما يتمتعون به من ثقافة عالية ورؤية صائبة. وتأثير قوي في توجيه المجتمع.والعمل على ترقيمه واستقراره.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق. ق1/م1 ص531. 532

المقامة: لقد أنتج الخطاب الادبي العربي عددا كثيرا من النصوص الابداعية والأجناس الأدبية المختلفة. وان كنا لا نستطيع ذكرها في هذا المجال. فانه يمكن التركيز على واحدة منها وهي المقامة وللوقوف على مفهومها يتعين التعرض لها من وجهين:

أ- اللغوي: جاء في لسان العرب المقام: موضع القدمين. والمقام والمقامة وبالضم. الاقامة. والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس (1)

والمقامة: المجلس والسادة ويقال للجماعة من الناس يجتمعون في مجلس (مقامة) كذلك زمقامات الناس مجالسهم) (2) والمقامة بفتح الميم تعني المجلس والجماعة من الناس يقول في هذا القلقشندي: " وهي في أصل اللغة اسم المجلس والجماعة من الناس وسميت الأحدوثة من الكلام لسماعها" (3)

- ولقد عرفت المقامة كمفهوم عند العرب في جاهليتهم حيث كانت تعني عندهم مجلس القبيلة أو مجتمع القبيلة. وقد استعملت الكلمة بالمعنيين (المجلس والجماعة) في ذلك العصر. وذلك من خلال أبيات من الشعر. فنجدها على سبيل النثال عند الشاعر " لبيد بن ربيعة" تعني الجماعة من الناس حيث يقول:

ومقامه غلب الرقاب كأنهم   جن لدى باب الحصير قيام

- **وقوله:**

ومقـام ضيق فرجتـــــه   بلســـــان وبيــــان وجدل

- ونجدها عند الشاعر " زهير بن ابي سلمى" **بمعنى "السادة:**

وفيهم مقامات حسـان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعـــل

- ثم تطور مفهوم لفظة (مقامة) لأنها تذكر في مجلس واحد: يجتمع فيه الناس لسماعها أما في تاريخ الأدب فان المقامة قصة وجيزة أو حكاية قصيرة مبنية على الكدية) (4)
- وقد تطور مدلول لفظة مقامة ليدل على معنى المحاظرات عند "الجاحظ" وهذا (عندما تحدث عن عبد النور كاتب ابراهيم بن عبد الله ابي الحسن وقد استخفى بالبصرة في عبد قيس خوفا من أمير المؤمنين أبي جعفر وصف عبد النور مجلس القوم فقال: " كانوا يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعراء الشاهد والمثل ومن الخبر الأيام والمقامات" (5)

---

(1)ابن منظور. لسان العرب.دار صادر.بيروت. م12 ط1 1955 ص498
(2)عبد العزيز عتيق. الادب العربي الأندلسي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص476
(3)القلقشندي. صبح الأعشى. ج14 ص 110
(4)عمر فروخ. المنهاج (في الادب العربي وتاريخه) منشورات المكتبة المصرية ط1 1959 ص238
(5)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص291

- وانتقل المفهوم من موضع القيام والجماعة من الناس الى الخطب والأحاديث الشخصية التي تلقى في المجالس (وبذلك أصبحت تعني تلك الخطب الوعظية والأخلاقية التي تلقى أمام الخلفاء. فكتب **ابن قتيبة** فصلا في كتابه " عيون الأخبار" بعنوان مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك " وهذا ما جعل البعض يرجع طفولة هذا الفن الى أحاديث الزهاد والوعاظ وخاصة عند ابن دريد) (1)
- وابتداءا من القرن الرابع الهجري أصبحت لفظة (مقامة) تطلق على لون من ألوان القصص العربي باعتبارها فنا نثريا تتصل مواضيعها بحياة الناس وتصور للمجتمعات شأنها في ذلك شأن الفنون الأدبية الأخرى وفي هذا الشأن يقول:" زكي مبارك" : وأظهر أنواع الأقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو نظرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون" (2)

غير أن المقامة تميزت من حيث أنها (قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة ينتهي مغزاها الى عبرة أو عظة أو طرفة يرويها شخص واحد خيالي لا يتغير) (3)

- واذا اعتبرنا المقامة فن من فنون القصص العربي تأتي على شكل حكاية قصيرة وقد تطول وترمي الى عبرة وعظات وقد تعكس في بعض جوانبها الظواهر السائدة في المجتمعات آنذاك (فلا بد أن تشتمل كل مقامة على راو يروي عن بطل المقامة. الذي يتصف في معظم المقامات بأنه محتال أفاق ماكر متسول. ولكنه في الوقت نفسه أديب واسع العلم. سريع البديهة. يرتجل الكلام. ويجيد الشعر ويعرف النوادر اللغوية والشوارد اللفظية ويحسن تأليف النكت الأدبية) (4)

- فان للكاتب (شوقي ضيف) رأي في هذا ملخصه " أن المقامة ليست قصة بالمعنى الحديث. ومع ذلك فهي تشمل على عناصر قصصية. لا من حيث الحوار الممتد فيها فقط بل أيضا من حيث مضمونها وتصويرها لعناصر الشر والفساد. غير أن البديع وغيره أرادوا بها تعليم الناشئة والأهم هي الغاية والأسلوب الذي تعرض به الحادثة" (5)

---

(1) مصطفى الزباخ. فنون النثر الأدبي بالأندلس. دار العالمية للطباعة والنشر ط1 1987م 2123
(2) زكي مبارك. النثر الفني في القرن 4ه دار الجيل. بيروت ج1 1975 ص242
(3) عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس مرجع سابق ص477
(4)محمد يونس عبد العال في النثر العربي(قضايا وفنون ونصوص) الشركة المصرية العالمية لونجمان ط1 1996 ص241
(5)شوقي ضيف.المقامة.دار المعارف بمصر 1964 ص 09

- أما عن مواضيع المقامات فمتنوعة/ منها المواضيع الوعضية والجدلية وقد تعالج مواضيع نحوية ولغوية وفقهية أو فلسفية أما الموضوع الرئيسي والذي قامت عليه المقامة هو موضوع الكدية أو الشحاذة والغاية من فن المقامات هو تعليم النائشة فنون الكتابة والانشاء في أيهى صورة أدبية مثقلة بأنواع البيان والبديع والزخرف اللفظي.

- وقد اختلفت آراء الباحثين في أصل نشأة ها الفن ونعني بها متى أصبحت لفظة " مقامة" تعني فنا نثريا قائما بذاته. له ميزاته وخصائصه؟ منهم من يربط نشأة هذا الفن بأحاديث "ابن دريد" وأول من تعرض لهذه القضية " الحصري" في كتابه " زهر الآداب" فيقول: " ولما راى ابا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب أربعين حديثا وذكر أنه استنبطها من ينلبيع صدره واستنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر في معارض عجمية وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما ظهر تنبو عن قبول الطباع. ولا ترفع له حجمها الاسماع وتوسع فيها اذ حرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة علضا بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفا وتقطر حسنا ولا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وعطف مساجلتها ورق مناقلتها بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندري وجعلهما يتهاديان الدر, ويتنافئان السحر" (1)

- ويرى الكاتب (زكي مبارك) أن منشئ فن المقامات هو " ابن دريد" حين يقول: " ان بديع الزمان عارض بمقاماته أربعين حديثا أنشأها " ابن دريد" والمعارضات دائما كانت في الكمية" (2)

- ومنهم من يرجع نشأة هذا الفن لبديع الزمان الهمذاني فيحدثنا " القلقشندي" عن نشأة المقامة كفن نثري فيقول: " واعلم أن أول من فتح عمل المقامات علامة الدهر وامام الادب البديع الهمذاني (398هـ) فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه. وهي في غاية البلاغة وعلو الرتبة في الصنعة ثم تلاه الامام ابو محمد القاسم الحريري (516هـ) فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية من الحسن وأقيل عليها الخاص والعام" (3)

ومن المؤيدين لهذا الرأي " مارون عبود" والذي أن بديع الزمان منشئ فن المقامة ومخرجها في حلتها الأخيرة من غير أن يتأثر أو يأخذ ممن سبقوه فيقول: " ان خطة المقامات هي من عمل البديع فلا لابن فارس ولا لابن دريد في صنعها . فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشي. وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام" (4)

---

(1)الحصري. زهر الاداب وثمر الألباب . مطبعة الرحمانية تحقيق زكي مبارك. ط2 1931 ج1 ص 235
(2) زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع هجري. مصدر سابق ص206
(3)القلقشندي. صبح الاعشى في صناعة الانشا. مصدر سابق ص110
(4) مارون عبود.بديع الزمان الهمذاني. دار المعارف مصر (د ط) 1963 ص34

- وفي منظور (ابن خلكان) أن بديع الزمان له السبق في باب المقامة وقد تأثر به من جاء بعده: " بديع الزمان هو صاحب الرسائل الرائعة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتضى أثره واعترف في خطبته بفضله وأنه هو الذي أرشده الى سلوك هذا المنهج" (1)
- ومن الكتاب من كان رأيه مزجا للآراء السابقة محاولا بذلك التوفيق ففي رأيهم أن فكرة انشاء المقامات كانت من ابتكار البديع دون أن ننسى تأثره بغيره ممن سبقه (ومع ان بديع الزمان الهمذاني(ت398هـ) هو ميتكر هذا الفن الذي قدمه في صورته النهائية من حيث الشكل فان ذلك لا ينفي تأأثره بمن سبقه) (2)

ويذهب في هذا الاتجاه الكاتب (مصطفى الشكعة) فالبداية الأولى لهذا الفن كانت من تعاليم وأحاديث " ابن دريد" والتكملة مانت لبديع الزمان حيث أخرج المقامة في حلتها الأخيرة كفن عربي أصيل له خصائصه فيقول:" ان فكرة انشاء المقامات عند بديع الزمان الهمذاني قد تبلورت في مخيلته نتيجة لأمور كثيرة وفكر متعددة ومنها هيكل الحديث عند ابن دريد. فابن دريد أنشأ الأحاديث للتعاليم فأخذ بديع الزمان الفكرة وهذبها وأدخل عليها الحياة والحركة والمفاجئة وجعلها من أسس فن المقامة" (3)

- وعليه يمكننا القول أن المقامة كفن وضع تقاليدها وأسسها بديع الزمان الهمذاني بناءا على أحاديث ابن دريد التعليمية وتبعه في ذلك الحريري وقد تأثر كثير بمقامات بديع الزمان. فمنهم من سار على منواله ونسج على منوالها زمنهم من خرج عن حدود المألوف عن مقامات بديع الزمان الهمذاني واختفت من المقامة الكدية والشخصيات ...
- وكان من رواد هذا الفن –المقامة- في الأندلس وبالتحديد عهد ملوك الطوائف (الوزير أبو حفص عمر بن الشهيد قال عنه(ابن بسام) في كتابه(الذخيرة) :" وأبو حفص هذا في وقتنا كان فارس النظم والنثر وأعجوبة القرن والعصر ونهاية الخبر رقم برود الكلام ونظم عقود النثر والنظام هو ان لم يزر لملك ولم تدر عليه رحى الملك فليس بمتأخر عن طبقات المحسنين ولا بسكيت حلبات الكتاب المجيدين" (4)

---

(1)ابن خلكان. وفيات الأعيان وإنباء الزمان. تحقيق احسان عباس دار الثقافة بيروت (د.ط) (دت) ج1 ص54
(2)محمد يونس عبد العال. في النثر الفني. مرجع سابق ص240
(3)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص302
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص 670. 671

- ويستهل الكاتب مقامته بالحديث عن صناعة الكتابة من حيث القيمة والفائدة فيقول:" ان صناعة الكتابة محنة من المحن ومهنة من المهن والسعيد من خدمت دولة اقباله والشقي من كانت رأس ماله والعاقل من اذا أخرجها من مثالبه لم يدخلها في مناقبه لاسيما وقد تناولها يد كثير من الشوق وباعوها بيع الخلق فسلبوها تاج بهائها ورداء كبريائها وصيروها صناعة يكاد الكريم لا يعيرها لحظة ولا يفرغ في قالبها لفظة اذ الحظ أن يعثر الكرام اذا ولي الاعلاج وأن تستنعج الآساد اذا استأسدت النعاج. غير أنه من وسم بسمتها وظهر في وسمتها فغير مجهول مكانه وحسب اذا اتفق يوم سرور وطرب. ورغب رغبة كريم أن يؤرخ له بمنثور ومنظوم؟ أقسم لو كان وجه الانسان في صفاقة نعله أو وقاحة حافر بغله . لما وسعه غير الاسعاف على حكم الانصاف والا النصب فيما تسمعه. وربما تستبدعه ولئن مرت بك كلمات محاليات تنظمها سلوك هزليات . فانما هي أوصاف طابقت موصوفاتها...(1)

- ثم يخلص الكاتب الى مقدمة اخرى ليحكي جانبا من جوانب الربيع واخضرار المروج ووصف النباتات والحيوانات فيقول:" فدونكها عذراء. محجلة غراء كما رفع عنها سجف الابداع وأبرزت من كناس الاختراع تنظر بعين الغزال روع وأريس بعدما أطمع نعم.اتفق من الربيع وقت حلول الشمس في الحمل. وقام وزن الزمان واعتدل وأخذ آذار على ما اعتاد . فحلى الوهاد والنجاد وخلع على ظهور المروج ضروب الدبابيج. وأثقل صدور الأشجار بحلي النوار.وأطبى نفوس الأطيار بنضارة الثمار.فبعثت أشجانها ترجع ألحانها فما شئت من رمان تملأ كف العميد. من أمثال النهود تحت القلائد والعقود.وتفتق عن أمثال الجمر.ان وصفت فكالثات الحمر أو ارتشفت فكالرضاب الحصر أو الخمر.ولما انتظمت للزمان هذه المحاسن حنت نفس الفقيه بسيادتها . الى كرم عادتها من الاحسان الى الاتباع" (2)

وهي مقدمة ثانية طويلة (تثقل صاحب الذخيرة فيعمل فيها مقصه وينقلنا الى فصل يضعنا رأسا في مسار لبداية الحقيقة لهذه المقامة) (3)

---

(1) المصدر السابق ق1/م2 ص675. 676

(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص676

(3) علي بن محمد. النثر الأدبي الأندلسي.دار الغرب الإسلامي. ط1 1990 ج2 ص567

- ويمكننا تقسيم هذه المقامة الـى مرحلتين على أســاس البطل في كل مرحلة. كما قسمها (ابن بسام) فـي (ذخيرته)

<u>**أولا**</u>: المرحلة الديكية وبطلها الديك. وتبدأ بوصول الكاتب الى منزل بدوي ذي هيئة وزي يبدو عليه الكرم فيقول :" وصلنا الى منزل بدوي,ذي هيئة وزي

له منزل رحب عريض مزرب   بأعواد بلوط وطوج مفتل

ترى بعر الآرام في عرصاته   وقيعانه كأنه حـب فلفـل

فهش وبش وكنس منزله ورش وصير عياله الى ناحية وجمع أطفاله في زاوية وجعل يدور كالخذروف أمام الصفوف يتلقى الواحد منا بعد الواحد. يأخذ بركابه ويكشر عن أنيابه ويتمثل:

أخذي كذا بركاب الضيف أنزلــه   ألذ عندي من الاسفنج بالعسل

أو من رغائف كانون ملهوجـــة   أو راتب بقري جيد العـــمل

أو من خوار عجول في مسارحها   أو من ركوب الحمير الفره في الكفل

- ثم مال بنا الى بيت مكنس منوع مجنس قد جلله حصرا بلدية وغشاه بسطا بدوية ومد فيه شرائط وحبالا كأنه يريد أن يخرج خيالا. وعلق منها غلائل وملاءات. وهمايين وسراويلات. وكم شئت من خرق معصفرة وعصائب مزعفرة حتى المقنعة والخمار والدلال المستعار.
- وقد اتخذ في الحائط كوة وثانية وملأها حقاقا وآنية ... فقلت يا صاحب المنزل.هنئت وهنيت لقد أوتيت وجعلت أرقق عن صبوح. وأقول:

- **متى كان الخيام بذي طلوح**

من أين للبداوة بهذا الرونق والطلاوة وكيف حتى أغرت على حانوت العطار ومتى نقل سوق البز الى هذه الديار؟ لقد قرت بك الأعين وسرت الأنفس.هذا زي العروس فأين العروس؟ فضحك البدوي ملء فيه وتوسمت الازدراء فيه. وأنشد:

يا أخي نحن على أنـ   ـــانتاج بـدوي

سادة ناس لنافـــــي   هذه الدنيا دوي

عندنا ان جاء ضيف   يشبع جم وري...

ثم قام من مكانه ودعا بصبيانه وأغراهم بديك له هرم ليذبحه في طاعة الكرم فأجروه لأمهم الهاوية من زاوية الى زاوية حتى سقط الديك سقوط طليح جسما بلا روح. فأقبلوا اليه... وانتفض منهم نفضة. وصعد في بعض الجوائز وحمد الله حمد الفائز وتمثل:

اذا غرقت ببحـــر   من الردى فيـــاض

فلا يكـن بهـــلاك   عليك ظنك قـــاض

فليس في كل وقت   سيف المنية ماض (1)

- وراح الديك الهرم يتألق في الافق واقفا موقف الخطيب وقت الظهيرة وصفق بجناحيه بعد أن قضيت صلاة الظهر مذكرا اياهم بفضائله وكيف أنه كان مؤذنهم في الأسحار فيقول: " أيها السادة الملوك. فيكم الشاب متع بالشباب والأشيب نور شيبة مع الكواعب والأتراب وقد صحبتكم مدة وسبحت الله تعالى على رؤوسكم مرارا عدة. أوقضتم بالاسحار. وأأذن بالليل والنهار وقد أحسنت لدجاجكم سفادا. وربيت لكم من الفراريج أعدادا, فالآن حين بلي في خدمتكم تاجي . أنعي الى دجاجي. وتنحي الشفرة على أوداجي؟! وحين أدركني الشيخ يمزق لحمي ويطبخ؟ ياللكرام . من ذل هذا المقام ! وجعلت دموعه تسمح من دمه والحزن يطبق على فمه ثم غشي فاجتمعت البداوة من كل ناحية اليه يضربون وجهه بالماء ويخلصون له في الدعاء. ثم أفاق من غشيته وألشد:

علام يقتل شيخ   في كل ذنب بري؟

محقق متـــــحر   موحـــــد سني...

لا ذنب لي غير أني   مؤذن بدوي (2)

- فرقت له قلوب الحاضرين وأقبلوا على صاحب الدار باللوم لكن البدوي لا يزال مصرا على ذبحه مزينا لحمه. لكن الديك يعترض على ذلك معللا على أن لحمه لا يصلح. لأن الهرم قد دب اليه: (وهنا عاد الديك الى الكلام فأثنى على البدوي سوى محاولة ذبحه وغمز كرمه حين قارن بين هرمات الديوك التي لا يصلح لحمها طعاما وبين لحم الفروج للآكلين) (3) فقال الديك: أما علم أن هرمات الديوك, ليست من مطاعم الملوك...) (4)

---

(1) المصدر السابق ق1/م2ص 679
(2)المصدر السابق ق1/م2ص680
(3)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص310
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص680

- وبهذا تنتهي المرحلة الديكية, لتبدأ المرحلة الديرية.

- ثانيا: المرحلة الديرية: وصف الكاتب من خلالها طول السفر ومتاعبه فيقول:" ولم تزل الجياد تمعج بكماتها والشمس تنتقل في درجاتها.حتى أشرفنا على عين كالدينار, كأنما هندست بالبركان, ذات ماء ريان.....) (1)

ولقد لأطنب في وصف المكان الذي جلسوا فيه للاستراحة وهي قربة من القرى المسيحية وصفها (احسان عباس) بقوله:" دار البطاريق وملعب الكأس والابريق) (2). فوصف الكاتب جمال المكان على ما فيه من فتن واغراءات بقوله:" نباتها غصون قدود.تهتز في أوراق من برود,وتثمر رمانا من نهود. وتفاحا من خدود. وعقارب من أصداغ. وأفاعي من أسورة وعقود.وفيها مدام من رضاب. وسقاة من كواعب أتراب, وغيد لمهوى قرط.وارتجاج تكثيب مرط..." (3)

- ثم وصف كيف أن القسيس حلف عليهم أن ينزلوا ضيوفا عنده والاقامة في ديره فبهروا بجمال المكان من غلمان وجواري بقوله:" اذ نظرنا الى أطراد صفوف. من أعطاف خنثة وخصور هيف. وشموس وأقمار على أفلاك جيوب وأزرار لا سيوف الا من مقل ولا درق الا من خجل ولا عارض الا من خلوق ولا صناعة غير تخليق, ولا اسم غير عاشق ومعشوق. فتشفع القسيس بحسن خدودهم وأقسم بنعمة قدودهم. الا أجزلتم المنة وثنيتم الأعنة وتعريجا الينا..." (4)

- وبعد ارتحال الكاتب وموكبه يمرون بكنيسة مهدمة مهجورة فأنشد فيها الكاتب قصيدة يصفها فيها بقوله:

وكنيسة أخذ البلى منها كمـــا   أبصرت فيئا في معـــار ينهب
نمت علينا في السفارة نفحـــة   من ماء كرم كان فيها يسكب
وكم ابتنى القسيس منها منبرا   من جوؤذر وبدا عليـــه يخطـب
بئس المصلى ان أردت تعبـــدا   فيه ولكن كان نعـم الـمشرب (5)

(1)المصدر السابق ق1/م2ص681
(2)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص310
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص681
(4)المصدر السابق ق1/م2ص682
(5)المصدر السابق ق1/م2ص682

- ثم يخلص الكاتب الى وصف الصيد والطرد بقوله:" وما زلت أروى هناك بالرائب والميس حتى كاد كياني ينقلب الى كيان التيس. ثم رحلنا وتذكرنا الطراد فمشت الجياد وتواسيت آساد. واستعد بباز وكلاب. فاذا بحر من برك تخرقه سفين من برك. وفي السيور صقور اذا نظرت. وليوث اذا جردت. تنظر من أمثال الدنانير. وتخطف بأشباه المرهفة الذكور. فأرسلناها ارسال السهام الأحداق...) (1)

- ثم يتحدث الكاتب عن لقائه بشاب فار من الحصن له رغبة في اعتناق الاسلام. وهذا أثناء عودة الكاتب فيقول: " اذ تلاقانا شاب كما ذهب غقيق خديه. ونم شاربه بالتذكير عليه. متقلد حسام كأنما طبع من لحظه لا من لفظه...

ذو مقلة شهلاء رومية وذو لسان عربي مبين

قلنا: مالك لا أبا لك؟ فقال: منفلت من السجن...

ومن ذل عبادة الاوثان. الى عز عبادة الرحمان..." (2)

- وبهذا تنتهي مقامة (ابو الحفص) ويبدو من خلال هذه المقاطع أنها موجهة الى الفقيه (ابن الحديد) (وقد وجدنا أن أبا حفص بن الشهيد يتحدث عن فقيه اسمه ابن الحديد وهو الذي يرافق الكاتب في رحلته التي يشرعان فيها... ولم يذكر صاحب المصدر الذي أخذنا هذه المقامة منه اسما لها يميزها به فارتأينا أن نقترح لها واحدا لنتمكن من نعتها به دون الحاجة الى التطويل بذكر كاتبها في كل مرة) (3)

- ويعد (ابو الحفص) أحد الذين مثلوا حركة الابداع في الأندلس بمقامته هذه والتي تمثل خير تمثيل لقصة الرحلة في المقامة الأندلسية.

- ومن المقامات الاندلسية البارزة في هذا العصر مقامة للأديب °ابي محمد بن مالك القرطبي) وهي مقامة طويلة خاطب بها ممدوحه **المعتصم بن صمادح** ملك **المرية** ويدور موضوعها حول المديح طلبا للعطاء وكما يدور حول الحماسة ونظرا لطولها فقد اجتزأ (ابن بسام) فصولا منها وساق بعض فصول منها فنلمح في بدايتها تعبيرا بالفرحة لقيام دولة بني صمادح حيث يقول: " بشرى لنا ولدولتنا الغراء وهنيئا لنا ولحظرته الزهراء فتح تفتحت له أزاهير النجاح وبسر تباشرت له تباشير الفلاح وراء اشرق منه حين الصباح وخبر تضرعت به لوائح الرياح يوم هز له الرمان ثنى عطفه وشمخ عزة بأنفه" (4)

---

(1) المصدر السابق ق1/م2ص683
(2) المصدر السابق ق1/م2ص684. 685.
(3) علي بن محمد. النثر الأدبي الأندلسي. دار الغرب الاسلامي ط1 1990 ج2. ص566
(4) ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص741

وفي فصل منها يثني على ابن صمادح ويمدحه بقوله: " فلله يومنا بالأمس ما أجلبه للألطاف الأنس حين طلع علينا من كان طلوعه الذالي الى الأعين من وسنيها وواقع في القلوب من سكنها. طلع طلوع الصباح المتهلل وجاء مجيء العارض المسبل دلفنا اليه كالقطا الأسراب فبهرنا الأمر العجاب أن لا يرجع نافرها. ولا يقع طائرها" (1)

- ثم ينتقل في فصل آخر ليصف يوم معركة قانت قد نشبت بين المعتصم وبين أحد أعدائه فيفصل في وصف جيش ممدوحه وأدواته من سيوف ودروع وخيول... : لا تسمع الا همهمة وصهيلا وقعقعة وصليلا فخلت الأرض تميل ميلا.والجبال تكون كثبا مبهلا. لا تعلم الأصوات تلك الغمائم وضوضاء تلك الهماهم ومن وهواه صهيلا ودرداب طبول أزئير ليوث بأجام أم قعقعة رعد في ازدحام غمام؟ فتزاحم في الأفق الهميم والهديد وتلاطم في الجو النئيم والوئيد فكادت الدنيا بنا تميد . لا تبصر غير ململة جأواه وموارة شهباء قد ضعضعت التلال ودكدكت القلال" (2)
- ثم يصف ظهور بني صمادح ويتابع في مدحه له من تميز في الرأي وبالبأس والشجاعة والاقدام فيقول:" حتى لاح لنا من ملك الأملاك وثالث القمرين في الأحلاك وجه جلا هبوة ذلك العثير والعجاج الأكبر.." (3)
- بعدها يتحدث عن فوز ممدوحه وهزيمة واستسلام العدو فيقول: " فرمى بيد صاغرا الى السلم ثقة بعفو كظل المزنة الممدود وكرم كشط على اللجة المورود.فلولا حلم كالجبال رصين.وجود كالسحاب هتون لبادوا خلال تلك الديار كما بادت جديس في وبار.ونغلت تلم المنازل نغل الجلد ومحت وشائع من برد" (4)
- ثم يعود ليثني على ممدوحه ويذكر كرمه ومدى سعة قلبه وكرمه فيقول: " ثالث القمرين وسراج الخافقين وعماد التقلين المعتصم بالله أو الرئاستين... وما رأيت وجها أسمح ولا حلما أرجح ولا سجية أسجع.ولا بشرا أبدى ولا كفا أندى ولا غرة أخمل ولا صلة أكمل..." (5)
- وفي الأخير يعتذر الكاتب عن عدم اشتراكه في المعركة وذلك لحاجة أهله وأطفاله الفقراء اليه حين يقول :" يا لهفتي ألا تكون معونتي له الا باللسان دون السنان. أطاعن أمامه دركا وأزاحم قدامه الأقران لكاكا. ولولا أفرخ كزغب القطا يدبون في فائلة عندي دبيب الكوى فيستشفون علالتي ويستنزفون بلاتي لامتطيت من جدواه السابح اليعبوب وتقلدت من نداة الصارم الرســوب" (6)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص742
(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص742
(3)المصدر السابق ق1/م2ص743
(4)المصدر السابق ق1/م2ص747
(5)المصدر السابق ق1/م2ص750
(6)المصدر السابق ق1/م2ص751

- وبهذا ينهي (ابن مالك القرطبي) مقامته ولقد أطنب فيها وعبر عنها (ابن بسام) بقوله:" ومد ابن مالك في رسالته هذه أطناب الأطفاب وشن الغارة فيها على عدة شعراء وكتاب من جاهلين ومخضرمين ومحدثين ولو ذكرت من أين استلب واختطف جميع ما وصف وانصرف الى كل أحد كلامه نثره ونظامه لحصل هو ساكتا وبقي باهتا" (1)
- وتعد هذه المقامة مزيجا بين المدح والحماسة فقد بدأ مقامته بمدح ملك المرية (المعتصم بن صمادح) والثناء عليه ووصف حروبه والتغني بانتصاراته وذها ما نجده في الشعر وحين يقول: " فاني أنبئه ولا أنبئ الا حقا. وأخبره ولا أخبر الا صدقا أما الأفئدة من بعده فمفؤودة . وأما الأكباد لبعده فمكبودة. والدهر من بعده ليلة ليلاء" (2)

- والغرض من كل هذا استجداء الأمير واثارة عطفه والتقرب منه, وهذه سمة الكتاب في عصر ملوك الطوائف من التنافس في مدح الملوك والدنو منهم والتقرب من بلاطاتهم.

- وتعد مقامة ابو المطرف عبد الرحمن بن فتوح أحد المقامات الأندلسية التي ظهرت في هذا العصر. وهي مقامة نقدية بطلها (ابن فتوح) الكاتب نفسه وليس بطل خيالي (يدور موضوعها حول ذكر الاندلس وشعرائها ويعرض الكاتب آرائه النقدية غير المبنية على اسس سليمة. فيذهب الى أن أعذبهم لفظا وأرجحهم وزنا هو أبو حفص بن برد وان أبا عامر بن شهيد هو البحر العجاج والسراج الوهاج وأن أنظمهم الأخبار وأبرعهم هو أبو الوليد بن زيدون وأن أشغفهم بالبديع هو أبو بكر ابراهيم بن يحيى الطبني) (3)

- وخلاصة هذه المقامة (أن ابن فتوح كان ليلة في رمضان يطوف بالمسجد الجامع بالمرية 430هـ وهو يردد بيتا فسمعه فتا حسن المنظر فسلم عليه واستحلفه اعادة ما قاله فأعاده ثم قال له أنت أخذته من العباس بن الأحنف ثم سأله عن سبب ترديده البيت. فأخبره أن ذلك كان لفراق حبيب. فولى الفتى " وقد غرس في كبده ثمرة وده" وعاد ابن فتوح الى بيته وذكرى ذلك اللقاء لا تزايله وفي الفجر جاء الفتى وكان اليوم ماطرا فلم يجد خمرا ليقطعا بها يومهما فتسليا يتذكرا شعراء بلدهم وأدباءه وهنا كان الفتى هو السائل وابن فتوح المجاوب فوضح رأيه في ابن برد وابن شهيد وابن زيدون وأبي بكر الطبني" (4)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م2ص752
(2)المصدر السابق ق1/م2ص741
(3)يوسف الطويل.مدخل الى الأدب الأندلسي. دار الفكر اللبناني بيروت ط1 1991 ص232
(4)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص313

- يقول ابن فتوح :" كنت ليلة في رمضان أطوف بالمسجد الجامع بالمرية سنة ثلاثين واذا فتى حسن المنظر. فسلم علي سلاما ارتاحت له نفسي وانشرح له صدري فرددت عليه رد من توسم فيه سمة الفهم فقال لي: بحرمة الأدب الا ما أعدت علي البيت فأعدته وأنشدت سائر الأبيات فقال: " الشعر< لك؟ قلت: أجل > ثم قال لي: انما أخذته من قول العباس بن الأحنف:

وأحســن أيـم الهوى يومـك الذي … تروع بالهجران فيـه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى … فأين حلاوات الرسائل والكتب

فقال: وريت بك زنادي فأخبرني عن السبب الموجب لترديدك البيت، قلت له: منيت بخل مولع بالخلاف مائل الى قلة الانصاف ان لاينته غضب. وان استعتبته عتب، ةقد علم الله شفقة نفسي لفرقته.

فقال : قلب الله لك قلبه وجنبك عتبه ثم ولى عني وقد غرس في كبدي ثمرة وده. فبت الليلة مستأنسا بخياله جذلان بوصاله حتى رأيت غرة الفجر تلمع في كفل الدجى فخلته بحرا تسرب فيه جدول. أو عجاجا سل من تحته منصل فقمت ثابتا على قصده.فلم أثبت أن سمعته ينشد ويطلب منزلي. فقرع الباب وأذنت له فدخل فرحبت به وقمت اليه وأقبلت عليه. فقال لي: يا ابن الكرام ان هذا يوم قد بكى ماء غيمه.ونبض عرق برقه وخفق قلب رعده واغروقت مقلة أفقه. ونحن لا نجد الخمر فبم نقطع تأويبه؟ فقلت: الرأي الى سيدي أبقاه الله فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرك ووقوفك على شعراء عصرك؟ قلت: خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظا وأرجحهم وزنا: قلت: الرقيق حاشية الظرف الأنيق ديباجة اللطف أبو حفص بن برد. قال: فمن أقواهم استعارات وأصحهم تشبيهات؟ قلت: البحر العجاج والسراج الوهاج أبو عامر بن شهيد. فقال: فمن أذكرهم للأشعار وأنظمهم للأخبار؟ قلت: الحلو الظريف البارع اللطيف. أبو الوليد بن زيدون قال: فمن اكلفهم لالبديع وأشغفهم بالتقسيم والتتبيع؟ . قلت الرائع في روضة الحسب. المستطيل بمرجه الادب أبو بكر ابراهيم بن يحيى الطبني. فأنشد:

- وخاطب قسا في عكاظ محاورا ۞ على البعد سحبان فأفحمه قس (1)

---

(1)المصدر السابق ق1/م2ص786. 787

(تشد هذه المقامة في كون صاحبها لم يتستر وراء اسم شخصية متخلية وحدد تاريخ اللقاء ليربط الحادثة ربطا تاما بالواقع من حيث الزمان والمكان) (1)

- وعليه يمكن القول أن الأندلسيين لم يقفوا عند حد المعارضة والشرح والرواية لمقامات بديع الزمان في الشرق بل تجاوزه ومضوا في طريق الابداع وحاولوا انشاء مقامات خاصة بهم تميزهم وتؤكد قدرتهم في مجال الكتابة فاختفت من مقاماتهم ظاهرة الكدية أو الشحاذة التي ميزت مقامات بديع الزمان. وأصبح الكاتب نفسه بطل مقاماته. هذا ما جعل من المقامة تشبه لحد كبير في الرحلة.

---

(1)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 ص 313

أولا: **الرسائل**:

أ- **الرسائل لغة:** مشتقة من رسل.والرسل(محركة) القطيع من كل شيء (1)

والجمع ارسال . والرسل, والإبل. فقال الأعشى: يسقى رضاهاتها قد أصبحت عزبا

زورا تجانف عنها القود والرسل (2)

وجاء في لسان العرب (أن الرسل قطيع من الإبل قدر عشر يرسل بعد قطيع) (3)

- ويقول في هذا الشأن (ابن وهب) محاولا تأصيل هذا المصطلح: (الترسل من ترسلت أترسل ترسلا, وانأ نترسل, كما يقال: توقفت بهم أتوقف توقفا وانأ نتوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل كما لا يقال تكسر إلا فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك أول مرة: أرسل يرسل إرسالا وهو مرسل والاسم: الرسالة أو راسل يراسل مراسلة وهو مراسل. وذلك كما هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق من ذلك انه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل. والرسالة من ذلك) (4)

ب- **الرسالة اصطلاحا**: الكلام المكتوب أو الملقى مشافهة يوجه إلى شخص أو جماعة من الناس يحمل في ثناياه فكرة أو رأي أو شعور أو أمر من أمور الناس السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية... ويرى الأستاذ (علي بن محمد) : (أن الترسل ينحصر في المفهوم التقليدي للرسالة القصيرة التي توجه الى مراسل بعينه. لا بلاغة ضربا من ضروب المضامين النثرية أو لقضاء أي ارب ظرفي آخر بواسطتها من أمثال: التهاني والتعازي والشفاعات والأمر والنهي) (5)

والرسالة قسمان من حيث الغاية: فكري وبياني:

- القسم الفكري: وغايته محاكمة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات دون التفات كبير إلى أسلوب بياني معين ومن هذا النوع رسائل ابن باجة الفلسفية ورسالة الحدائق لابن السيد البطليوسي ورسالته المسماة " الانتصار" التي رد فيها على ابن العربي الفقيه حين تعقب أخطاءه في شرح سقط الزند. ومنها رسائل ابن حزم في الردود على مخالفيه. ورسالة ابن الأرقم رد فيها على ما انتقده ابن سيدة.
- وقسم بياني: المنزع أي الغاية الأولى منه إظهار البراعة الأسلوبية أو قل إن الاستقلال بالأسلوب فيه واضح المعالم. وقد يجمع القسمان معا (6)

---

(1)الفيروز أبادي. القاموس المحيط. دار الكتاب العربي(د.ت) مادة (ر س ل)
(2) الأعشى. الديوان . دار بيروت للطباعة والنشر. 1980 ص 146
(3) ابن منظور. لسان العرب.دار صادر بيروت (د.ت) مادة (ر س ل)
(4) ابن وهب.البرهان في وجوه البيان. تحقيق. حنفي شرف. القاهرة مطبعة الرسالة 1969 ص152
(5) علي بم محمد. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(مضامينه وأشكاله) دار الغرب الإسلامي . بيروت. لبنان ط1 1990 ج2 ص481
(6) إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة.نشر وتوزيع بيروت ط1. 1962 ص287-288

ويمكننا أن نقسم الرسائل إلى: ديوانية وأدبية اخوانية.

1- الديوانية: وتعني بشؤون الدولة وأحوالها السياسية وتتمثل في الخطابات المتبادلة بين الحكام والولاة في مختلف المناسبات كالمكاتبات والعهود وتكتسي طابعا ديوانيا وصنعة رسمية.(وهي التي تكتب في شؤون الدولة كإرشاد من الخليفة أو الملك إلى وال من الولاة أو توجيه إلى حاكم أو وصف لموقعه أو تهديد إلى خارج الدولة وترجع إلى هذه الوسائل قيمة تاريخية إلى أنها تسجل الأحداث التاريخية والمواقع الحربية وأسماء الحكام والقواد كما تصور ألوان الحياة السياسية ومن هنا نعتبر هذا النوع من الرسائل وكأنه وثائق تاريخية قديمة) (1)

- والرسائل الديوانية تسمى أحيانا الرسمية الإدارية وتصدر عن دواوين الحكام وتعني بأمور الدولة ولذا يحرص على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصبغة الرسمية ومن هذا النوع العهود والتقاليد والمناشير والفتوحات وانتقال الخلافة والتلقيب والتنويه والاحماد والانصام والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد (2)
- وهذا النوع من الرسائل يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والأمراء ويختلف أسلوبها باختلاف غرضها. (3)
- وتسمى السلطانية (وهي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه بل والى أعداءه أحيانا مقدرا ومتوعدا) (4)

ويعرفها محمد عبد الغني الشيخ فيقول" ونعني بها كل المراسلات والمخاطبات وغيرها من ضروب الإنشاء ذات الطابع الرسمي التي تدخل ضمن ترتيب الحكم وضبط شؤون الإدارة ومراسلة الأطراف المتعامل معها داخل البلاد وخارجها ذات الطابع السياسي .

وقد تكون صادرة عن شخص واحد وقد يكون واليا أو قاضيا أو أميرا وتعني بأمور الدولة السياسية وتتضمن العهود والتقاليد وانتقال الخلافة الفتوحات والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد. وما إلى ذلك من الموضوعات ذات طابع رسمي إداري" (5)

- وعليه فالرسائل الديوانية ترمي إلى ضبط العلاقات ووضع الترتيبات الإدارية وقد أورد الفلقشندي ما تهدف إليه هذه الرسائل في قوله: " تهتم بمصالح الأمة وقوام الرعية" (6)

---

(1) مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. دار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1. 2003 ص 77

(2)محمد يونس عبد العال . في النثر العربي (قضايا وفنون ونصوص) الشركة المصرية للنشر- لونجمان ط1,1996. ص162

(3) أنيس المقدسي. تطور الأساليب النثرية في الوطن العربي . دار المعلم للملايين ط8. 1989 ص 218

(4) عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. المرجع السابق ص 448

(5) محمد عبد الغني الشيخ

(6) القلقشندي.صبح الأعشى في صناعة الأنشا. المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة. (دت) (د.ط) ج1 ص 37

2- **الأدبية** : (وتتصل هذه الرسائل بالأخلاق وسلوك الناس والسياسة والحكم والأمثال وتدور حول وصف الطبيعة والسيف والقلم والرحلات والشعوبية وحث الحكام على توجيه الكلمة وحث الشعب على مقاتلة العدو والشكوى ونقد الحكم وتصوير المجتمع الأندلسي وتصوير سقوط المدن الأندلسية بأيدي العدو والتفاخر والمباهاة والشاذة بالأندلس والفلسفة والعلم الإلهي...(1)

وتصور حياة الأفراد وسلوكاتهم المعيشية ويعرفها(حنا الفاخوري) " أما الترسل الأدبي فقد انصرف إلى جميع الكتاب واحتوى على الاخوانيات بأصنافها والمناظرات والمناقشات والمقدمات والقصص الخيالية والمقامات وكان من إغراضه الاعتذار والشوق والمدح والهجاء والعتاب والرثاء والشكوى والاستعطاف والوصف والاستهزاء والمناظرات بين السيف والقلم وأصناف الزهور والحيوان وما إلى ذلك...) (2)

3- **الأخوانية**: (وهي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء وهذا النوع من الرسائل ميدان فسيح للإبداع يتباري فيه الكتاب والأدباء وتتيح لأقلامهم وقرائحهم أن تنطلق على سبجيتها وان يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وأساليب قوية موشاة) (3)

- وهذا النوع من الخطابات يسمى الشخصي (الذي يتبادله الأصدقاء أو الناس عامة وهو الأقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظية والأسلوبية ومن موضوعاته: الشكر والتشوف والعتاب والتهنئة والشكوى والمدح والهجاء والاستماحة والاستعطاف والاعتذار والاستبطاء والشفاعة والعبادة والتعزية والوصف والدعابة ويمكن أن نلحق به الرسائل الوعظية والرسائل الدينية والجدلية) (4)
- ولهذا الصنف من الرسائل أغراض شتى أوصلها صاحب كتاب (صبح الأعشى) إلى سبعة عشـر غرضـا أو نوعا: (التهاني,التعازي,التهادي والشفاعات,التشوق,الاستزارة واختطاب المودة وخطبة النساء والاستعطاف والاعتذار والشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة) (5)
- بمعنى أن الرسائل الاخوانية انواع شتى تتنوع بحسب الموضوعات التي تعالجها (وهي أكثر شمولا من الرسائل الديوانية من حيث تنوع الموضوعات وتعالج هموم العصر وتدور حول الايخاء الصداقة الحقة والدعوة إلى زيارة أو حفلة أو العتاب والشكر والشكوى والتهكم والذم والهزل والجد والنقد والشفاعة والاستعطاف والاعتذار والتهنئة والتعزية والشوق إلى لقاء أو إظهار البراعـة الأسلوبية وأصبحت تشبـه إلى حـد كبير الرسائل الأدبية فـي طولها) (6)

---

(1) د/يوسف الطويل . مدخل إلى الأدب الأندلسي. دار الفكر اللبناني. بيروت. ط1 1991 ص 206

(2) د/ حنا الفاخوري- في الأدب العربي وتاريخه. دار الجبل. بيروت ط2 1991 ص 43

(3) د/ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص 454

(4) د/ محمد يونس عبد العال . في النثر العربي . الشركة المصرية العالمية للنشر . اونجمان . ط1 1996

(5 د/ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. المرجع السابق ص 454

(6)) د/يوسف الطويل . مدخل إلى الأدب الأندلسي. المرجع السابق ص 202

أ- **الرسائل الديوانية**: هي تلك الخطابات التي تنشا بين ملوك الطوائف في بلاد الأندلس . وتكتسب طابعا سياسي وتشمل المبادلات السياسية والإعلامية والودية (الاخوانية) والخارجية.

- وإذا احتكمنا إلى الجو العام الذي اكتنف هذه الفترة التاريخية من حكم العرب الأندلس وما ساده من فتنة وحروب ونزاعات حول السلطة وقيام دويلات ملوك الطوائف في الأندلس. نجد أن هؤلاء الملوك الذين حكموا البلاد في هذه الحقبة حاولوا إنشاء خطابات سياسية فيما بينهم من شانها أن تقوي ممالكهم وتجعلها قادرة على الصمود والتحدي أمام الأطماع الداخلية والخارجية. والسعي لتوسيع رقعتها الجغرافية وهذا عن طريق التحالف وعقد معاهدات واتفاقيات بين ملوك البلاد في إطار تقوية الصداقة وتوسيع النفوذ وضمان البقاء على ذلك المستوى وكسب الحلفاء وتبادل المعلومات الحربية منها والعلمية. ومن الخطابات السياسية ما جاء مشتملا على تعاليم الحكام والأمراء لرعيتهم وللعمال على جميع النواحي والمقاطعات متضمنة أوامرهم وتوجيهاتهم. حاملة تعاليمهم وتهديداتهم وهذا لردع المتمردين في أقاليم البلاد وتحذيرهم من خطر الاستمرار في عصيانهم. ودعوتهم لتأييدهم. وإقناع الحكام أخيرا بعدم جدوى الحلول العسكرية واستعمال القوة, وضرورة اللجوء إلى الخطابات السلمية, الغرض منها إغراء المتمردين وتقريبهم منهم والعمل على كسب ثقتهم والحث على التزام كلمة واحدة لإعلاء شان الإسلام في البلاد الأندلسية والتصدي للأطماع الخارجية.

- ولقد عرفت الرسالة الديوانية في عصر ملوك الطوائف أغراضا عديدة استطاعت من خلالها أن تعكس الجانب الديواني من الحياة السياسية في تلك الحقبة والذي اكتسب طابعا رسميا صادرا عن الحكام والأمراء وملوك البلاد حاملا أوامرهم وتوجيهاتهم وتعاليمهم من تولية وعزل وتبليغ واستغاثة وزجر وتهديد الثائرين...

1. **رسائل التولية والعزل**: كانت تصدر للوزراء والقضاة والولاة. وتعني بشؤون التنظيم الداخلي للبلاد. والذي تقتضيه سياستها وإدارة شؤون الرعية. وتنظيم مرافقها المختلفة.

- ومن الرسائل الديوانية الحاملة لمعنى التولية. رسالة(المتوكل بن الاغطس) في تعيينه لوزيره(ابن خيرة) نائبا على مدينة(اشبولة) يقول في بعض أجزائها:"...وقد وليت عليكم من لم اثر-والله-فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب. ولا فرائض التخصيص على لوازم التمحيص. وهو الوزير القائد أبو عبد الله ابن خيرة ابن دوبة وبعض صحبه...وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية مـا التزم الاستيفاء بعده والوقوف بحـدة عند حده." (1)

- ومن هذا القبيل رسالة."أبو عبد الرحمن بن طاهر" في تولية احد الرجال على بعض المقاطعات يقول فيها" قلدت فلانا للنظر في أحكام فلانة وتخيرته لها بعدما خيرته واستخلفته,وقد عرفته واثقا بدينه راجيا لتحصينه, لأنه إن احتاط سلم وان أضاع الم, فليق الحق على أركانه وليصنع العدل في ميزانه, وليساو بين خصومه, وليأخذ من الظالم لمظلومه, وليقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير الممضي من شهاداته..." (2)

---

(1) ابن خاقان. قلائد العقبان. تحقيق سماحة الشيخ الطاهر بن عاشور.الدار التونسية للنشر. 1990 ص46

(2) العماد الأصفاهي. جريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق. آذارتاش وآذار بوش. الدار التونسية 1974 ق4/ج2 ص322

- ومن الرسائل المبايعة نورد رسالة(لابن برد الأصغر) جاء فيها " بايع الإمام عبد الله فلان بانشراح صدر وطيب نفس وفصاحة جيب وسلامة غيب.بيعة رضا واختيار. لا بيعة إكراه وإجبار على السمع والطاعة والمؤازرة والنصر والوفاء والنصيحة, في السر والعلانية والجهر والنية والعمل على موالاة من والاه, ومعاداة من عاداه من بعيد وقريب وغريب ونسيب, ويقسم على الوفاء به والقيام بشروط بيعته بالذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والقائم على كل نفس بما كسبت ويعطيه على كل ذمة الله وذمة محمد رسوله وذمة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وعباد الله الصالحين. ومتى خلعت ربقة بختر أو عذر, أو طوبت كشحا على نكث أو حنث, فعليك المشي إلى بيت الله الحرام ببطحاء مكة من مستقرك ثلاثين حجة نذرا واجبا لا يقبل الله تعالى إلا الوفاء به. وكل زوجة له مهيرة أو تنكرها إلى ثلاثين سنة فطالق تحتك طلاق الحرج ثلاثا وكل امة أو عبد لك أو تملكه فأحرار لوجه الله العظيم, وكل مال لك من صامت أو ناطق أو تملكه إلى ثلاثين سنة فير عشرة دنانير أو قدرها فصدقة من الفقراء والمساكين قد برئ الله تعالى منك ورسوله وملائكته والله بجميع ما انعقد في هذه البيعة شهيد وكفى بالله شهيدا وعلى الأعمال والنيات مشيبا.) (1)
- وفي مقابل مفهوم التولية نجد العزل ومن أمثلة رسائل العزل رسالة كتبها (المتوكل بن الأفطس) في عزل وزيره (أبي الوليد الحضري) حيث يقول: " ولما رأيت الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع أشفقت من التلف وعدلت إلى ما يعقبنا-إن شاء الله- بالخلق وأقبلت استدفع مواقع انسي. وأشاهد ما ضيعته نفسي. فلم أر إلا لججا قد تورطها وغمرات قد توسطتها فشمرت على الساق للجتها. وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي أدخلني رأيك ووطئك الساحل الذي كاد يحول بيني وبينه فعلك فنفسك لم وبسوء صنيعها المم واعتصم وان متت بجميل اعتقاد ومحض وداد فانا مقر بذكره معترف بقله وكثره لكنك كنت كالمثل السائر:"شوي أخوك حتى إذا انضج رمدا " حتى أطمعت في العدو ولست لأهل حضرتي الاستكبار والعتو واستهنت بجيرانك وتوهمت ان المروءة التزام زهوك وتعظيم شانك حتى أخرجت النفوس علي وعليك فانجذب مكروه ذلك إليك ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظ الحاشية وإكرام الغاشية." (2)

هذه المقاطع من الرسائل الأندلسية تعد نموذجا للجانب الديواني للترسل الأندلسي الحاملة لغرض التولية والتنصيب والعزل. أدرجت على سبيل المثال لا الحصر. حيث يبنى خطابها على نوع من الخطط السياسية التي يرغب فيها الحاكم وذلك لترسيخها أو تثبيتها في حكمه على شكل أمر منه وتلقى على المحكومين دون مناقشتها والتسليم بها من تولية وعزل ونقل وتنصيب . وتنبني هذه الرسائل على أوامر كونها صادرة عن ذات عليا حاكمة نحو ذات دنيا محكومة فهذا النوع من الرسائل يعكس الجو العام السياسي الذي يمارس فيه الحاكم سلطته ونفوذه عن طريق توجيهات وتعليمات إلى الرعية

كما تنطوي رسالة التولية على نوع من المدح والثناء السياسي الصادر من الحاكم إلى احد وزراءه أو قضاته أو ممن تربطه بهم قرابة معينة من حسن السيرة وسلامة العقيدة ونبل الأخلاق والخضوع للتجريب.

---

(1) ابن بسام. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق د/إحسان عباس. الدار البيضاء للكتاب-ليبيا-1978 ق1/م1 ص 498
(2) المصدر نفسه. ق2/م2. ص646-667.

فمن ذلك ما نجده في الخطابات السابقة من عبارات الثناء قول(المتوكل بن الاقطس) في شان(ابن خيرة:" لم ارثر-والله- فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب زلا فرائض التخصيص على لوازم التمحيص") (1)

- ومثله ما نجده في خطاب (أبو عبد الرحمن بن طاهر) حيث يقول:"...وتخيرته لها بعدما خبرته واستخلفته" (2)
- وكذلك في مبايعة(ابن برد) :"...بانشراح صدر وطيب نفس وفصاحة جيب وسلامة خيب.بيعة رضا واختيار لا بيعة إكراه وإجبار" (3)
- كما عكست رسائل التولية التشديد على الجانب الديني واشتراطه واعتباره من الضروريات خوفا من الغدر والخيانة والإخلال بالوعد ونقض العهد في مرحلة حرجة من تاريخ الأندلس شهدت فيه البلاد فتن واضطرابات وانقلابات داخلية وأطماع خارجية. وتمرد على السلطة المركزية في البلاد فاتسعت بذلك أطماع الراغبين في نيل المناصب العليا في الحكم فكان التمسك بالدين وسلامة العقيدة مشروطا في تولية المناصب الهامة في الدولة . ويظهر هذا في الخطاب (ابن طاهر) حيث يقول:" وقد عرفته واثقا بدينه, راجيا لتحصينه"

ونلمس هذا كذلك في خطاب(ابن برد) في قوله:" ويقسم... بالذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والقائم على كل نفس بما كسبت ويعطيه على كل ذمة الله وذمة محمد رسوله وذمة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين عباد الله الصالحين"

كما جسدت رسائل التولية الخطط السياسية التي يرغب الحاكم في تطبيقها وتثبيتها وهذه السياسة نلمسها في خطاب(المتوكل بن الأقطس) حيث يقول:(وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بحده عند حده) (4)

ومثله ما نجده في خطاب(ابن الطاهر) قوله(فليقم الحق على أركانه وليضع العدل في ميزانه وليساو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومه, وليقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير الممضي من شهاداته) (5)

وفي خطاب (ابن لرد) قوله(على السمع والطاعة والمؤازرة والنصر والوفاء والنصيحة في السر والعلانية والنية والعمل على موالاة من والاه ومعاداة من عاداه من بعيد وقريب ونسيب) (6)

- ويمكننا أن نعد رسائل التولية أو العزل نوعا من أنواع التبليغ السياسي يعمد الكاتب فيه إلى استعمال الأسلوب الإخباري الذي من شانه أن يرسم صورة واضحة للكيفية التي تمت فيها التولية أو المبايعة والواضح أنها تمت في العلن والجهر بها بين الناس. فمن ذلك نجد ما نجده في خطاب "المتوكل":" وقد وليت عليكم..." . وفي خطاب ابن طاهر جاء على هذا الشكل :" قلدت فلانا النظر في أحكام فلانة" وفي خطاب ابن برد:"بايع الإمام عبد الله فلان..."

---

(1)ابن خاقان. قلائد العقبان. مصدر سابق ص46

(2)العماد الأصفهاني.جريدة القصر وجريدة العصر. مصدر سابق. ق4/ج2 ص322

(3)) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص667

(4)ابن خاقان. قلائد العقبان. مصدر سابق ص46

(5) العماد الأصفهاني.جريدة القصر وجريدة العصر. مصدر سابق. ق4/ج2 ص322

(6) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص667

2- رسائل الزجر والتهديد: وهي رسائل تصدر عن ديوان الحكام للثائر على الحكم والخارجين عن القوانين في ومن عمته الفتن والاضطرابات السياسية والثورات على السلطة المركزية والتمرد على الحكام فكثرت بذلك المطامع والمطامح والسعي لإرضاء الرغبات من تولية المناصب وتوسيع النفوذ والظفر باسمي الألقاب والرتب. ولقد أدرك ملوك الطوائف حجم الخطر الذي يهدد وحدة البلاد استنادا للأطماع الشخصية. فسارعوا بذلك إلى مخاطبة الثائرين ومحاولة كسبهم بطرق سلمية بعدم جدوى الحلول العسكرية فخاطبوا من كان له قوة التأثير فيهم سعيا منهم لاستمالتهم وإغرائهم وترجيح الكفة لصالحهم وابتعادهم عن الفتن ومسببيها, وضرورة التزام صف واحد وكلمة واحدة لصالح البلاد.

ومن أمثلة هذه الخطابات ما كتبه (ابن برد) على لسان احد الأمراء إلى بعض الثائرين والمتمردين جاء فيه: (لقد أن نوقضوا سواهي العقول, وان ترحوا عوازب الأحكام فتسلموا السخائم وتغمدوا الصوارم وتعيدوا السهام في كنائنها ... فكم صال بناركم ولم يشرككم في قدحها وشقي بفتنكم, ولم يغمس معكم يدا فيها. وموفور سعيكم لذهاب وفره.ومستور أعنتم على اكتشاف ستره... أما والله لتجزعن الخطباء ولتقرعن على الأسنان ولتحاولن الأوبة ولا مآب لكم والتوبة ولا قبـــــول منكم.) (1)

- ومن هذا النوع من الخطابات ما كتبه (ابن برد الأكبر) على لسان (المظفر بن عامر) إلى احد المتمردين على الدولة وهو (هذيل بن رزين) جاء فيه:" أما بعد آتاك الله رشدك واجزل من توفيقه قسطك فان الله تعالى خلق الخلق غنيا عنهم وأنساهم بمهل غير مهمل بل ليحصي آثارهم وليبلوا أخبارهم,وجعلهم اخياف متباينين وأطوارا مختلفين فمنهم المخلص بالطاعة ومنهم المبتلي بالمعصية وبين الفريقين أقواما خلطوا عملا صالحا وأخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ولو شاء الله لكان الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم . والسعيد من خاف ربه. وعرف ذنبه وبـادر بالتوبة قبل فوتــها واستعصى الرحمة قبل منعها." (2)

ثم يذكره بماضيه تحت ظل **الملك المظفر** لينتهي إلى محاولة الصلح بينهما وجعل المظفر في صوره أمير المؤمنين العادل وصاحب الصدر الواسع وان هذا الخلاف الذي دار بينه وبين الملك المظفر أمر طبيعي يحصل بين الملك ووزرائه في أمور السياسة. وأبواب الملك لا تزال مفتوحة لتنتظر رجوعه وعودته إلى مملكة المظفر فيقول:" ولن تضيق بك السبل إلى حسن رأيه سهل. ولا يذهب بك النجاح إلى اللجاج إلى نار الدنيا ونار الآخرة إياك ومصارع الناكثين وحذار موارط الغادرين" (3)

ولابن برد رسالة اخرى على لسان من كان يكتب له من العامريين والخطاب موجه لقوم طلبوا الامان من مولاه وهذا في زمن اشتدت فيه الفتن وكثرت التمردات على السلطة وسادت فيه الفوضى وانفلتت زمام الامور من القادة والحكام جاء فيها :" اما بعد فانكم سالتم الامان او ان تلمظت السيوف اليكم وحامت المنايا اليكم وهمت حظائر الخذلان ان تفرج لنا عنكم وايدي العصيان ان تتحفنا بكم ولو كلنا بصاعكم , ولم نرع فيكم ذمة اصطناعكم لضاق عنكم ملبس الغفران ولم ينسدل عليكم وذوي اسنانكم المعاصين لكم ممن يهاب وسم الخلعان ويخاف سطو السلطان وانهم لا يراسلونكم في ميدان معصية ولا يزاحمونكم منهل حيرة ولا بما شونكم الى موقف وداع نعمة. ولولا تحرجنا ان نقطع اعضاءكم بكم ورجاؤنا ان يكون العفو على المقدرة تاديبا لكم لشريت دماءكم سباع الكماة واكلت لحومكم ضباع الفلاة. وقد اعطيناكم بتاميننا اياكم عهد الله تعالى وذمته ونحن لا نخفرهما ايام حياتنا الا ان تكون لكم كرة وغدرتكم غرة. فيومئذ لا اعذار لكم. ولا اقصار عنكم حتى تحصدم ضباة السيوف وتقضي ديون أنفسكم غرماء الحتوف" (4)

---

(1) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص489-498

(2) المصدر نفسه. ق1/م1. ص109

(3)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص109

(4)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 500-501

تندرج هذه الرسائل بشكل عام في إطار الخطابات السياسية الصادرة عن ديوان الحكام والأمراء إلى الفئة المتمردة والثائرة في مقاطعات البلاد وذلك لمخاطبتهم وردعهم والحث على إطفاء نار الفتنة المتفشية في البلاد والتذكير بضحايا تلك الفتن وويلاتها. مثلما جاء في خطاب (ابن برد) حين بدا خطابه بالتذكير بضرورة إطفاء نار الفتن والتذكير بالنفوس البشرية التي راحت ضحية لهذا النزاع والأطماع الشخصية دون اعتبار للأرواح البشرية. ولقد عبر المؤرخ (ابن حيان) عما أصاب البلاد الأندلسية من تشتت وتفرق إبان هذه الفتنة بقوله: " وأنشأتني المدة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة المفرقة للجماعة الهادمة للملكة المؤصلة المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية ففاضت أهوالها تعاضلها. وأوهلني عن تقييدها ووهمني أن لا مخلص منها فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها..." (1)

- ومن الخطابات الموجهة إلى الثائرين والمتمردين في البلاد ما كتبه (ابن برد الأكبر) على لسان (المظفر بن أبي عامر) إلى (هذيل بن رزين) وما كتبه (ابن برد) إلى الثائرين في البلاد. والذي بدأه بطلب الثائرين عهد امان من الأمير مولاه والذي لم يذكر اسمه ولا اسم ولا أصل هؤلاء الثوار المتمردين. ثم يذكر بقدرة هذا الحاكم على الصفح والمسامحة والغفران ووضعه عهد أمان مع هذه الفئة المتمردة على الرغم من نفوذه وسلطته
- وما يظهر في هذا الخطاب ان الثوار هم السابقون لوضع هذا العهد وطلب الأمان والخضوع لهذا الحاكم ولجوءهم إلى حمايته ونلمس هذا في قوله:" فأنكم سألتم الأمان..." (2) . وفي مثل هذه الحالة نجد أن الملوك يأخذون بأيدي هذه الفئة المتمردة ومجاراتهم وذلك لإطفاء نار الفتنة والقضاء نهائيا على القلاقل المسببة لها. وهذا في قوله:" ولو كلنا لكم بصاعكم,ولم نرع فيكم ذمة اصطناعكم ولضاق عنكم ملبس الغفران" (3)
- كما ينبني أسلوب هذه الخطابات على الوعظ والإرشاد والتهديد والوعيد الذي من شانه أن يوقظ الهمم ويغري الثائرين في مقاطعات البلاد مثلما نلاحظه في خطاب(ابن برد) حين يقول:" وقد أعطيناكم بتأميننا عهد الله تعالى وذمته ونحن لا نخفرهما أيام حياتنا إلا أن تكون لكم كرة ولغدرتكم ضرة فيومئذ لا أعذار لكم ولا أقصار عنكم حتى تحصدكم ضباة السيوف وتقضي ديون أنفسكم غرماء الحتوف" (4)
- وعلى أسلوب التهديد والوعيد جاء خطاب أخر (لابن برد) يقول فيه: " أما والله لتجزعن الخطباء ولتقرعن الأسنان ولتحاولن الآوية ولا مآب لكم والتوبة ولا قبول لكم" (5)
- وتعتمد هذه الخطابات على الأسلوب الإخباري الذي من شانه أن يقر حقائق واقعية متعلقة بالفتنة واعتمادها على ضمير المخاطب الجمع:(سألتم.إليكم-.عنكم-.بكم-.لكم-.فيكم-.بصاعكم-.اصطناعكم....)الدال على هذه الفئة المتمردة إلى جانب الضمير المتكلم الجمع(نحن) الدال على الحاكم أو الملك (**كلنا-لم نرع-أعطيناكم-نحن-تأميننا-حياتنا.)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص87

(2) المصدر نفسه. ق1/م1. ص500

(3) المصدر نفسه. ق1/م1. ص501

(4) المصدر نفسه. ق1/م1. ص500

(5))ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص498

3-<u>رسائل التبليغ</u>: وتدخل هذه الرسائل ضمن المبادلات السياسية وتشمل تبادل المعلومات والأخبار سواء كانت علمية أو حربية وهي إحدى الطرق الهامة التي تقوي العلاقات بين دول ملوك الطوائف ومن شانها أن تنمي الثقة بينهما. ونورد في هذا النوع من المبادلات. تبادل المعلومات الحربية.
رسالة بعث بها **المعتمد بن عباد** إلى **ابن صمادح** أمير **"المرية"** جاء فيها: " إنما أشاركك-أيدك الله-في النعمة- باسوغها وأطالعك في الهمة بابلغها وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين فرسان من الجند-نصرهم الله تناوش اطمع فيهم-ودل بأنه قد سقط في أيديهم-ثم وصبحوا يوم كذا بالحرب وكوفحوا إلى آخرة بالغرب بالطعن والضرب وانصرفوا والانجحاز. واحتجزوا بالجدران والأسوار..." **(1)**

وهي رسالة طويلة أوردها صاحب (الذخيرة) اقتطفنا منها هذا الجزء لما يدل عليه من رغبة المعتمد بن عباد في تبليغ (لبن صمادخ) بانتصار جيوشه على أعدائهم النصارى في معركة (لييط) ومشاركته لذة هذا النصر ومتعته.

ومن هذا القبيل رسالة (أبو مروان بن حيان) خاطب بها (ابن عباد) يبلغه فيها بانتصاره على (ابن ذي النون) فيقول:" لو أن فتحا اعتلى على تهنئة ممنوحة بارتفاع قدر أو جلالته صنع أو فرط انتقام مستأصل او تنزل حكم من الرحمن فاصل لكان فتحه هذا لك على عدو اسود الكبد, مظاهر البغي على الحسد طال والله ما استحييته لا من خجل. وتنكبته لا عن وهل,فأبى له رأيه القائل وجده العاثر وحينه المجلوب وحزبه المكبوب إلا اكتساب العار ومماتنة محصد الأقدار مجمع الجيش ذا الألوف ويجشم الشقة العنوف, ثم لا يتبرأ العدو العائظ له إلا التسلط على ضعفاء رعيته بإفساد لأقواتهم ونيله من دماء المحاويج منهم إلى التقاط نسبهم فكم نال مساقه الذين أرسلهم عليهم من دم أرملة غرثى ويتيمة كفرخ الحيارى إلى من أصيب فوقهم من عاجز سبيل" (2)

- تقوم هذه الخطابات على نوع من التبليغ بالنصر على العدو سواء كان داخلي ويشمل أي دولة من دول الطوائف, فقد كانت تتناحر وتتنافس فيما بينها, أو خارجي ويتمثل في العدو المسيحي وتبشير ملوك الطوائف ورعاياهم. بهذه الانتصارات.
- وقد أكدت هذه الخطابات نية التحالف والتالف التي كانت بين ملوك الطوائف في ذلك الوقت ومحاولة إشراك الطرف الثاني لذة النصر ومتعته وسرد وقائع ما حدث بين المسلمين والنصارى أو بين المسلمين فيما بينهم مثلما نلمسه في رسالة (أبو مروان بن حيان) والتي خاطب بها (ابن عباد) يبلغه فيها بانتصاره على (ابن ذي النون) وهي رسالة تعكس ظاهرة التنافس والتناحر الذي شهدته تلك الدويلات في ذلك العهد.
- ومن المعارك التي جرت بين المسلمين والنصارى ما نجده في رسالة (المعتمد بن عباد) (لابن صمادح) أين لظهر فيها تعاونه وتحالفه مع أمير المرية (ابن صمادح) وهذا من خلال قولـــــــه:" إنما أشاركك-أيدك الله-في النعمة باسوغها...) والخطاب في هذه الرسالة حضوري موجه من الملك ابن عباد لابن صمادح باستعمال ضمير المخاطب (أنت) وجاء بصيغة الحاضر مثل: (أشاركك,أطالعك...) كما اشتملت الرسالة على الأسلوب الإخباري وذلك من خلال عرض وقائع المعركة.
- كما ينبني الخطاب في هذه الرسالة على نوع من الحوار وتداول الكتابة فالرسالة الأولى والتي بعث بها **المعتمد بن عباد لابن صمادح** تولد بدورها رسالة جوابية يبعث بها (ابن صمادح) ومن بعض ما جاء في جوابه قوله:" الحمد لله تعالى ما منح متعين , وموضع الضراعة إليه في الازدياد ظاهر بين على ما أولي من نعم أظهرت الإسلام بعد خمول والشكر له على قسم أعزت الدين وقد كان جد ذليل..." **(2)**

---

(1) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص262

(2)المصدر نفسه. ق2/م1. ص264

4-**رسائل الاستغاثة**:عرف عصر ملوك الطوائف فتن متفشية في جميع أنحاء البلاد.وتوارت على السلطة. وتمردات من قبل الثائرين على الحكم السائد آنذاك. وكثرت المطامع الشخصية. فادى هذا الحكم البلاد اللجوء إلى الحل العسكري لكنهم في الأخير أدركوا عقمه. فما كان عليهم إلا إرسال بلاغات وخطابات إلى حكام افريقية للاستغاثة بهم.

- ومن قبيل الخطابات الموجهة إلى حكام افريقية رسالة بحث بها **المعتمد بن عباد** إلى أمير افريقية في المهدية, محاولة منه التعاقد والتحالف ذد الخطر الصليبي. وذلك بإرسال مجموعة من خيرة رجاله لمساعدة **المعتمد بن عباد** فيقول:" إنني- أيدك الله- على ما بيننا من لجج خضر, وفياف عبر لمستكثر من إخائك, مستظهر بوفائك... والله انه ما أملي الأبعد وعملي الأحمد إلا أن يؤم أفقك الطلق... يعلم من خواص النبلاء والأعيان الفضلاء من يبلغك كتابي وينوب في إنهاء طاعتي إليك منابي" **(1)**

- وكتب الوزير(أبو الاصبغ بن الأرقم) رسالة عن(علي بن مجاهد) إلى (المعز بن بأديس) صاحب إفريقيا يصف له حجم الخطر الذي يهدد بلاده والمتمثل في التكالب الصليبي من الخارج والفتن من الداخل فيقول: " ومما وجب التعريف به ما عم أقطار ثغرنا وخشي مجامع أفقنا من تمالئ النصارى وتضافرهم من كل أوب إلينا بجمع لا عهد بمثله ملأ الفضاء وطبق الأرجاء وشغلنا بالفتنة بيننا عن تخفيف وطأتهم وتضعيف صورتهم فطمسوا الآثار وجاسوا خلال الأدبار موفورون لا مانع منهم ولا دافع لهم إلا التفاتة الله لأهل دينه بان اقل فائدتهم وخيب مرامهم واطاش مهامهم والحمد لله على منحته ومحنته" **(2)**

- ومن الرسائل الحاملة لمعاني الاستغاثة والاستنجاد للتخليص من الخطر الصليبي وإطفاء نار الفتنة الداخلية والخارجية رسالة بعث (أبو عبد الله محمد بن أيمن) على لسان (المتوكل بن الاقطس) يستغيث فيها بأمير المؤمنين (ابن تاشفين) جاء فيها :" لما كان نور الهدى-أيدك الله- دليلك وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الإصلاح معالمك ووقفت على الجهاد عزائمك وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام اعز ناصر وعلى غزوة الشرك اقدر قادر. وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاد فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها-أهلكهم الله- عن إفراط تسلطها واعتدائها وشدة كلبها واستشرائها تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالأموال ويخرج لها من كل خيرة وتسترضي لكل نفيسة خطيرة ولم يزل دأبها الإذعان والانقياد حتى استصفى الطريق والتلاد وإنني على الظاهر والباطن النفاذ وأيقنوا الآن بضعف المدن وقويت أطماعهم في افتتاح المدن واضطرمت في كل جهة نارهم, ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ومن أخطاه القتل منهم فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ويمتحنوهم بأنواع المحن والبلايا وقد هموا بما أرادوا من التوثب واشرفوا على أملوه من التغلب فيا الله ويا المسلمين !! ليسطو هكذا بالحق إلا فك ويغلب التوحيد الشرك ويظهر على الإيمان الكفر ولا يكتنف هذه الملة النصر؟.إلا ناصر لهذا الدين المهتضم ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم!! وإننا لله على ما لحق عرشه من ذل وعزة من ذل. فإنها الرزية التي فيها عزاء والبلية التي ليس مثلها بلاء ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك-أيدك الله- في النازلة في مدينة ثورية-أعادها اله- وإنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء ثم ما زال ذلك التخاذل يتزايد

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص 283
(2)المصدر نفسه. ق3/م1. ص273

والتدابر يتساند حتى خلصت القضية وتعجلت البلية وحصلت في يد العدو-قسمه الله- مدينة سرتها وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع وفي الحصانة والامتناع وهي المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة يدركها من جميع نواحيها ويستوي في الاستضرار بها قاصيها ودانيها وما هو إلا نفس خافت ورمق زاهق فان لم تبادروا بجماعتكم عجالا وتتداركوها ركبانا ورجالا وتنفروا نحوها خفافا وثقالا وما أحضكم على الجهاد بما في حديث رسول الله عليه السلام فأنكم إلى معرفته أهدى, وكتابي هذا جملة الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها ومشتمل على نكتة هو يوضحها ويبينها فانه لما توجه نحوك احتسابا. وتكلف المشقة إليك طالبا ثوابا عولت على بيانه ووثقت في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه وأنت بفضلك تستوعب ما يؤديه استيعاب المستوفي ويصغي إلى ما ينهيه إصغاء الواعي وتجد منه مضض الموتمض وتتحرك له تحرك الممتعض (1)

- فقد بدأ **المتوكل** رسالته هذه بالثناء على ملك المرابطين وناصر الإسلام **ابن تاشفين** والتذكير بجهاده وقوته ونصرته للإسلام والمسلمين والدعاء له. ثم عمد إلى موضوع الرسالة الرئيسي وهو وصف المسلمين وحالهم مع النصارى وذكر معاناتهم جراء الفتن والاضطرابات السياسية وافتقارهم للأمن والأمان في بلادهم وفي الختام يطلب نصرته ويستغيثه لحال الإسلام والمسلمين.

- ومن الرسائل الأندلسية ما عبرت عن الأحوال السياسية السائدة آنذاك في ظل ملوك الطوائف. حيث صورت الواقع السياسي والاقتصادي في ظل تراكم الضرائب والجزيات التي كان حكام الطوائف يدفعونها (لأذوفونش) هذه الضرائب أثقلت كاهل الاقتصاد العام للبلاد... فقد كانت هناك (الضريبة السنية التي يتقاضاها **اذو فونش** ومقدارها خاضع للمساومة متأثر بحال الرضي والغضب ولكنها على أي حال ضريبة ثقيلة تحصل من الرعية... ثم الضريبة المعروضة لدفع مرتبات الجند وترتفع كلما كثرت الحروب والفتن دائرة بين الأمراء أنفسهم وعي في الأحوال العادية "جزية" ... وهي ضريبة من الغنم والبقر والدواب والنحل...) (2)
- ومثال هذه الرسائل التي عكست الوضع المتدهور للبلاد وبينت هذا الخضوع الشبه التام للعدة رسالة(ابن القصيرة) إلى قواد البلاد على لسان (المعتمد بن عباد) جاء فيها:" الحال مع العدو-قسمه الله- بينة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف, معروفة لا تفتقر إلى نعت ولا وصف ومن لا يمكن مقاومته ومخاشنته فليس إلا بمداراته وملاينته وكان-قل الله حده وفض جنده- قد اعتقد الخروج في هذا العام إلى بلادنا-عصمها الله- بأكثف من مجموعه في العام الفارط واحفل وابلغ في استعداده وأكمل إلى أن الله تعالى يسير من إنابته إلى السلم من يسر ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظر ووقع الاتفاق معه على جملة من المال يقدم إليه ويستكف بها الشر المرهوب لديه تنتسف. فكم حال وكانت بخروجه تتلف ونعمة بأيدي طاغية تنتسف والرعية خاطبها التي في هذا العام على ما يقتضيه ما عم البلاد من الفساد وشملها من جائحة القحط والجراد" (3)
- كما دارت رسائل بين ملوك الطوائف تنم عن الرغبة في التعاون والتحالف ضد العدو الداخلي والخارجي منها ما كتبه **ابن البر** عن **المعتضد بن عباد** إلى (ابن هود) يطلب منه أعانته للقضاء على المتمردين داخل البلاد فيقول فيها: " من أعتقدك-أعزك الله- عمادا له وظهرا ورآك عتادا وذخيرا- طالعك-بحاله وأمره- وأطلعك على حلوه ومره وخرج إليك عن سره وجهره... راضيا بإنصافك فيما يقدره لديك ويمهده. والله لا يعدمني الاستظهار برأيك اعشوا إليه سراجا وسعيك احتذي عليه منهاجا وقد علمت صورة حالي مع المدبرين لقرطبة وصبري لهم في الخطير والجليل. فلم تزل عقارب سعيهم إلي تدب وريح جنايات بغيهم علي تهب(4)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة ق2/م2. ص553-556
(2)إحسان عباس-تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة-نشر وتوزيع-بيروت-لبنان- ط1. 1962 . ص39-40
(3)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص252
(4))ابن بسام. الذخيرة ق3/م1 ص135

ينبني خطاب هذه الرسائل على نوع من الاستنجاد وطلب المعونة من إخوانهم في افريقية قصد تخليصهم من الخطر الصليبي الذي يهدد البلاد من الخارج واشتعال نار الفتن من الداخل فجاءت هذه الخطابات معبرة عن المعاناة الذاتية للشعب الأندلسي في ظل الظروف السياسية المضطربة التي تمر بها البلاد.

- ومن جهة أخرى نلاحظ أن هذه الخطابات تتركب من طرفي الخطاب: مرسل ومرسل إليه وفحوى الخطاب. مثاله ما نجده في رسالة بعث بها **المعتمد بن عباد** وهو المرسل إلى أمير افريقية في المهدية وهو المرسل إليه والغرض من هذا الخطاب محاولة التعاقد والتحالف ضد الخطر الصليبي.

- ومن الخطابات ما كانت تتم عن طريق واسطة بين المرسل والمرسل إليه ومثالها ما نجده في رسالة كتبها الوزير(أبو الأصغم بن الأرقم) وهو الواسطة في هذا الخطاب. عن (علي بن مجاهد) وهو المرسل إلى (المعز بن باديس) وهو المرسل إليه.

- ونجد هذا في رسالة بعث بها (أبو عبد الله محمد بن أيمن) وهو الواسطة على لسان (المتوكل بن الأقطس) يستغيث فيها بأمير المؤمنين (ابن تاشفين).

- ونجده أيضا في ريالة بعث بها (ابن القصيرة) وهو الواسطة على لسان (المعتمد بن عباد) وهو المرسل إلى (قواد البلاد) وهم المرسل إليه.

ب- الرسائل الأخوانية: وتسمى أحيانا الشخصية. ونعني بها تلك الخطابات التي تدور بين الأدباء والأصدقاء في مختلف الأوقات والمناسبات حاملة معها معاني الأخوة والصداقة, عاكسة الحالة الاجتماعية السائدة في ظل ملوك الطوائف. من تالف ومحبة بين أبناء الوطن الواحد.

- وفي القرن 5هـ أخذت هذه الرسائل تقترب من الشعر في كيفية تعبيرها عن العواطف وتناولها جانبا كبيرا من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فهي: " شعر غنائي منثور يجد فيها كاتبها متنفسا حرا عن عواطفه لا يقيده فيها وزن ولا قافية وهي اقرب فنون النثر إلى الشعر. وهي تعبير عن عاطفة شخصية " (1)

- ومن أهم المواضيع التي تناولتها الرسائل الأخوانية: المدح, العتاب, التهنئة, الشكوى, العتاب, الاستعطاف, والاعتذار, الشفاعة والوصف وغيرها من المواضيع الاجتماعية.

1- **رسائل العتاب**: يعتبر العتاب اكبر دليل على الصداقة والمحبة والألفة بين الطرفين, واحد العوامل المساهمة في توطيد هذه العلاقة الجامعة بينهما. فالصداقة تدوم ما دام العتاب. يقول الشاعر: أعاتب ذا المودة من صديق... إذا ما رابني منه اجتناب

إذا ذهب العتاب فليس ود.... ويبقى الود ما بقي العتاب (2)

- فمعاتبة الصديق صديقه إذا أحس بشيء من الجفاء ونوع من التقصير من قبله أو برودة في كلامه أو عدم مبالاة ولا اكتراث به. فيسارع لمعرفة سبب ذلك. مذكرا إياه بجذور الصداقة التي جمعتهما وقدمها والعهد المبرم بينهما... فتاتي مجموع هذه المشاعر في قالب عتاب تختلف لهجته وحدته بحسب الحالة النفسية للكاتب والموقف الذي هو فيه.

- ومن قبيل الرسائل الحاملة في طياتها معاني العتاب. رسالة (ابن شهيد) إلى (مجاهد العامري) أمير دانية يعاتبه فيها على إهماله للصداقة التي كانت تجمعهما وانشغاله بأمور السياسة يبدؤها بتذكيره بأيام الصبا والشباب وبالماضي وذكرياته فيقول: " كنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميها. وتلقي الخطوب علينا مراسيها. وتمخضنا الأيام مخضا وتركض بنا الليالي ركضا تربي صحبة وحليفي صبوة, وقد تخلينا عن الأنساب وانتسبنا إلى الآداب, والدار إذ ذاك صقب والملتقى كثب فإذا شمخ بأحدنا مارن. وثار به كمد لساكن يعتب على زمن وتقصير بإرادة عن سكن. تعاطينا كاس الشكوى وتخاذبنا حبل البلوى... ثم ألقت الأيام علينا بكلكل وأناخت من قوانا بجران. فنثرتنا بكل فج عميق,وافق سحيق.نثر الدر شذر مذر"

- ثم يأتي لعتابه على إهماله ونسيانه للصداقة والألفة التي كانت بينهما فبقوا:"ونفحت عليك رياح السعد... وقضيت إربك منه على قهرة فكان أول حيصتك عن الوفاء,وجيدتك عن رعاية قديم الإخاء إن تركت المخاطبة وأضربت عن المكاتبة خشية أن يكون كلنا عليك ورغبتنا في ما لديك.." ثم يواصل ويذكر صديقه أن رغم هذا الجفاء والإهمال اللذين يلقاهما منه لا يزال محافظا على تلك الصداقة متمسكا بها. فيقول في هذا: " ثم قلت:حمل أحسن الظن أجمل...فانطويت على ود وثبت على صحة عقد..." وفي الأخير يخلص بتذكير صديقه ما فعله الواشون لقطع أواصر هذه الصداقة والعمل على بث التفرقة والخلاف بينهما حيث يقول محاولا إنصاف نفسه ودرء التهم عنه فيقول: " ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم ما اجروا في ذكرك فضلا على أن يجروا ذكري لك وهم يعلمون أن مرماي غير مرماهم ومغزاي سوى مغزاهم, ويوقنون أن ابعد آمالي في صديق إذا سمى وارفع رغباتي لديه إذ طمي انفرج بابه وانتهاك حجابه,يمتعني بإشراق وجهه. ويورد في غدير بشره... ولا يقلل حظي من إكرامه ولا يهجر قسطي من لطيف اهتمامه. بعد أن يعدل القسطاس ويميز الذهب من النحاس" (3)

---

(1) أحمد أحمد بدوي-أسس النقد الأدبي عند العرب-مكتبة نهضة مصر-القاهرة-1964 ص 580-581
(2)ابن منظور-لسان العرب-دار صادر بيروت(د.ت) مادة(ع ت ب)
(3))ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص228-29

- ومن قبيل رسائل العتاب نورد رسالة (لابن برد) بعث بها إلى احد أصدقائه يعاتبه فيها. حيث يقول:" اظلم لي جو صفائك وتوعرت على ارضي إخائك,واراك جلد الضمير على العتاب,غير ناقع الغلة من الجفاء وفليت شعري ما الذي أقصى مهجه ذلك الود.واذوي زهرة ذلك العهد؟عهدي بك وصلتنا تفرق من اسم القطيعة ومودتها تحمل عن صفحة العتاب ونسبة الجفاء. واليوم هي انس بذلك من الرضيع بالثدي والخليع بالكأس وهذه ثغرة إن لم تحرسها المواجعة ونذك فيها عيون الاستبصار. توجهت منها الحيل على هدم ما بيننا ونقض ما اقتنينا وتلك ناعية الصفاء والصراحة يموت الإخاء.لا أتنبذ-أعزك الله- في الكتاب إليك وان رغم انف القلم,وانزوت أحشاء القرطاس واخرس فم الفكر يبق احدهما إسعاد لي على مكاتبك ولا بشاشة عند محاولة مخاطبتك لقوارص عتابك وقوارع ملامك لي قد أكلت أقلامك واغصت كتبك وأضجرت رسلك...وكثيرا ما يكون عتاب المتصافيين حيلة تسر المودة بها وتستثار دفائن الأخوة عنها. كما يعرض الذهب على اللهب وتصفق المدام بالأقدام. وقد يخلص الود على العتب خلاص الذهب على السبك.وأما إذا أعيد وابدي وردد وولي فانه يفسد غرس الإخاء كما يفسد الزرع توالي الماء" (1)

- ومثالها في العتاب رسالة(أبو عبد الله بن البزلياني) بعث بها إلى صديقه(أبو جعفر بن عباس) يعاتبه فيها على عدم إكرامه له في إحدى زياراته في بيته والتنقيص من قيمته, فخاب أمل الكاتب بعدما كـــان يتوقع معاملة خاصة من صديقه أثناء تلك الزيارة.فيــقول:"كلف المروءة-أبقاك الله- صعبة إلا على الكرام.وطرق الجفاء رحبة لسلوك اللئام والأحمق يرى البر خسرانا ويعتقد إكرام الوافدين نقصانا...وجئتك زائرا وكأني جئتك آملا وأردت مصافحتك فما مددت يدا,وطلبت معانقتك فخلتك مقعدا.بعد أن توهمت بالنهوض أقعدك الكسل.كأنك خمصانة*أثقلها الكفل* وجعلت تشير بالحاجب وتلوي الشفة وتدعي بالجهل في شيء معرفة فما كان ضرك حين أخللت أو أجللت,وما كان سوء:حين ناظرت لو أجملت وما كان ينقصك حين حكمت لو عدلت؟ (2)

- تندرج هذه الرسائل في شكل عام في إطار الخطاب الذاتي المعبر عن علاقة الأديب بغيره من الناس.وما تثيره هذه العلاقة في النفس البشرية من مختلف المشاعر المعبر عنها.بمصطلح الصداقة وما تعنيه من حب وإخلاص ووفاء واطمئنان. وكتمان أسرار.وإذا أحس احد الطرفين بنوع من الجفاء والبرودة أو التنكر وقلة الاهتمام لجا إلى عتاب صديقه وطلب التفسير منه ومعرفة سبب هذا التغيير.وهذا إن دل على شيء فانه يدل على مدى فعالية العتاب في تحريك مشاعر الأصدقاء وتنميتها وتجديدها.وتقوية أواصل الصداقة.فمن ذلك ما كتبه (ببن شهيد) إلى **مجاهد العامري** حيث بدا رسالته بتذكيره بأيام الصبا والشباب وبالماضي وذكرياته وبالليالي وانسها مستعملا في ذلك أفعال جاءت بصيغة الماضي المقترنة بضمير الجمع الدال على الكاتب وصديقه فيقول:"كنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميها..." وصولا إلى موضوع الرئيس وهو عتاب لصديقه(مجاهد العامري) على إهماله لهذه الصداقة وتناسيه لها.وتنكره لما كان يجمعهما فيقول مستعملا ضمير المخاطب:"ونفحت عليك رياح السعد..." ثم يواصل الكاتب عتابه مذكرا صديقه بان عهد هذه الصداقة لا يزال قائما رغم الجفاء والإهمال الذين يلقاهما منه فيقول مستعملا ضمير المتكلم(أنا) :"ثم قلت حمل أحسن الظن أجمل..." ليخلص في الأخير إلى تذكير صديقه بما فعله الواشون لقطع أواصل هذه الصداقة فيقول:"ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم..." (3)

---

(1) ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص501-502

*<u>خمصانة</u>:الخمصان والخمصان:الجائع الضامر البطن.والأنثى خمصانة وخمصانة.وجمعها خماص(ابن منظور-لسان العرب-مادة خمص)

*<u>كفل</u>:الكفل:بالتحريك:العجز.وقيل:القطن يكون للإنسان والدابة وأنها لعجزاء الكفل.والجمع أكفال(ابن منظور-لسان العرب-مادة كفل)

(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م2 ص633

(3))المصدر نفسه. ق1/م1. ص229

وقد حرص (**ابن برد**) كغيره من الكتاب الأندلسيين في رسالته على دوام المودة والصداقة التي تجمعه مع صديقه ومحاولة حمايتها من الذبول فيقول في مستهلها عن سبب هذا الجفاء:" اظلم لي جو صفائك وتوعرت علي ارض إخائك..." وبعدها يحاول ابن برد أن يضع صديقه في المحك حين اقترح عليه ثلاثة حلول لمواصلة هذه الصداقة أو قطعها.وهذا يعكس لنا الشخصية الجادة(لابن برد) وصراحته فيقول:" فإما أن تدلني بحجة فأتنصل عنك.وإما أن تنبئ بحقيقة فأستديم خلتك وإما أن تأزم فأسك فاقطع حبلي منك..." ثم يختم رسالته بالتصريح عن رأيه في العتاب وان ما كان قليله يعني عن كثيره فهو انجح.فكثرة العتاب تقضي على ذلك الود ويكون اقرب منه إلى الهجاء.فيقول في هذا الشأن:" وكثيرا ما يكون عتاب المتصافيين حيلة تسبر المودة بها وتستثار دفائن الأخوة عنها كما يعرض الذهب على اللهب وتصفق المدام بالهدام..." **(1)**

- وكما يدور العتاب بشكل عام في الرسائل الأندلسية في عهد ملوك الطوائف حول تنكر بعض الأصدقاء للود الذي كان يجمعهم والتقصير والتفريط في حق الصديق على صديقه وهذا من جانب الزيارة وما ينبغي لهذا الصديق من ترحيب وإعطاءه حقه من الضيافة.وعلى هذا الأساس جاءت رسالة:(أبو عبد الله بن البزلياني) بعث بها إلى صديقه (أبو جعفر بن عباس) يعاتبه فيها على عدم إكرامه له في إحدى زياراته في بيته والتنقيص من قيمته فخـــاب أمل (أبو عبد الله بن البزلياني) بعدما كـــان يتوقع معاملة خاصة من صديقه أثناء تلك الزيارة.فيـقول:"كلف المروءة-أبقاك الله- صعبة إلا على الكرام.وطرق الجفاء رحبة لسلوك اللئام والأحمق يرى البر خسرانا ويعتقد إكرام الوافدين نقصانا..." فالكاتب هنا بصدد ذم الصفات التي وجدها في (أبي جعفر) من كبر وترفع:(ونحن هنا لا نظن أن البزلياني يفتري على (ابن عباس) الكذب أو يتهمه بما ليس فيه فقد شهر بالكبر حتى عده صاحب الذخيرة من صفات أربع تقدم فيها سائر الناس وهي:" المال...والعجب...والبخل...والكتابة:وهي اقل أربعه) **(2)**

وقد تضمن هذا العتاب نوعا من الهجاء لما أثارته تصرفات الوزير (أبو جعفر بن عباس) من سخط وغضب واستنكار لدى الكاتب فجاءت لهجة العتاب شديدة عنيفة تحمل كل معاني اللؤم والازدراء فلومه بمثابة ترسيخ لهذه الصداقة واستمرار لها.فما لقيه الكاتب من صديقه لم يوفه حقه ولم يضعه في المكانة التي يستحقها مع العلم انه رجل علم وأدب.يقول الكاتب واصفا تلك المعاملة مخاطبا (أبا الجعفر) :(وجئتك زائرا وكأني جئتك آملا وأردت مصافحتك فما مددت يدا,وطلبت معانقتك فخلتك مقعدا....) ثم يحاول الكاتب درء التهم الموجهة إليه محاولا إلصاقها بقائلها.فيقول:" ومن العجب أم تنسبني إلى وهي حضنك إذا غلبت.وتلحنني في النطق وهي عادتك إذا كتبت ولعمري لقد قلتها ولقد جهلتها وتركتها وما عرفتها وكما أن بركة الأشجار في الأنوار, فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار فأين رسائلك وأشعارك ومؤلفاتك وآثارك؟هيهات,هيهات! غلبك على الجو أعله ونفاك عن جهله" **(3)**

- هذا ما نلاحظه في رسالة (أبو عمر بن الباجي) يرد فيها على عتاب صديقه جاء فيها:" المودات-أعزك الله- إنما تثبت دلائلها وتصح مخايلها بضمرات الفؤاد لا بمزورات المداد...وفي علمه تعالى أني من الاعتلاء بمجدك,والاعتلاق بحبل ودك,والاستناد إلى كرم عهدك بمنزلة لا يتعاط إدراكها احد,ولا تطول صفائي فيها يد...وقد ورد كتابك ففضضته من مثل عقارب لآسية,وسهام نافذة صائبة ومن عتاب صدع قلبي,وفث في عضدي,وتقريع لم أقف ببابه ولا جذبت بأسبابه..." **(4)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص502

(2)علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي.بيروت.لبنان ط1 1990 ج1 ص390

(3)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م2 ص635

(4) المصدر نفسه. ق2/م1. ص192

- وقد وجدت رسائل العتاب صدى في نفس الأصدقاء المعاتبين وكان لها أثرها البالغ في نفوسهم فكان العتاب بمثابة إحياء للود القديم وترسيخ للصداقة.هذا ما لاحظناه في رسالة (أبو العمر بن الباجي) ردا فيها على عتاب صديق له حيث يقول:" المودات-أعزك الله- إنما تنثبت دلائلها وتصح مخايلها..." فالكاتب هنا في رده على عتاب صديقه يحاول أن يبرئ نفسه من المآخذ التي أخذها عليه صديقه محاولا إظهار صداقته له ورغبته في استمراريتها.فعتاب صديقه قد حرك فيه مشاعر الصداقة التي تجمعهما, فأحياها من جديد.

- وكثيرا ما تتطرق رسائل العتاب في مضمونها إلى درء التهم ومحاولة بريء النفس من مجموع المآخذ التي أخذت عنها وهذا ما وجدناه في رسالة ابن الشهيد إلى مجاهد العامري محاولا إنصاف نفسه مما قاله الوشاة ودرء التهم عنه, فيقول:" ولقيت إخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم والحذر من دثارهم..."

- وأيضا في رسالة (ابن عبدون) يحاول فيها تبرئة نفسه أمام صديق له ودرء الشبهات عنه وهو في ذلك يلومه على تصديقه لما قيل عنه فيقول: " سلام على من نظر بقلبه لا بعينه وحكم بيقينه لا بظنه, ونطق بعقله لا بهواه واخذ من دنياه لأخراه ولم يستقره قال ولا قيل ولم تهزه تلك الأباطيل... وبلغني قول من قضى علي بالظنة وحكم بالشبهة وللمقولات طرق لا يتعداها معتد,إلا وكان وبال ذلك راجعا عليه ... لاسيما في ضربة توجب حقا وتضرع خدا, وتفل من فاضل حدا..." (1)

- ومن الرسائل الحاملة لمعنى العتاب في إطار إهمال احد الطرفين للآخر أو التنكر لصداقته رسالة بعث بها (أبو عامر بن التاكرني) إلى (أبي جعفر بن عباس) جاء فيها:" كتبت عن نفس تفيض بمائها وتجيش بدمائها وتشكوا إلى الله عظيم أدوائها غيضا على تقلب الزمان وعجبا من تنكر الإخوان... لا يلفظني عجب إلا إلى مثله ولا انتقل من مستغرب إلا إلى شكله,إن أبرمت حبلا من الإخاء نقض المفسدون مريرته أو ملأت يدي بمن اعتد به الشدة والرخاء افسد الواشون سريرته..." (2) فالكاتب هنا يشكو الجفاء والإهمال الذي يلقاه من صديقه(أبو الجعفر) وقد يعود هذا الإهمال إلى عوامل سياسية وخلافات بين مملكته (المرية) ومملكة(بلنسية) جاءت سلبا على الصداقة التي كانت تجمع بين (أبي جعفر) و(أبي عمر)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م2 ص680

(2)المصدر نفسه. ق3/م1. ص229

2-**رسائل المدح**: وتكون بين الأصدقاء للإشادة بعواطف الصداقة والمحبة والأنس ومنها ما يكون في مدح الملوك والتودد إليهم واستعطافهم, وكذا مدح الوزراء واعيان الدولة.

- وينبني خطاب رسائل المدح على نوع من التودد للحكام والأمراء والتوسل إليهم والتقرب من مجالسهم والدنو منهم لنيل رضاهم وكسب ثقتهم وللحصول على مرادهم من كتابة هذه الرسالة, والسبيل للتمهيد لذلك هو المدح والثناء والتعظيم للشأن. وهذا ما نجده عند الكاتب(ابن زيدون) لما عرف عنه من مدح الملوك واستعطافهم والتودد إليهم. وخير تمثيل لهذا :رسالته(الجدية) التي بعث بها وهو في السجن إلى ملك قرطبة (أبي الحزك بن جهور) يستعطفه فيها ويسترحمه (1) ليعيده إليه فيستهلها بكل أنواع المدح ومعاني الثناء والإجلال (لابن جهور) مستعينا بأسلوب النداء قصد تقريب ذات المرسل إليه وهو (الملك ابن جهور) وجعله وكأنه يخاطبه وجها لوجه. فيقول:" يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتدادي به واعتمادي عليه وامتدادي منه, أبقاك الله ماضي حد العزم.راوي زند الأمل, ثابت عهد النعمة" ثم يتخلص من المدح والثناء إلى الشكوى والعتاب, وهذا ما يعرف في القصيدة التقليدية بحسن التخلص فيقول: " إن سلبتني- أعزك الله- لباس أنعامك.وعطلتني من حلي إيناسك واظمانتني إلى برود إسعافك . ونقضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك,بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك وسمع الأصم ثنائي عليك,وأحس الجماد باستنادي إليك فلا عزو فقد يغض بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفي به ويؤتي الحذر من مأمنه, وتكون منية المتمني في أمنيته والحين قد يسبق جهد الحريص:

(كل المصائب قد تمر عن الفتى ۞ وتهون غير شماتة الحساد)

واني لأتجلد وارى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع. فأقول: هل انأ إلا يد أدماها سوارها, وجبين عضه إكليله, ومشرفي الصقه بالأرض صاقله, وسمهري عرضه على النار مثقفة, وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

(فقسا ليزد جروا ومن يك حازما ۞ فليقس أحيانا على من يرحم)

هذا عتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة لم تنجلي, هذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ولن يريبني من سيدي إن أبطا سيبه, أو تأخر- غير ضنين- غناؤه فإبطا الدلاء فيضا أملؤها وأثقل السحائب مشيا أحفلها وانفع الحيا ما صادف جديا. وألذ الشراب ما أصاب غليلا. ومع اليوم غدو ولكن اجل كتاب له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في إغفاله.

(وان يكن الفعل الذي ساء واحدا ۞ فأفعاله اللائي سورن ألوف)

- أعود فأقول: ما الذنب الذي لم يسعه عفوك, والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك, والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يق به احتمالك ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل؟!أو مسيئا فأين الفضل؟!

(إلا أن يكون ذنب فعدلك واســع ۞ أو كان لي ذنب ففضلك أوسع)

حنانيك قد بلغ السبيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى, وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لأدم فأبيت واستكبرت وقال لي نوح"اركب معنا فقلت" سآوي إلى جبل يعصمني من الماء"وأمرت ببناء الصرح " لعلي اطلع إلى اله موسى" وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت, وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش"طالوت" وقدت الفيل لأبرهة, وعاهدت قريشا على ما في الصحيفة. وتأولت في بيعة العقبة ونفرت إلى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد,وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك على عائشة الصديقة, وانفلت من إمارة أسامة وزعمت

---

(1) عبد العزيز بن عواد-النثر الأدبي الأندلسي – ط1 1996 ص118

إن إمامة أبي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد, ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

(ثلاثة آلاف وعبد وقينـــة ۞ وضرب علي بالحســام المهند)

وكتبت إلى عمرو بن سعد :"إن جعجع بالحسين" وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة:

(ليت اشياخني ببدر علموا ۞ جذع الخزرع من وقع الأسل)

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل أن يسمى نكالا. ويدعى-ولو على المجاز-عقابا.

(وحسبك مـن حادث يامـرئ ۞ ترى حاسديه لــه راحمينا)

- لننتقل بعدها إلى استعطاف الأمير ونيل عفوه والتذكير بما فعله الوشاة والحسدة ضده. فيقول:"فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح. ونبا جاء به فاسق وهم الهمازون المشاءون بينهم. والواشون الذين لا يصدعوا العصا. والغواة الذين لا يتركون أديما صحيحا. والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس فقال:"ما أضنك بقوم الصدق محمود إلا منهم"

(حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ۞ وليس وراء الله للمرء مذهب)

والله ما غشيتك بعد النصيحة.ولا انحرفت بعد الصاغية.ولا نصبت لك بعد التشيع ولا أزعمت يأسا منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد آخذه حسن الظن عليك ففيم غبث الجفاء باذمتي وعاث معقوق في مواتي.وتمكن الضياع من وسائلي؟! ولم ضاقت مذاهبي وأكدت مطالبي؟! وعلام رضيت من المركب بالتعليق؟! بل من الغنيمة بالإياب.وبان غلبني المغلب.وفخر علي العاجز الضعيف,ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع قبل أن افترس.وتدركني ولما أمزق؟(1)

- وعليه فقد طمت هذه الرسالة الطويلة وعاني المدح والثناء الذي يدخل في لطار التوسل والاستعطاف:(فالمدح إذن هو القالب العام الذي تصب فيه المعاني الأخرى التي يتوسط بها الكاتب لبلوغ أهدافه المنشودة سواء كانت من قبيل الاستعطاف أو الشفاعة أو التكسب أو الاستجداد) (2)

- ومن الرسائل الموجهة لمدح الأمراء والوزراء رسالة(ابن خفاجة) في مدح احد الأمراء فيقول:"مثل الأمير ممن المجد من أعدائه والبأس من أجناده والفهم من طلائعه والحلم من طبائعه,والكرم من حلاه والسؤدد من علاه والعزم من خدمه والحزم من شيمه, والأقدام والإكرام والأنعام من صفاته والرياسة والنفاسة من سماته والفضل من أخلاقه والشرف من أعراقه والمحامد من أرديته والنصر معقود بأولويته- جدير أن تهز نحو الآمال ذوائبها وحقيق أن تعمل إليه الآمال ركائبها..." (3)

- وقد اشتملت هذه الرسالة على مجموعة من الصفات من شانها أن تدعم غرض المدح وتخدمه منها :
المجد.الباس.الفهم.الحلم.الكرم.السؤدد.العزم.الحزم.الاقدام.الانعام.الرياسة.النفاسة.السياسة. الفضل.الشرف...) وقد حصرها الكاتب عرضا في جملة اعتراضية استهل بها رسالته

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص340- 342

(2)علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي ط1 1990 ج1 ص274

(3)

- ومثالها رسالة بعث بها **ابن زيدون** إلى **المعتضد بن عباد** تحمل معاني المدح والثناء والتعظيم يقول فيها:" أطال الله بقاء الحاجب فخر الدولة مولاي وسيدي ومولى المناقب الجليلة والضرائب النفيسة في أكمل مل تكفل به من علو القدر ونفاذ الأمر وخصه من النعم باصبغ سربالا ...وحسبي أن أملي قد ارتاب الجناب الرحب والمشرب العذب ولعل الحظوظ ستكشف والنوائب ستصرف إلى أن ابلغ ابعد غايات الأمل من مشاهدة حضرته العلياء, والنظر إلى غرته الزهراء

فو الله ما ينصرف فكري ولا ينصرم حين من عمري إلا في الذكر له والشوق إليه وتصور المثول بين يديه...وأنا أقدم الاعتذار من مهابة تستملك جناني.وحصر يكاد يقطع في أول المشافهة لساني.فان حدث ذلك فعذري عذر الفضل بن سهل وقد انقطع بين يدي الرشيد فقال له:" يا أمير المؤمنين من فواهة العبد أن تملك قلية مهابة سيده...واني لم أزل منذ فارقت حضرتك الجليلة حضرة المجد والسيادة ومحلل الإقبال والسعادة لهج اللسان بما أجناني من ثمار الحكمة والنعمة وأفادني من عقد الأدب والنشب ... والله يبقيه لعبيده الذين أنا آخرهم وأولهم في شكر النعمة ويرفع من هممهم ما انخفض ويبسط من آمالهم ما انقبض ولا يعدمهم التقلب في النعمة والاعتلاق بأسباب ذممه بمجده وكرمه" (1)

- فقد اشتملت هذه الرسالة على عدة أغراض تدخل في إطار مدح الملوك من استعطاف وتوسل والغرض منها التقرب إلى مجالس الملوك ونيل رضاهم والفوز بالمكانة واخذ العطايا

- والى جانب مدح الملوك واستعطافهم.عرفت الرسائل الأندلسية مدح الوزراء واعيان الدولة.ومن هذا القبيل رسالة (أبو جعفر بن احمد) في مدح احد الوزراء فيقول: " فانك اتخذت إلى العلا طريقا مختصرا خفي من غيرك فلا يرى له أثرا فكل يرى أساس المجد سعيه لنفسه واستنفاذ وسعه لذاته...وأنت-أعزك الله- إنما تشيد مجدك بان تبذل لغيرك جهدك وتنفق في ذلك ما عندك وهذا طريق لا يهتدي إليه إلا عيون أرائك وغرض بعيد لا تصميه إلا سهام أنحائك" (2)

- كما كتب (أبو المطرق بن الدباغ) رسالة يمدح فيها الوزير الكاتب(أبو محمد بن عبد البر) يقول فيها:" انك المنتهى الذي إليه يجري.وتبتغي لديه الزلفى , ويتوصل به إلى العليا وأنا ممن يتشيع فيك تشرعا ويحبك طبعا وتطبعا.واستنزل في الجمع بك الأقدار. واستخدم في التعلق بأسبابك الليل والنهار..." (3)

- فمن الملاحظ أن الكتاب الأندلسيين لم يتحفظوا في مدحهم للوزراء فكان مدحهم لا يختلف عن مدح الملوك والغاية من ذلك منفعية باعتبار الوزراء سلما يصل به الكتاب إلى الملوك.

- ومن الرسائل التي جاءت في مدح الأصدقاء. رسالة (أبو القاسم بن الجد) في مدح احد أصدقائه يذكر فيها بأخلاقه وفضائله وصفاته النبيلة فيقول:" إذا عددت-أعزك الله- أعيان الزمان وأفاضل الإخوان ثنيت عليك خنصري... لأنك-والله يبقيك- حامل آداب ومعارف ولا بس من خلع الفضل مطارف ومتميز بفضول محاسن منحت جمالها ومتفرد بحواص فضائل جمعت كمالها لا أعدمني الله منك جملة فضل, وزهرة نبل وذخر وفاء وعلق سناء" (4)

- ولأبي(محمد بن عبد البر) رسالة بعث بها إلى (أبي عامر أبيه) يمدحه فيها ويذكر علمه وتميزه وتفرده ومدى أهميته ومكانته بين علماء عصره.يقول فيها:" ففضلك في كل قطر كالمشاهد وشخصك في كل نفس غير متباعد فأنت واحد عصرك وقريع دهرك علما بيدك لواؤه وفضلا إليك اعتزازه وكنت كذلك والناس موفورون والشيوخ أحياء يرزقون. فكيف وقد درس الأعلام والكدى واستنزع العلم بقبض العلماء فانقضى والناس عندنا ما عندك ظماء.ولدينا الداء وأنت الشفاء" (5)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص405.407

(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص767

(3)المصدر نفسه. ق3/م1 ص316

(4)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق1/م1 ص299. 300

(5)المصدر نفسه. ق3/م1 ص104

- كما ظهرت رسائل أندلسية حملت معها أسمى معاني الصداقة والأصدقاء يشيد فيها الكاتب بخصال صديقه أو خليله مادحا له مذكرا إياه بقيمة هذه الصداقة وضرورة بقائها مهما بعدت المسافات وطال الأمد فالأجسام تتباعد والقلوب تتقارب وتبقى الرسالة ملاد الكاتب يفرغ فيها كل ما تعنيه صداقة هذا الصديق من مشاعر نبيلة وعميقة ومن قبيل هذه الرسائل رسالة(أبو جعفر بن احمد) جاء فيها:" استكمل الله تعالى لمثنى الوزارة سعادة وأستوصله في سموها عادة واسأله المسرة يدنوها معادة كيف لا أراقب مراقي النجوم وأطالب مآقي العين بالسحوم وقد انذر بالفراق منذر وحذر من لحاق البين محذر- وياليت ليلنا غير محبوب وشمسنا لا تطلع بعد وجوب فلا نروع ولا نفجع بوداع.حسبنا الله كذا بنيت هذه الدار وأبى سبحانه أن تصل شمس انسنا الأقدار, ولعلها تجود بعد لأي. وتعود إلى أحسن رأي وتنظر رحيلا وتعمر ربعا محيلا" (1)

- وعلى العموم فقد عكست رسائل المدح الظروف العامة للحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف.وصورت مشاعر الصداقة والتشوق التي جمعت أبناء الوطن الواحد.كما صورت الاستعطاف والتوسل والتقرب من الملوك وبلاطاتهم ونيل رضاهم. وبهذا أصبح المدح النثري بعدا ثانيا جعله يتعدى حدود الشعر,بعدما كان المدح منذ القدم في قصائد الشعراء.

3- رسائل الهجاء: يعد الهجاء نقيض المدح يسعى فيه الكاتب لإظهار مساوئ الشخص المهجو.وسلبياته محاولا بذلك جعله في أبشع صورة وأقبحها سواء بذكر الصفات الخلقية من طول وقصر ونحافة وسمنة...أو خلقية وتشمل كل الصفات المستكرهة في الإنسان من كذب ونفاق ونقض عهد وإخلاف وعد وغيرها.

- ومن هذا القبيل رسالة (لأبي عامر الاصيلي) بعث بها إلى (أبي محمد بن أبي الفرج) يهجو فيها أهل(شنتمرية) ويذكر بعض صفاتهم من حمق وجبن ونقص وصغر عقل... فيقول:" والله لقد جبلت البلاد وبلوت العباد فلاشك عندي ولا مرية أن أرذل الناس أهل شنتمرية الأوغاد الحثالة.معادن الخساسة والنذالة أخلاق اللؤم.وروايح الثوم.أحلام البغال.وأقفال النعال.قوم غلتهم الوراعة والطماعة عن التحلي بالجود والشجاعة..." (2)

- ومن الرسائـل الحاملة لمعاني الهجـاء المشوب بالفكاهـة والتهكم والسخرية رسالة(ابن زيدون) " الهزلية" والتي يهجو من خلالها الوزير (ابن عبدوس) على لسان محبوبته "ولادة" بنت المستكفي بالله. يسخر منه ويستهزئ به وقد علق عليها " المقوي" بقوله:" وبسببها (ولادة) خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات والتنديدات مالا مزيد وقد افتتحها بقوله:" أيها المصاب بعقله..." (3) وعبر عنها د/عبد العزيز عتيق بقوله:" أما الرسالة الهزلية فقد كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي لمنافسه في حبه الوزير أبي عامر بن عبدوس وفيها يسخر ابن زيدون منه سخرية بلغت في بعض أجزاء الرسالة حد الهجاء"

- يبدأ ابن زيدون رسالته بمدخل يصف من خلاله) ابن عبدوس) بصفات الجهل والتفاهة بأسلوب السب والشتم المباشر فيقول:" أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سقطه.الفاحش غلطه والعاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره.الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش في الشهاب, فان العجب اكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب" ثم يعود **ابن زيدون** ليوجه الخطاب مباشرة **لابن عبدوس** بعدما كان الخطاب بضمير الغائب.

---

(1)ابن خاقان. قلائد العقبان. تحقيق. الشيخ الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر 1990 ص400

(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق ق2/م1. ص 310

(3) عبد العزيز عتيق.الأدب العربي في الأندلس.دار النهضة العربية للطباعة والنشر.بيروت ط2. 1976ز ص458

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التجاهل والتحقير والانتقاص من قيمة ابن عبدوس بعدم التلفظ حتى باسمه فيقول:" وانك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك متهديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك مرسلا خليلتك مرتادة مستعملا عشيقتك قوادة كاذبا نفسك انك ستنزل عندها بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل.

- ثم يتوقف ابن زيدون عن أسلوب الذم المباشر مستخدما طريقة(الجاحظ) في الفكاهة والسخرية والاستهزاء: (عن طريق سير من الومضات التاريخية تهدف كلها إلى التحقير الكلي بواسطة التعظيم الساخر ويأتي ذلك بفعل المقابلات التي تظهر المهجو في قالب المتفوق على النماذج المثالية كل في الميدان الذي شهر به عبر الحقب المتطاولة من التاريخ) (1) مستعملا في ذلك ثقافته ومحصوله المعرفي ويظهر هذا في قوله:" ولا شك إنها قلتك إذا لم تظن بك وملتك إذا لم تغر عليك. فإنها أعذرت في السفارة لك وما قصرت في النيابة عنك زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه.قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت في مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال حتى خلت أن يوسف-عليه السلام- حاسنك فغضضت منه وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه.وان قارون أصاب بعض ما كنزت.والنطف عثر على فضل ما ركزت وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعي ماشيتك والاسكندر قتل دارا في طاعتك وارشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك والضجاك استدعي مسالمتك.وجذيمة الابرش تمنى منادمتك.وشيرين قد نافست بوران فيك.وبلقيس غايرت الزباء عليك.وان مالك بن نويرة انم ردف لك.وعمرو بن جعفر إنما رحل إليك.وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك.وجساسا إنما قتله بأنفتك.ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك:السموأل إنما وفى عن عهدك.والأحنف إنما احتبى في بردك وحاتما إنما حاد بوفرك ولقي الاضياف ببشرك. وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك والسليلك بن السلكة إنما عدا على رحليك وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيدك.وقس بن زهير إنما استعان بدعائك ولياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك,وسحبان إنما تكلم بلسانك.وعمرو بن الأهتم إنما سحر ببياتك وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك.والحمالات بين عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك وان الاحتيال هرم لعقمه وعامر حتى رضيا كان ذلك عن إرادتك وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك,وقتيبة فتح ما وراء النهر يسعدك والمهلب اوهن شوكة الازارقة بأيدك وفرق ذات بينهم بكيدك, وان هومس أعطى بلينوس ما اخذ منك . وأفلاطون أورد على ارسطا طاليس ما نقل عنك وبطلموس سوى الإسطرلاب بتدبيرك. وصور الكرة على تقديرك وبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك.وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك,وكلاهما قلدك في العلاج.وسالك عن أمزاج واستوصفك تركيب الأعضاء واستشارك في الداء والدواء. وانك نهجت لأبي معشر طريق القضاء.وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق وجعلت للكندي رسما استخرج به الدقائق. وان صناعة الألحان اختراعك وتأليف الأوتار والانقار توليدك وابتداعك. وان عبد الحميد بن يحيى باري أقلامك. وسهل بن هارون مدون كلامك. وعمرو بن بحر مسمليك. ومالك بن أنيس مستفتيك وانك الذي أقام البراهين. ووضع القوانين. وحد الماهية وبين الكيفية والكمية وناظر في الجوهر والعرض. وميز الصحة من المرض وفك المعمى وفصل بين الاسم والمسمى. وصرف وقسم وعدل وقوم وصنف الأسماء والأفعال وبوب الظرف والحال. وبنى وأعرب ونفى وتعجب. ووصل وقطع. وثنى وجمع واظهر واضمر واستفهم واخبر. وأهمل وقيد. وأرسل واسند . وبحث ونظر وتصفح الأديان. ورجح بين مذهبي هاني وغيلان ولشار بذبح الجعد.وقتل بشار بن برد وانك لو شئت خرقت العادات.وخالفت المعهودات فأحلت البحار عذبة.واعدت السلام رطبة ونقلت غدا فصار أمسا. وزدت العناصر فكانت خمسا وأنك المقول فيه: كل الصيد في جوف الفرا"

وليس على الله بمستنكر ۞ أن يجمع العالم في واحد

---

(1) علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(أشكاله ومضامينه) دار الغرب الإسلامي ط1 1990 ج1 ص 391

ثم يغير (ابن زيدون) من أسلوبه ليأخذ من الهجاء المباشر المشوب بالصفات القبيحة والذميمة فيقول:" مفرط الحمق والغباوة حافي الطبع,سيئ الإجابة والسمع بغيض الهيئة,سخيف الذهاب والبيئة ظاهر الوسواس. منتن الأنفاس كثير المعايب. مشهور النثالب.كلامك تمتمة وحديثك غمغمة. وبيانك فهفهة.وضحكك قهقهة ومشيك هرولة وغناك مسالة. ودينك زندقة وعلمك مخرقة" ثم يعمد ابن زيدون في سخريته وتهكمه من غريمه في الحب (ابن عبدوس) الى مقارنته بأشياء ترمز للغباء والحمق وهذا على سبيل المقارنة فيقول مثلا:" حتى أن باقلا موصوف بالبلاغة إذا قرن بك. وهبنقة مستحق لاسم العقل إذا أضيف إليك.وطويسا مأثورا عنه يمن الطائر إذا قيس عليك.فوجودك عدم والاختباط بك ندم والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر" ثم يأخذ ابن زيدون في طرح الأسئلة والغرض منها التحقير حيث يقول على لسان محبوبته(ولادة) :" كيف رأيت لومك لكرمي كفاء.وضعتك لشرفي وفاء واني جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها والطير إنما تقع على الأفها! وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان. وشعرت إن المؤمن والكافر لا يتقاربان وقلت:الخبيث والطيب لا يستويان.وتمثلت:

(أيها المنكح الثريا سهيلا ۞ عمرك الله كيف يلتقيـان)

وما كنت لاتحطى المسك إلى الرماد ولا امتطي الثور بعد الجواد فإنما يتيمم من لم يجد ماء. يرعى الهشيم.من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له ولعلك إنما غرك من علمك صبوتي إليه وشهدت ما عطي له. من أقمار العصر وريحان المصر. الذين هم الكواكب علو همم. والرياض طيب شيم" و**ابن زيدون** كغيره من الكتاب لجأ إلى التصوير الكاريكاتوري من خلال إلصاق عدة صفات على هيئة (ابن عبدوس) جعلته في صورة مضحكة:" وان كنت إنما بلغت قعر تابوتك. وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت إرادتك.وجررت هيمانك.واختلت في مشيتك.وحذفت فضول لحيتك وأصلحت شاربك ومططت حاجبيك ورفعت خط عذارك واستأنفت عقد إزارك.رجاء الاكتنان فيهم. وطمعا في الاعتداء بهم.فظننت عجزا..." ثم ينهي **ابن زيدون** رسالته هذه بأسلوب شديد اللهجة في إطار الإنذار والتهديد والوعيد. حيث يقول:" فان عدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه.بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا.فإذا صرت إليها عبث أكارها بك وتسلط نواطيرها عليك فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك. ومن فجلة منتنة يرمي بها تحت خصاك ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك. وترى ميزان قدرك" **(1)**

4- رسائل التهنئة: تعد مظهر من المظاهر الاجتماعية الحاملة لمعمى الصداقة والمودة والايخاء بين الأصدقاء والغاية منها توطيد العلاقات بين الطبقات الاجتماعية في مختلف البيئات. وترسيخ أسس الصداقة ولقد شهدت رسائل التهنئة في الأندلس نشاطا كبيرا على مستوى الدولة. فكانت هناك رسائل توجه لمن ظفر بمنصب أو تمت توليته على قطاع ما أو تمت ترقيته, وكذا على مستوى العلاقات الاجتماعية من تهنئة لمن رزق بمولود...

- ومن رسائل التهنئة التي جاءت في شان تولية منصب. رسالة **لابن طاهر** يهنئ فيها احد أصدقائه لتوليته منصب في الوزارة جاء فيها :" وان بشراي تتابعت أن هلاكك في الوزارة طلع بدرا.زان نداءك بها صار شفعا وكان وترا. ولقد قعدت التهنئة فأقبلت إلى هواديها وانثالت على من حواضرها وبواديها" **(2)**

---

(1)مصطفى الشكعة.الأدب الأندلسي(موضوعاته وفنونه.دار العلم للملايين.بيروت.لبنان. 1983 ص595-599

(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق ق3/م1. ص65

- ومنها رسالة **لابن خفاجة** يهنئ فيها بالقضاء وتدرجه في مناصب الوزارة فيقول:" ومثلك من شهدت له مخايل الولاية باكتمال السيادة واكتمال السعادة.وان القضاء شرف مرتبة وكرم مأثرة ومنقبة. ليضيف عن نصل فضلك غمده.ويغرق في بحر فخرك مده...وليهنئ الوزارة أن شدت بجيدك عراها ونيطت بنحرك حلاها. وشفع لها فضلك فاصار زترها شفعا.وجمع إلى يصر بها سمعا. وإنهما في تضافرهما لك وحسنهما بك لعقد ثنى بعقد وعلمان رجما في برد" (1)

- ويحاول **ابن خفاجة** في رسالته إبراز دور الدين في القضاء ومعرفة القاضي له فيقول:" إن الدين لمشتد بك أزره فعنانه على الرائض صعب وعوده على الغامر صلب"

- ومن هذا القبيل رسالة **أبو حمد بن عبد البر** في التهنئة يقول فيها:"أطال الله بقاء الوزير الأوحد.الخطير الأمجد مسرورا بسو الأحوال والرتب معصوما من طوارق الأحداث والنوب... ولما طلع البشير علي بتصيير الوزارة إليه ودور رحى الخلافة عليه جددت لله تعالى حمدا وشكرا ولنعمه الجزيلة ذكرا ونشرا.وأخذتني هزة الجذل والارتياح وأسفر لي وجه الأمل والاقتراح فانتشيت من فوح وطرب. ونيل مراد وارب ودعوت الله أن يجعلــها ولاية,تبلغ من السعد نهاية وتضاعف الدين حماية..." (2)

- وعليه تقوم رسائل التهنئة الخاصة بأمور الدولة والسياسة من تقليد المناصب الرسمية في الدولة على نوع من التالف وحب المشاركة في متعة هذا التنصيب والترقية ويظهر وقع هذه الأنباء السارة في نفسية الكاتب من خلال قول **ابن طاهر**:" وان بشراي تتابعت" وفي رسالة **عبد البر** قوله:" ولما طلع البشير علي ... جددت الله حمدا وشكرا. وأخذتني هزة الجذل والارتياح. وأسفر لي وجه الأمل والاقتراح..."

- كما تقوم على نوع من المدح والإطراء في إطار المجاملة التي يطمح الكاتب من خلالها إلى تبيان أهمية الشخص المقصود للتهنئة وقيمته. وذلك بتوظيف النعوت والأوصاف والتي من شانها أن ترفع من قدره وتعلو من شانه في الجانب السياسي . ويظهر هذا المدح في رسالة (ابن طاهر) من خلال قوله:" ولقد قعدت للتهنئة فأقبلت إلى هواديها,وانثالت على من حواضرها وبواديها" . وفي رسالة (ابن خفاجة) من خلال قوله:" ومثلك من شهدت له فحايل الولاية باكتمال السيادة واكتمال السعادة ... وان شدت بجيدك عراها. ونيطت بزجرك حلاها ..."

وكذا ما جاء في رسالة **عبد البر** قوله :"أطال الله بقاء الوزير الأوحد,الخطير الأمجد مسرورا بسمو الأحوال والرتب معصوما من طوارق الأحداث والنوب"

- وكما ظهر نوع من التهنئة يدور موضوعه حول المناسبات الاجتماعية منها ميلاد الأطفال وما يحدثه هذا الخبر من سعادة في الأسر يحاول الكاتب مشاركة غيرهم فيها لتعم سعادة الجميع وتأصل الصداقة أكثر فأكثر. وفي هذا نورد رسالة للكاتب (أبو محمد غانم) بعث بها إلى صديق له بغرناطة يهنئه بميلاد طفل له, جاء فيها :" ومما أغفلته بقلة اليقظة,وسالت الله ألا تكتبه علي الحفظ تهنئتك بالفارس المولود. والفرع المودود. والنجم السعيد.الذي تطلع في أفق سمائك.وتلفع بلفاع ضيائك مليته ولدا برا حرا" (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م2 ص555. 556

(2)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م1 ص217

(3)المصدر نفسه. ق1/م2 ص855

وأيضا ما كتبه **أبو القاسم بن الجد** إلى احد أصدقائه يهنئه فيها بمولود له تمناه منذ وقت طويل بشوق وترقب فيقول:" أن أحق ما نبسط فيه التهنئة لسان.وتشرف في ميادين معانيه بيان وبنان أمل رجي فتأبى زمانا. واستدعى فلوى عنانا وطاردته المنى فاتبعها حينا وغازلته الهمم فأسعرها حنينا ثم طلع غير مرتقب وورد من صحبه المباهج في عسكر لجب. فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال والتدليل على ما ورائه من كواكب الإقبال.نجم سعادة تطلع في أفق سيادة,وغصن سناء تفرع من دوحة علاء, لقد تهالت وجوه المحاسن باستهلاله وأقبلت وفود الميامين باستقباله. ونظمت له قلائد التمائم من جوهر المكارم وخصب بالثدي الحافل بلبان الفضائل..." (1)

- والواضح في هذه التعابير أن مجيء هذا المولود إلى هذه الأسرة كان مرغوبا ومرتقبا ومحببا وأضفى إلى جو العائلة نوعا من البهجة والسرور والأمل والرغبة في الحياة يقول الكاتب في رسالتــه:" فكان كالمشير إلى ما بعده من كواكب الآمال"
- كما ظهرت رسائل التهنئة بالنجاة من النكبات ومن هذا القبيل رسالة بعث بها(أبو القاسم بن الجد) إلى الوزير(أبي القاسم الهوزني) يهنئه بنجاته من نكبة ألمت به.ويظهر مدى سروره بهذه النجاة فيقول:" قد يجتنى-أعزك الله- من شجر المساءة ثمر المسرة,ويجتلي وجه المحبوب غب المكروه مشرق الأسرة..." (2)
- وما يدخل في غرض التهاني ما كتبه أبو محمد بن عبد البر إلى المعتضد بن عباد,ويهنئه فيها بانتصاره وضمه مدينة(شلب) معربا عن سعادته ووقوفه إلى جانبه فيقول:" اعزز به من صنع جميل صنع الله بحصول قاعدة شلب وذواتها في قبضتك واستظال ذلك الأفق بظل طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم قد خاب ظنه في التماسك واخلفه أمله في التهالك فأي نعمة ما اجلها وأجزلها... فظهوري منوط بظهورك وسروري موصول بسرورك واتصال حالي بأحوالك وحبلي بحبالك هنأك الله وإياي ما خولت. وقرن بالزيادة آلاء قبلك" (3)

-وفي مجال الانتصارات على المنافسين من الأمراء والملوك والملوك ما كتبه (**أبو العلاء صاعد البغدادي**) إلى **مجاهد العامري** صاحب (دانيه) يهنئه بانتصاره على خيران العامري صاحب المرية في موقعة حربية يظهر فيها سروره وسعادته بهذا النجاح فيقول:" كتابي وأنا مستطير فوحا ومستوفر مرحا...ولما أتتني احدث خرائطك الجزيلة وتبادرت التباشير باحتلال المركب.كاد الفرح يقضي علي وينزع التماسك من يدي..." (4)

- وهذه الرسائل تعكس الحياة السياسية المتدهورة في ظل ملوك الطوائف من حروب وتناحر.لما في ظلها هذا النوع من الرسائل لتهنئة الأمراء والملوك بهذه الانتصارات.

- كما ظهرت رسائل التهنئة لزيارة البقاع المقدسة. منها رسالة كتبها ابن الجد هنا فيها صديقا له بزيارته البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج فيقول: " كتبت وقد هزني وافد البشرى واستخفني رائد المسرة الكبرى بما سناه الله من قدومك محوط الجوانب والأرجاء منوط الفخار بذوائب الجوزاء محطوط الآثار في مواطن الرسل ومواطن الأنبياء فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها وأوضح في مناهج مسالكها, لقد شهد في الميقات يخلوص إهلالك واحوامك واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك ورضيت المروة والصفا عن كمال أشواطك وتهلهل بطن المسيل لسعيك فيه وانحطاطك ثم الوقوف الأعظم من عرفة تخشعك ودعائك.وارتفع خفض تضرعك واستخذائك.وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي تقربك وتزلفك وزكا تهجدك وتنقلك وعند الإفاضة فاضت مناك واوطارك.وقبلت هداياك وجمارك وحطت خطاياك وأوزارك بما صدرت عن تلك المعالم المكرمة والشعائر المعظمة لك من جميل الذكر في الخافقين.ولما قعد بي عن قصدك ما قعد ولم يمكنني الوفود في جملة من وفد استنبت كتابي ومنابي" (5)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق2/م1 ص293
(2)المصدر نفسه. ق2/م1 ص 291
(3)المصدر نفسه. ق3/م1 ص 129
(4)ابن بسام. الذخيرة. مصدر سابق. ق4/م1 ص11-12
(5) المصدر نفسه. ق2/م1 ص289

5-رسائل التعزية: تعد التعزية نوعا من التعبير عن عواطف الصداقة والتلاحم الاجتماعي.وكما قلنا عن رسائل التهنئة أنها تعبر عن المشاركة في المناسبات الصادرة من تولية وترقية وتهنئة بمولود وزيارة البقاع المقدسة.فكذا الحال بالنسبة لرسائل التعزية باعتبارها تعبير صادف عن المشاركة في هذا الحزن والتضامن مع المعزى ومقاسمته أوقاته الصعبة.

- ومن رسائل التعزية نورد رسالة(لابن طاهر) يفتتحها بقوله يجري مجرى الحكمة والمثل وهو أن الدنيا متاع وغرور.ومآلها الخراب بعد الأعمار حيث يقول:" موهوب الدنيا- أيدك الله- إلى استلاب ومعمورها إلى خراب ومطمعها الآتي والسراب تغافص العزة,وتقطع در الدرة وتخون ذا الثقة المبرة...فرع والله من الفضل ذوى ونجم في الرياسة هوى.أظلمت بعد الآفاق وأدرك تمامه المخاق" وهو في هذا الصدد يذكر بعض صفات المرثي وخصاله كما هو معروف في رثاء الشعر,حيث يبدأ الشاعر بحكمة تنتهي بواقع زوال الدنيا ومتاعها ثم ينتقل إلى تعداد مناقب وصفات المرثي ليصل إلى تقديم العزاء والدعوة لهم بالصبر والسلوان وان هذا المصاب حكمة وابتلاء من الله عز وجل فهو المعطي والآخذ فيقول:" والحمد لله نفاذ أقضيته. ومحتوم قدرته.وهو المنهل لا يعل منه الذي ينهل فالتماسك عند هجومه ألزم ووفور الأجر عند ذوي النهى احزم" **(1)**

- ومن رسائل التعزية في المحارم ما كتبه(ابن البر) في تعزية صديق له لموت والدته.يبدؤها بالحديث عن تقلبات الدهر وأن دوام الحال من المحال فيقول:" يا سيدي.ومن لا زال جأشه ساكنا وحرمه آمنا... بودي-أعزك الله- لو خاطبتك بالتهنئة لا بالتعزية...ولمنها الأيام تحلى وتمر.والأقدار تسئ وتسر والرزايا تتطرف وتتحيف والمنايا تستدرج وتتخطف" ثم يذكر أثر هذه الفاجعة على نفسه ومحاولته مشاركة صديقه فيها ويعبر عن حزنه وألمه لفقد هذه الوالدة فيقول:" واتصل بي في وفاة الوالدة- المرجو لك دعوتها فساءني يعلم الله أن يطرق خطب رحامك.ويطأ رزء ذراك.مشاركة لك في الهمم ووقوعا معك تحت الحادث الملم..." لينتهي إلى تقديم التعزية والدعوة له بالصبر واحتمال الشدائد فيقول:" أرجوا أن تشد له عزائم عزمك وتحمله على كبد احتمالك وتقلب إليه محن اصطبارك وتذكى عليه قبس اعتبارك.فتعلم كثرته وجمومه. وتذكر شموله وعمومه.وتستشعر أنه عرف لا ذكر وعوان لا بكر فتتأسى بكثرة الباكين على الهالكين وتتعزى بسرعة اللاحقين على السابقين" **(2)**

- ولقد عرفت الرسائل الأندلسية حالات تمزج فيها التعزية بالتهنئة ما كتبه(أبو محمد بن عبد البر) حيث مزج فيها بين التعزية والتهنئة معا. وهذا النوع من الرسائل لا يتأتى لأي كاتب لصعوبة المزج بين مشاعر الفرح والسرور لتقليد منصب أو تولية بين مشاعر الحزن والأسى لفقد الشخص. فنجد رسالة (أبو محمد بن عبد البر) يبدؤها بمدخل يتحدث فيه عن تقلب أحوال الدهر وتناوب مساءا ته ومسراته فيقول:" أحوال الدنيا-أعزك الله- مبنية على التداول والتعاقب ومساءاتها جارية مجرى التبادل والتقارب. فمن عبرة تفضي إلى عبرة. ومن مساءه تعقب بمسرة ومن منحة تفتر عن محنة ومن قرحة تقلع عن فرحة" ثم يدخل إلى الموضوع فيقول:" انهي إلي من تقليدك العهد.إمضاءك العقد الناصر.سيدي وآسني عددي.أبقاه الله- علي بلنسية... مكان المعتصم رحمه الله-فقلت ملك تردد في عنصر وخاتم تنقل من خنصر.وقد سددت-أيدك الله- ثلما وشفيت كلما وسمت الخطوب رغما وأوسعتها هما" **(3)**

---

(1)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1.ص81
(2)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1.ص218
(3)المصدر نفسه- ق3/م1 ص216

6- رسائل الشفاعة: وهي رسائل جاءت لغرض التوسط لطبقة من الناس لدى الملوك وذوي النفوذ في البلاد ويتولى هذه الشفاعة أو الوساطة كتاب من ذوي السمعة الجيدة والمكانة المرموقة بين الملوك.فهم بمثابة جسر يوصل ذوي الحاجة إلى صاحبها.
- ومن الرسائل الأندلسية التي يدور موضوعها في دائرة الشفاعة و الوساطة.رسالة (لابن زيدون) بعث بها إلى ملك (بطليوس) (المظفر سيف الدولة أبو بكر بن الأفطس) يشفع فيها لأحد الأدباء فيقول: "و هو فتى نام جده واستيقظ جده,فتنكر الزمان له واعتزت الأيام به بين ذئاب سعاية عوت عليه, و عقارب وشاية دبت إليه و أصلي بنار حرب لم: يجنها.....وآل به الأمر إلى فراق أحبته و البعد عن مسقط رأسه ....واشهد أن ذلك لم يزده للحاجب إلا ولاء....و انه لا يزال يعيد شكره و يبديه" (1)
و قد تكون الشفاعة و الوساطة لأحد أعيان الدولة ووزرائها و من هذا القبيل رسالة (أبو عبد الرحمن بن طاه)ر يشفع فيها لأحد أمراء الدولة **بني هود** في سرقسطة جاء فيها: "أكرم يد.....يطوقها المرء جيد مجده.و يزين بها ديوان حمده ما سد خلة من حسب أقعدته يد الدهر المريب.....وموصله وصل الله حرمتك بالسلامة من نكد الأيام بن المستعين بالله.....يرسل بي إلى مكارمك في ترميق حاليه و لحاولته لما جفت غضارته و عوض نكد العيش من رغد النعمة و حول إلى الضيق بعد السعة و إلى التجول من الدعة" (2)
كما كتب **ابن شرف القيرواني** رسالة يشفع فيها لأحد الشيوخ عند **المظفرين الأفطس** فقد أبعده هذا الأخير عن أهله و بيته ووطنه بسبب الوشاة الذين الصقوا به تهما دفعت بالملك **المظفر** إلى طرده من البلاد يبدؤها بمدح الملك و الأعراب عن حنينه و شوقه لملاقاته فيقول: "كتبت وشوقي إلى شرف لقياه و شيم سقياه, شوق القارضين إلى سكون و سكنى....واعتلا قي يذكره اعتلاق مالك و عقيل وقفا نبك بالملك الظليل....لي رغبة إلى مفاخره وتطارح بين يدي مآثره و ادلال على سماحة سحاياه.....ليصل إلى الغرض من رسالته و هو شفاعته لهذا الشيخ فيقول: "و ذلك أن شيخا يفنا قصد فنائي,فبكى حتى بل يفضل دموعه ردائي ومنعه الشوق بشجاه من الكلام على ارتجاءه.ثم ذكر انه كاسب نسيات.وأبو بنين وبنات...ووصف أن بغاه وحسده آذوه وتنصل من ذنوب قرفوه بها ومولاي أعلم بصدقها من كذبها" ثم يختمها وهو طامع في عفو وصفح هذا الملك وقبول شفاعته وثقة كبيرة في عدله وسماحته.فيقول:" ولا شك انه سيبلغه تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكرى والعناية ببعض امرى...وبودي لو تكلفت بآماله.وجمعت بينه وبين أطفاله...إلا أن يتفضل بأحسن الاحمل علي وعلى أبي جعرة تهشل فيعود – أيده الله- بفضيله الإيثار,ويكسبني في الناس أطيب الأخبار والآثار" (3)
- وعليه يمكننا القول أن رسائل الشفاعة ظاهرة فنية اقتضتها ظروف المجتمع الأندلسي في عهد ملوك الطوائف وما شهدته تلك الحقبة التاريخية من فتن واضطرابات سياسية هزت كيان المجتمع الأندلسي فظهرت تبعا لذلك فآت متمردة على الحكم وسادت الفوضى البلاد. وراح ضحية لهذه الظروف السياسية فئات من الناس منهم من نفي وغادر أهل ودياره.فكانت هذه الرسائل منفذا تطل من خلاله هذه الفئة وبصيصا من الأمل تترقبه الابصارو ورسولا يوصل شكواهم إلى الجهة الحاكمة في البلاد من أمراء وملوك. وقد تولى هذه المهمة مجموع من الأدباء ذو المكانة الأدبية المرموقة والصوت المؤثر المسموع عند الملوك. كما عكست هذه الرسائل الجانب التضامني والتالف الاجتماعي للمجتمع الأندلسي .

---

(1)ابن بسام.الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1.ص 398
(2)المصدر نفسه- ق3/م1 ص62
(3)المصدر نفسه- ق4/م1 ص195

المناظرات: ويمكن أن نسميها بتسميات مثل المنافرات أو المفاخرات أو المباحثات أو المجادلات أو المراوضات أو المخاصمات أو الناقصات أو المقاومات (1)

- وهى حوار بين شخصين أو فريقين يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين و يكون الدفاع عنه بشتى الوسائل وبتوظيف انجح الحجج و البراهين المنطقية للإطاحة بالرأي الآخر.

ويعرفها (عبد العزيز عتيق) بقوله: "فن يهتف الكاتب من ورائه إلى إظهار مقدرته البيانية وبراعته الأسلوبية فى الموضوع الذي يكتب فيه و من المناظرات ما يأتي على صورة رسالة يدور الحوار فيها بين شيئين أو أكثر أو بين شخصين حول موضوع معين.و منها ما يؤتى على صورة أشبه بالمقالة الحديثة و يبنى على التفاخر و المباهاة بشيء ما يقصد الإشادة به و بيان فضائله و مناقبه" (2)

و المناظرة عند (عبد العزيز بن عبد الله العواد) : "نوع من أنواع النثر الأدبي يقصد الكاتب من خلاله أن يظهر مدى قدرته الأدبية و مبلغ إبداعه بما يتناوله من الموضوعات التي يكتب فيها و يتخذ منها معرضا و إطارا لسحر بيانه و جودة أسلوبه و بعد خياله و لربما يتخذ بعض الكتاب من تلك المناظرات أو المحاورات وسيلة للرمز إلى هدف ينشد أو قصد يرمى إليـــــه" (3)

و لقد عرفت المناظرات منذ القرن الثاني للهجرة: "حينما كانت تحدث بين أصحاب الأفكار المختلفة و المذاهب المتنازعة من المسلمين فيما يتصل بالعقائد...و معروف أن إبراهيم النظام كان يناظر غير المسلمين من أبناء الأديان الأخرى فيتغلب عليهم بما أوتى من قوة خارقة في فن الجدل حتى اسلم على يده أناس كثيرون ,وكانت هذه المناظرات التي تتصل بالعقائد تلقى تشجيعا كبيرا من الخلفاء حتى أن المأمون كان يسمح للمتناظرين في حظرته أن يتكلموا في الديانات ويتناظروا بكل حرية وطمأنينة" (4)

- والمناظرة نوعن: حقيقية وخيالية, (أما المناظرات الحقيقية فقد كان أيضا لبعض الكتاب الأندلسيين فيها مجال واسع- فقد كتبوا في فضائل الأندلس وأهلها فباهوا غيرهم بتقدمهم الحضاري وفي رقيهم العلمي والفكري فافتخروا بمشاهير علمائهم وفقهائهم ومحدثيهم وكتابهم وشعرائهم ومؤرخيهم وما كان نهم من نتاج في مختلف فنون العلم والأدب والمعرفة, وأمعنوا في ذلك إمعانا ظهر أثره جليا فيما اثر, وقدر له البقاء من تراثهم. كما عنوا كذلك بالمباهاة بمدنهم الأندلسية وما تميزت به في جمال عمرانها, ووفرة خيراتها, وسحر بيئتها وروعة مناظرها) (5)

- والخيالية تعالـج بعض الظواهر الاجتماعية السائدة فـــي أي عصر وتأتي على السنـــــة الأزهـــــار والأدوات والمباني: (ينطلق فيها الكاتب بعيدا بخواطره ووجدانه ويحلق بفكره وخياله ما شاء, فتراه يشخص الكائنات ويستنطق الجماد والنباتات بأسلوب عذب شائق فيجعل منها أناسي تتجاوز وتتباهى وتتفاخر فيما بينها, إذ يعلن كل من المتناظرين أو المتحاورين محاسنه وينشر فضائله) (6)

---

(1) محمد يونس عبد العال.في النثر الأدبي.الشركة المصرية للنشر.لونجمان ط1 1996 ص 99
(2)عبد العزيز عتيق.الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص 469
(3) عبد العزيز بن عبد الله العواد- النثر الأدبي الأندلسي ط1.1996 ص 147
(4)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص 267.
(5)عبد العزيز بن عبد الله العواد- النثر الأدبي الأندلسي.– مرجع سابق ص 473
(6) المرجع نفسه ص 148

1- المناظرات الحقيقية(مناظرات ذات طابع فكري) :

- كان مجالها واسعا لدى الأندلس و أهلها فأبدعوا بكل ما جاءت به قرائحهم فكتبوا في فضائل الأندلس و أهلها و هم يتباهون في ذلك بجمال بلادهم و طبيعتها الخلابة و بيئتها الساحرة و جمال عمرانها و تحفة قصورها و رياضها. و الإشادة برقيهم العلمي و الفكري و التباهي بأمجادهم.

(و هذا النوع من المناظرات منه ما يدور حول الإشادة و الفخر بمناقب الأندلس و تفضيلها على ما عداها في كل شيء.و منها ما تجرى فيه المناظرة بين مدن الأندلس حيث تفخر كل مدينة بما خصها الله به من مزايا ومحاسن لا توجد في غيرها) (1)

- وقد ارتبط وجود هذا النوع من المناظرات ذات الطابع الفكري بالأندلس في هذا العصر, لما شهد من تطورات مست جميع المستويات.

فبانقسام الأندلس إلى دويلات وانفراد كل حاكم بمقاطعته أدى هذا إلى ظهور علوم جديدة منها علوم الأوائل والتي كانت محرمة في العصور السابقة. فاتسعت بذلك دائرة العلوم وأصبح الكل يبدي راية ويطرح تساؤلاته بعدما كان من الخطر أن ترفع الأصوات أو تطرح هذه الأفكار أو تخطر في ذهن احد, فأكثرية الأدباء والكتاب قد لاذوا الصمت وفضلوا الانطواء خوفا من عواقب ذلك. ومن العوامل المساعدة على هذا التغيير في الفكر الأندلسي عاملين:

1- نظرا للأحداث التي شهدتها الأندلس خلال العصور الماضية من فتن واضطرابات داخلية هزت البلاد أدت بالكتاب الأندلسيين للبحث عن الذات الأندلسية في خضم هذه الأحداث ومحاولة استنطاق ماضيهم والتمسك بالموروث الثقافي والفكري والسعي لإنقاذ مستقبل بلادهم. والذي تهدده المخاطر من الداخل والخارج والتساؤل عن حقيقة أصلهم والذي يشترك في تكوينهم خليط من الأجناس البشرية من عرب وسقالب ومغارب وبربر وآسيان ومع الزمن امتزجت هذه الشعوب مكونة بذلك الشخصية الأندلسية

2- إن البلاد الأندلسية تمتلك مقومات ثقافية وفكرية لها جذورها العريقة فكان الأجدر لشعبها الاعتزاز بهذا الموروث والدفاع عنه والتباهي بفضائل البلاد وأمجادها وعلمائها وفقهائها وكتابها وشعرائها والرد على من ينتقص مزاياها وشانها

- ومن هذا المنطلق ظهرت تلك المناظرات ذات الطابع الفكري التي يسع فيها الكتاب لبيان فظل بلادهم والتباهي بالتراث الفكري والحضاري والتغني بها.

- فمن ذلك ما كتبه الفقيه أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم في فضل الأندلس يعود السبب في كتابيها رسالة بعث بها ابن الربيب إلى أبى المغيرة بن حزم يلوم فيها الأندلسيين من علماء و كتاب و مؤرخين على تقصيرهم في حق بلادهم من إشادة و مباهاة بمحاسنها و فضائلها.يقول فيها:لم يتعب احد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده و لم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه.و لا بل قلها بمناقب كتابه و وزرائه و لا يسود قرطاسا بمحاسن قضائه و علمائه.." (2)

---

(1)عبد العزيز عتيق.الأدب العربي الأندلسي. مرجع سابق. ص473
(2)المقري.نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ج3 ص157

-و قد وصلت هذه الرسالة مسامع (**أبو محمد على بن حزم**) صدفة من منزل صديقه (أبو بكر ابن إسحاق المهلبى) أثناء مجلس (يمن الدولة) فكتب مناظرته التي عرفت بتباهيها بفضائل الأندلس و علمائها نزولا عند طلب صديقه (المهلبى) و الخطاب موجه للجميع : "فانك و إن كنت المقصود و المواجه فإنما المواد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي" **(1)**

-و قد جاءت هذه المناظرة من طرف واحد على غير عادة المناظرات التي تقوم بين شخصين أو طرفين أو فريقين و السبب في ذلك يعود لموت (ابن الربيب) قبل إنهاء (ابن حزم) مناظرته حيث يقول: "فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله و إياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى و قد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من في القبور..." **(2)**

- فقد كتب ابن حزم ليباهي بالأندلس وتراثها وحضاراتها ومجارات علماء المشرق في ذلك.

- يبدو لابن حزم مناظرته بمخاطبة صديقة والإعراب عن حنينه وشوقه للقياه بعد حمد الله والصلاة والسلام على اشرف المرسلين... يقول: " الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الأكرمين... أما بعد يا أخي-أبا بكر- سلام عليك, سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ ... " ثم يصف كيف أن الظروف شاءت أن يطلع على رسالة ابن الربيب فيقول : " واني لما احتللت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتأملته, فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبين في الدار أهل افريقية ... يذكر له فيها أن علماء بلدنا-بالأندلس- وان كانوا على الذروة العليا من التمكن باقافين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم, ومحاسن فقهائهم, ومناقب قضاتهم, ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم. "

ثم يأخذ في مناقشة حول من قال أن تراث الأندلسيين لم تسخر له كتب خاصة وعظيمة فيقول:" فأما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة. وخواص كل بلد منها. وما فيه. مما ليس في غيره. وهو كتاب مريح مليح"

- ثم ينتقل ابن حزم للحديث عن فضائل الأندلس بدءا بالناحية الإقليمية والموقع الفلكي للأندلس فيقول:" أما في قسم الأقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا ومعمق تمائمنا مع (سر من رأى) في إقليم واحد. فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا وان كانت الأنوار لا تأتينا إلى مغربية عن مطالعها على الجزء المعمور, وذلك عند المحسنين للإحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها. فلها من ذلك على كل حال يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع احد النيرين. بها تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في علوم القراءات والروايات وحفض كثير من الفقه والبصر بالنحو والعلوم..." بعد هذا يأخذ بالحديث عن فضائل الأندلس من الناحية الدينية محاولا بذلك إضفاء صفة القداسة على بلاده من خلال الإشارة إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يصف فيه جماعة " يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة..." **(3)**

والرسول صلى الله عليه وسلم يخلد طائفتين من المجاهدين هم أسلاف الأندلسيين الذين فتحوا بلاد الأندلس ويستخدم في ذلك كل الحجج والبراهين المنطقية والمعلومات التاريخية لإثبات أن البلاد المقصودة في الحديث هي الأندلس لا غيرها.

---

(1) المقري. نفح الطيب. ج3. ص160
(2) المصدر نفسه ص160
(3)المقري. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج3 ص161

- ثم يأخذ في تعداد التأليف التي جمعت والفت في الأندلس فيقول:" وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الضان غير مجموع والفت عندنا تأليف في غاية الحسن.لنا خطر السبق في بعضها:فمنها كتاب(الهداية) لعيسى بن دينار وهي ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن قاسم ز واجمعها للمعاني الفقهية. وفي تفسير القران كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد ... ومنها في أحكام القران كتاب ابن أمية الحجازي. وكان شافعي المذهب... ومنها كتاب (التمهيد) لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ومنها كتاب في الصحابة.ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثره ما صنفوا في ذلك. ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد البر بن محمد بن يوسف بن القرضي في (المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال) ولم يبلغ عدد الغني الحافظ البصري في ذلك إلا كتابين. وبلغ أبو الوليد- رحمه الله- نحو الثلاثين.لا اعلم مثله في فنه البتة.ومنها في اللغة كتاب (البارع) الذي ألفه إسماعيل بن قاسم يحتوى على لغة العرب. ومنها كتاب احمد بن أبان بن سيد. في اللغة. المعروف بكتاب (العالم) نحو مائة سفر... ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السمـــــاء في(أخبار شعراء الأندلس) كتاب حسن.وكتاب بالحدائق **لأبي عمر احمد بن فوج**.عارض به كتاب (الزهرة) لأبي بكر محمد بن داود.رحمه الله تعالى... ومنها كتاب (التشبيهات من أشعار الأندلس) جمعة أبو حسن علي بن محمد بن أبي حسن الكاتب . ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس.للمستنصر رحمه الله تعالى... ومنها كتاب (التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس) تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار...

وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق وهي كتب حسان رفيعة.وكتب محمد بن الحسن المنحجي.أستاذنا.رحمه الله تعالى. وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان.وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد أدركنا وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا أحسن للقول.والعمل في الطبائع لنصدقن.

وكتب ابن الهيثم في(الخواص والسموم والعقاقير) من اجل الكتب وانفعها... " (1)

- ثم يذهب ابن حزم في مسايرة رأي ابن ربيب ومجاراته في قوله: " أن هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهـــم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمـــــائهم" (2) فيقول:" أما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى في المثل السائر:ازهد الناس في عالم أهله... ولا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم والماهر منهم واستقلالهم كثيرا ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما في سائر البلاد إن أجاد قالوا سارق صغير ومنتحل مدع.وان توسط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السيف قالوا:متى كان هذا؟ من تعلم؟وفي أي زمان قرأ؟ ولامه الهبل.وبهد ذلك إن ولجت به الأقدار احد طريقتين إما شغوفا بائنا يعيله على نظرائه أو سلوكا في غير السبيل التي عاهدوها.فهناك حمى الوطيس على البائس وصار غرضا للأقوال.وطلبا للمناصب ونصبا للتسبب إليه وذهبا للألسنة وعرضه للتطرق إلى عرضه وبما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقد قلبه بالحرى وهو السباق المبرز إن لم يتعلق بالسلطان بحظ أن يسلم من المتآلف وينحو من المخالف فإذا تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستنشع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما اغفل فتنكس لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته,وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ نحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يلفت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الأمر" (3)
- ويستمر **ابن حزم** في عرض المؤلفات الأندلسية مباهيا ومفتخرا بذلك بعلماء بلده وفقهائها وكتابها ونقادها وقد سرد عددا كبيرا منهم.

---

(1) المقرى.نفح الطيب. ج3 ص160

(2)المصدر نفسه ج3 ص159

(3)المصدر نفسه ج3 ص123/122

وعليه فقد مثلت هذه المناظرة شكل المناظرات الأندلسية ذات الطابع الفكري خير تمثيل لما حملته من أسماء للنبهاء والمشهورين من علماء الأندلس.كما صورت هذه المناظرة طريقة **ابن حزم** في الكتابة والجدل وابتعاد عن الصنعة والتكلف:" بل يعتمد البساطة في التعبير يبتعد عن الزينة اللفظية والسجع ولا يهتم بنظرية الأسلوب بل يرسله إرسالا دون التفات إلى حلاوة الجرس" (1)

مناظرات الشعوبية: وهي أول مناظرة من نوعها والتي يدور موضوعها حول فكرة الشعوبية وقد ساعد على ظهور هذه النزعة توسع نفوذ المسيحيين في بلاد الأندلس نتيجة انتصاراتهم وخضوع شبه كلي للدويلات الإسلامية وقد تجلت هذه الشعوبية في شكل معاداة للعرب وانتقاص من قيمتهم: " وترجع إلى انتشار عقد الخلافة وتمزق البلاد وظهور الدويلات المستقلة يتناهب الحكم فيها السقالب والمولودون والموالي والبربر العرب" (2)

وتحت هذا الانقسام والتفكك أتيحت الفرصة لذوي المطامع والأماني في التخلص من الحكم العربي وهذا يعود على الأجناس الغير عربية فكان هدفهم إرجاع الوضع السابق إلى ما قبل الفتح الإسلامي. وقد ظهرت معاداة للعرب في شكل أدبي.

- فطن الأندلسيون إلى أن الذي يسعى إلى هدم العروبة والانتقاص من قيمتها ومحاولة التفريق بين أبنائها الذين يجمعهم دين واحد يؤلف بينهم وهو الإسلام. والمس بالعروبة هو مساس للإسلام والمسلمين. فاخذ الأندلسيون في الدفاع والتصدي لمثل هذه الأفكار الشعوبية المستجـــدة وذلك بتبيان.(المآثر العربية والمفاخر الإسلامية) (3)
- فكان أول أثار حركة الشعوبية في الأندلس شكل المناظرة الأدبية جاءت صريحة واضحة, وقد عبر من خلالها (ابن غرسية) عن أحقاده اتجاه العرب. وقد وجهها إلى الأديب (أبي جعفر الخراز) يلومه فيها على تركه مدح (مجاهد العامري) ملك بلاده الصقالبي,واقتصاره على مدائح(ابن صمادح التجيبي) أمير الحرية.
- ويعود السبب في ذلك كون (مجاهد العامري) أصله صقالبي تنتفي فيه حمية العروبة بينما (ابن صمادح) تجيبي أصله عربي أصيل, فالسياق هنا ملائم لنغمة الشعوبية
- ويبدو (ابن غرسية) مناظرته بمخاطبة الأديب (أبي جعفر الخراز) ومحاولة إثارته على قوم(ابن صمادح) لتقصيرهم نحوه وعدم إعطاءه المكانة التي يستحقها فهم:" ليسوا بعرب ذوي أنيف حرب بل هم القياصرة الأكاسرة" (4)
- فقد اتخذ **ابن غرسية** في هذا التقديم حجة لعرض مفاخر العجم والتباهي بما لديهم ومقارنتهم بالعرب وغايته في ذلك ذم العرب وايرادهم في أحقر صورة.
- ثم يأخذ في عرض فضائل العجم وصفاتهم الايجابية ومحاولة إثبات السلبية منها في العرب. حيث يقول:" مجد.نجد,بهم لا عراة شويهات ولا تهم.شغلوا بالماذي والمران عن رعي البعران وبجلب العز على حلب المعز جبابرة قياصرة ذوو المعافر والدروع للتنفيس عن روع المرع حماة السروح نماه السروح صقورة غلبت عليهم شقورة..." (5)

---

(1)) إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة) دار الثقافة بيروت. لبنان ط2 1969 ص333

(2) فايز عبد النبي فلاح القيسي. أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري.دار النشر للنشر والتوزيع ط1 1989 ص214

(3)ابن بسام الذخيرة. مصدر سابق. ق3/م2 ص705

(4) المصدر نفسه.ق3/م2. ص706

(5)المصدر نفسه.ق3/م2. ص706

- ويستمر بالإشادة بأهله والإطاحة بالعرب وهذه المرة يفتخر بصفات العجم أثناء الحروب من إسراع إلى السلاح والتضحية وحب الاستشهاد والموت:" والغريب إن أكثر ما يفتخر به ابن غرسية صفات تعودنا أن نتصورها إلا للعرب سواء حسنت للأنظار أو ساءت من نوع الإسراع إلى شن الغارة والتعويل على السلاح وحده والعناية بإعداد آلة الحرب وحب الموت والإقبال على المنية..." (1)

يقول في ذلك **ابن غرسية** :" إذا قامت الحرب على ساق وأخذت في اتساق وقرعت الطنابيب واشرعت الأنابيب وقلصت الشفاه فغر الهدان فاه.وولي قفاه ألفيتهم ذمرة الناس عند احمرار البأس الطعن بالاسل.أحلى عندهم من العسل" (2)

- وواصل طريقه في الفخر والمدح مستدلا في ذلك بأشعار العرب من مثل قول **أبي تمام**:

مستسلمين إلى الحتوف كأنما ۞ بين الحتوف وبينهم أرحام

- وقد اخرج العرب في صورة سلبية حيث يقول:" فتبدو لهم صورة باهتة القسمات لا مجد فيها ولا سؤدد حياتهم بؤس ومعيشتهم شظف ومسكنهم حقير ورزقهم فقير فبالجملة فإنهم امة عقيم لا تنبت فيها نبتة الشرف باستثناء الدوحة النبوية التي جاءت فيهم كما يجيء البر في التراب" (3)

و **لابن غرسية** في مناظرته هذه يعمد إلى طريقة التضمين و الخلط حين ينسب لقومه العجم صفات لم تكن يوما فيهم بل الصورة هنا مستوحاة من صور الكرم و التباهة و الشجاعة و التصدي للأحوال و تقديم النفس للموت في سبيل الوطن و النسب الأصيل الممتد إلى النبي صلى الله عليه و سلم كلها صفات لا يمكن أن تكون إلا للإنسان العربي الأصيل و قد صور قومه على هيأة الإبطال الذين خلدهم التاريخ لما حققوه من انتصارات على المسلمين و ذلك في عهد ملوك الطوائف و سقوط معظم المدن الأندلسية بقيادة فردنلد و الفونسو السادس حيث يقول: "فمنا عليكم بالعتق و أخرجناكم من ريق الرق و ألحقناكم بالأحرار فغمطتم لنعمة فصفعناكم صفعا يشارك صفعا اضطركم إلى سكنى الحجاز و ألجأكم إلى ذات المجاز" (1)
ثم يستمر في الفخر بالعجم و ذلك بذكر علومهم و ما توصلوا إليه و يسميها بأسمائها اليونانية فيقول:حلم علم ذووا الآراء الفلسفية الاريضية و العلوم المنطقية الرياضية حملة الاسترلوميقى و الجومطريقى و العلمة بالارتماطيقى و انولوطيقا و القومة بالموسيقى و الفوطيقا و الهظة بعلوم الشرائع و الطبائع. والمهرة في علوم الأديان والأبدان ماشئت من تدقيق وتحقيق حبسوا أنفسهم على العلوم الدينية والبدنية. لا هلى وصف الناقة الفدنية" (2)
- ويستثني من العرب الرسول صلى الله عليه وسلم: " ابن عمنا الذي بالبركة عمنا الاسماعيلي الحسب الإبراهيمي النسب... وبهذا النبي أفاخر من يفخر وأكاثر جميع من تقدم وتأخر. المنيف الطرفين الشريف السلفيين المتلقي بالرسالة... أصلي عليه عدد الرمل ومدد النمل..." (3)
- وينهي ابن غرسية مناظرته كما بدأها يلوم الأديب ابن الخزار بتركه مدح ابن مجاهد العامري الصقلي ويوجه تهديده له: فيقول:" نحن معشر الموالي لا نولي إلا من هو لعظيمنا موالي فاستأخر أو تقدم وحذار أن تقرع سن الندم" (4)
- و بهذا تنتهي مناظرة **ابن غرسية** ذات النزعة الشعوبية.يقول عنها (ابن بسام): "هي رسالة ذميمة...ذم فيـــــها العرب و فخر بقومه العجم و أراد أن يعرب فأعجم و إذا أفضى بنا القول إلى ذكرها فانا أثبتها ها هنا بأسرها.و اجتلب فصولا من رسائل جلائل بعض أهل العصر ردوا عليه و يكتبوه حتى أسكتوه..." (5)
- وقد رد على هذه المناظرة عددا من الكتاب أوردهم ابن بسام ثلاثة منهم في كتابه وهم: (أبو جعفر بن الدروين.فأبو الطيب عبد المنعم فابن عباس)
- وقد جاء رد **ابن الدروين** على مناظرة **ابن غرسية** الشعوبية ردا يوحي بالروح الوطنية وحمية الإسلام مدافعا بذلك على العروبة والإسلام والفخر بهم ومحاولة تسفية كل ما جاء به **ابن غرسية** وتحقير العجم مثلما **فعل** هو الكشف عن النقائص التي غفل عنها نسبها للعرب فجاء رده سب وسخرية واستهزاء وهذا ما نلمسه في المقدمة حيث يقول:" أخسأ أيها الجهول المارق والمـــرذول المنافق أين أمك ثكلتك أمك أو ما علمت انك إنما سحبت من عقالك تعقالك. وقدمت أول قدمك لسفك دمك" (6) .

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص707
(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص711
(3)المصدر نفسه. ق3/م2 ص713
(4)المصدر نفسه. ق3/م2 ص714
(5)المصدر نفسه. ق3/م2 ص705
(6)المصدر نفسه. ق3/م2 ص715

ثم لجا إلى أسلوب المناظرة من جدل ونقاش حاد وقلب كل ما جاء به ابن غرسية من مفاخر قومه إلى سلبيات
- وهذا ما ذهب به كل من (أبي الطيب وابن عباس) في ردهما على **ابن غرسيه** فقد تحدثوا عن مفاخر الأندلس وفضائلها وذكر مناقبها معتمدا في ذلك على الأسئلة الإنكارية وغرضهم من ذلك تحسيس **لابن غرسية** حجم التهم التي وجهها للعرب وترسيخ عقدة الذنب في نفسيته وتخطئ ما ذهب إليه وهي كلها ردود تمجد العرب وتفخر بهم. وتدخل ضمن إطار المناظرة ذات الطابع الفكري وتتميز بتعدد الأطراف المتجادلة. **فابن غرسية** بمناظرته تلك يظهر معاداته للعرب حين يفخر بالعجم وبما وصلوا إليه وتحقير للعرب والاستهزاء بهم. أثار حمية وغيرة الأندلسيين على أصلهم ولغتهم ودينهم فجاءت ردود معادية لما ذهب إليه **ابن غرسية** ومحاولة ترجيح الكفة لصالح العرب إليه ويضفي عليه صفة القداسة والقوة حيـــن يقول:" لبنفسج:(وأنا- والله- المتعبد له والداعي إليه- والمشغوف به) وتقول زهرة الخيري كذلك لهذا الملك(الورد) : (والله أعطه الفضل دوني وهو له بالبيعة يميني ما اجترأت قط إجلالا له واستحياءا منه على أن أتنفس نهارا أو أساعد في لذة صديقا أو جارا...)

- وعليه فمناظرة(ابن برد) : " تنص على مبايعة فيها معنى الخضوع المطلق الذي يبلغ حد الرق والعبودية. وهي أخيرا تتبرأ من كل من يشذ عن هذا العقد أو يخرج عن بنوده بمنافسة الورد في إمارته أو عصيانه والانـــتزاه عليه" (1)
- ومن المناظرات الأندلسية التي جاءت على لسان الأزهار مناظرة (أبو الوليد إسماعيل بن محمد) الملقب بحبيب. كتبها(المعتضد بن عباد) وقد جاءت مناظرته مكملو لما قاله (ابن برد) في مناظرته حيث جعل الولاء المطلق للملك (المعتضد) وذلك بتشخيصه في زهو (البهار) حيث أعلنه إماما على بقية الأزهار حيث يقول:" إن نواوير فصل الربيع التي هي الورد في الوطن وصاحبته في الزمن لما قرأت ما كتبه (ابن برد) على الورد أنكرت ما فيه وبنيت على هدم مبانيه ونقض معانيه وعرفت الورد بما عليه فيما نسب إليه من استحقاقه ما لا يستحقه واستئهاله ما لا يستأهله ورأت أن مخاطبة من اخطأ تلك الخطبة وأدنى من نفسه تلك الدنية تدبير دبري ورأي غير مرضي.فكتبت إلى الأقحوان والخيري كتابا قالت فيه:لو أن استحق الورد إمامه واستوجب خلافة لبادرتها آباؤنا ولعقدنا أوائلنا التي لم تحاوره في مكنه وتجيء معه في أوانه بما غيره أشكل له وأحق به وهو نور البهار البادي فضله بدو النهار والذي لم يزل عند علماء الشعراء وحكماء البلغاء مشيها بالعيون التي لا يحول نظرها.ولا يحور حورها وأفضل تشبيه الورد بنظرة الخد عند من تشيع فيه واشرف الحواس العين إذ هي كل متولي عين.ليس الخد حاسة.فكيف تبلغه الرئاسة؟ أين الخدود من العيون نفاسة ورئاسة لولا القياس الفاسد . وأصبح تشبيه الورد أقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعر الطائي ولقد وافق ووفق وشبه فحقق" (2)
- فعليه فمناظرة **أبو الوليد** تنحو المنحى نفسه الذي سلكه **ابن برد** في تعظيم ابن جهور وإعلان الرئاسة له وتفضيله عن سائر ملوك الطوائف.فأبو الوليد كذلك يعلن ولاءه وانتمائه للمعتضد واستعمل في ذلك الحجج والبراهين لتأكيد أفضلية البهار على الورد ومحاولة تخطيء ما ذهب إليه ابن برد في تفضيله للورد.
- وهذا ما ذهب إليه **أبو عمر بن الباجي** في مناظرته التي جاءت على لسان البهار.ويرمز به الملك المقتدر بن هود وفيها منافسة قوية بين الورد والبهار جاء فيها: "أطال الله بقاء المقتدر بالله مولاي وسيدي ومعلي حالي ومقيم أودي.وأعادني من خيبة العناء وعصمني معه من إخفاق الرجاء.ولا اشمت بي عدوا من الرياض يناصبني. وحاسدا من النواوير يراقبني.وقد علم الورد موقع إمارتي وغني بلطيف إيماني عن عباراتي وأنها تحية الزهر حياك بها وخبيئة ذخرها لك واهلك لها وقد أتيت في أواني وحصرت وعاب اقرأني... وأنا عبد مطيع مسخر ومملوك بتصرف مدبر.حقيق بان يحسن إلي فادني وجدير بان يهتبل بي ولا احفي لأني سابق حلبة النوار وأول طلائع الأزهار وأنا ناظـــر الفضل وعينه ونضار الروض ولجينه.وقائد الظرف وفارسه وعاقد مجلس الأندلس وحارسه" (3)

---

(1) علي بن محمد.النثر الأدبي الأندلسي.دار الغرب الإسلامي. ط1 1990 بيروت . لبنان ص445
(2)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص130.131
(3)المصدر نفسه. ق2/م1 ص194.195

- ومن الملاحظ على هذه المناظرة اختلافها من حيث القصد والهدف عن مناظرة **ابن برد** والتي رمز من خلالها **للملك ابن جمهور** بالورد.ومناظرة **أبو الوليد** في تفضيله للبهار والذي يرمز به **للملك المعتضد** . أما مناظرة **أبو عمر بن الباجي** فبحديثه عن البهار فهو يرمز به لنفسه لان غايته التقرب من الملك **ابن هود** والطمع في إنعامه واثبات ولائه التام له حين وصف نفسه بالعبد:" عبد مطيع مسخر ومملوك بتصرف مدبر حقيق بان يحسن إلي فادني وجدير بان يهتبل بي ولا أجفى لأني سابق حلية النوار..." (1)
- ثم يعود **ابن الباجي** إلى أسلوب المدح والتوسل للملك ابن هود للوصول إلى هدفه المنشود من التقرب من الملك والرغبة في الدنو من مجلسه والتطلع لنيل أعلى المراتب لديه.ونيل رضاه.يقول في هذا:" فهل لمولاي أن يحسن لي صنيعا.ويكرم النور جميعا ويدنيني فارقي إلى أختي الثريا سريعا في مجلس قد أخلصته سحائبه وأفرغت الحمن عليه والطيب ضرائبه.وجهك بدوره وعزتك فجوة.وأخلاقك زهرة.وثناؤك درة وعطره..." (2)
- ويعرب **ابن الباجي** في الأخير عن خوفه من تغير أحواله بعد بلوغه سنا متقدمة وكثرة الحاسدين والواشين فنجده يعبر عن همومه الخفية بقوله:" وقديمـــــا أكرمني مولاي فلا يهنئ . ووصلني فلا يصرمني ومنحني فلا يحرمني..." (3)
- وقد عبر **ابن الحناط** عن إعجابه بمناظرة **ابن باجي** في البهار وألمح إلى مراميها البعيدة وأشار إلى غرابتها وبديع معناها وسحر ألفاظها فقال في رسالة خاطب فيها احد أصدقائه:" بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر بن الباجي في البهار منقولة بخط على اختلاله واختلاف أشكاله إلا أن حسن الرسالة وموضعها من البلاغة والجزالة يغطي علي تماءة خطي ودناءة ضبطي فاجتلها- أعزك الله- عروس فكر لحظها حبر ولفظها سحر ومعناها بديع ومنتهاها رفيع ومرماها سديد ركب اللفظ الغريب فاعتن له المراد البعيد.يطمع ويؤنس ويوحش ويؤنس فأما أطماعها فيما تحرز من لدونة ألفاظها وسهولة أغراضها وأما اياسها فيما يعجز من امتثالها ويبعد من منالها" (4)
- وذلك بذكر سلبيات العجم والفخر بما حققوه وإضافة شريف الأعمال إليهم.واثبات قدرتهم في المجال الأدبي.
- ومن خلال عرضنا لمناظرة **ابن حزم وابن غرسية** ذات الطابع الفكري محاولة منهم لإعلاء وجهة نظره حول أصله وموطنه. (العرب,العجم) فكان الدفاع عنها بتوظيف الحجج والبراهين التي تمس الجانب الأدبي والفكري والتاريخي... وذلك لإظهار بلده في أحسن صورة وأبهى حلة.
- وبهذا فقد استطاع النثر الأندلسي وبصفة خاصة فن المناظرة التعبير عن الحالات النفسية ونقل الآراء المتججة غضبا والمشحوذة بكل مشاعر الوطنية.وعليه فقد دخل النثر الأندلسي مجال الصراع الفكري الذي طغت عليه الصيغة السياسية في فترة عرفت فيه الوحدة الأندلسية تفككا وانقساما في الحكم وظهور القوميات التي عرفت في التاريخ بملوك الطوائف والتي فتحت بذلك عيون الطامعين من داخل البلاد وخارجها فادى هذا بنهوض الكتاب الأندلسيين للدفاع عن عروبتهم والفخر ببلادهم والدفاع عنها ضد كل من في نفسه مرض.فقدم الكتاب الأندلسيين كل ما جادت به قرائحهم وتسخير أقلامهم للتغني بأمجاد العربية والفخر بانتمائهم للإسلام.

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص195.194
(2)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195
(3)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195
(4)المصدر نفسه. ق2/م1 ص195. 196

-**المناظرات الخيالية**: " وينطلق فيها الكاتب بعيدا بخواطره وبوجدانيه ويحلق بفكره وخياله ما شاء فتراه يشخص الكائنات ويستنطق الجماد والنباتات بأسلوب عذب شائق فيجعل منها أناسي تتجاوز وتتباهى وتتفاخر فيما بينها إذ يعلن كل من المتناظرين أو المتحاورين محاسنه وينشر فضائله" **(1)**

- وتعالج من حيث الموضوع بعضا من الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر ملوك الطوائف. وهذا النوع من الكتابة شمل عدة أنواع من المناظرات منها ما كان على لسان الأزهار. ومنها ما كان بين المباني وبين الأدوات:

أ- المناظرة بين الأزهار: يعود ظهور هذا النوع من المناظرات على لسان الأزهار لشغف الأندلسيون بجمال بلادهم وسحرها وحبهم لطبيعتها الخلابة ولجمال بيئتها الساحرة.فهي مصدر إلهامهم وفخرهم.ولقد عرفت الطبيعة الأندلسية ألوانا مختلفة للأزهار وتنوعت أسماءها فكانت الأزهار والورود والنرجس والبهار والبنفسج...واختلفت أذواق الناس في تفضيلهم لهذه الأنواع والميل إلى نوع على حساب نوع آخر.ومحاولة إبراز محاسنه وتشخيصه واستنطاقه.

- ومن أول الكتاب الذين أبدعوا في هذا الفن **(أبو الحفص بن برد الأصغر)** حين كتب إلى **(أبي الوليد بن جهور)** بمناظرة في تفضيل الورد.أجرى فيها حوارا بين الأزهار فيبدؤها بعقد اجتماع بين الأنوار والأزهار :" وتعتمد رسالة **ابن برد** على مقدمة يشرح فيها الناطق باسم الأزهار جمال كل نوع منها.ثم يذكر المجتمعين أن فيهم من يستحق الرياسة وهو الورد وقام كل نور حضر ذلك المجلس فادى شهادته" **(2)**

- وقد أقام حلفا بين الأزهار والنوار من اجل إيجاد حلف بينهما فقام قائم منهما بحمد الله ويبدي شكره على منحه من حسن أنواع الزهر وجعلها تحب. ثم ينتقل إلى ما يشبه النقد الذاتي لعدم اعترافه بالأفضلية لغيره وإنكار الرئاسة على الورد: (مع انه الأكرم حسيا والاشرف زمنا) **(3)**

- ويجلس هذا الخطيب وكأنه حكيم الجماعة وضميرها الحي فيقوم البنفسج مؤيدا لهذا الرأي مبايعا للورد على الحكم والرئاسة.

فقال النرجس الأصغر: (والذي مهد لي حجر الثرى وأرضعني ثدي الحيا لقد جئت بها أوضح من لبة الصباح واسطع من لسان المصباح ولقد كنت اسر من التعبد له والشغف به والأسف على تعاقب الموت والرجعة دون لقائه ما انحل جسمي ومكن سقمي وإذ قد أمكن البوح بالشكوى فقد خف ثقل البلوى)

- ثم قام البنفسج وقال: (على الخبير سقطت.وأنا والله المتعبد له الداعي إليه المشغوف به كلفا المغضوض بيدي النائي عنه أسفا وكفى ما بوجهي من ندب وبجسمي من عدم نهوض ولكن في التأسي بك وفي الاستواء معك وجدان سلو)
- وينهض البهار بعده ويرى رأي البنفسج ويذهب مذهبه ويأتي الخيري وهو آخر المتحدثين فيحقر نفسه ويعظم للورد ويمد إليه البيعة على الطاعة والولاء.وتختم الرسالة باتفاق جميع الأزهار على وثيقة رسمية (هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر وضروب الزهر...عندما راجعت من بصائرها وألهمت من مراشدها واعترفت بما سلف من هفواتها.وأعطت للورد قيادها وملكته أمرها...واعتقدت السمع والطاعة والتزمت له الشرف والعبودية وبرئت من كل زهر نازعته نفسه المباهاة له والانتزاء عليه في كل وطن ومع كل زمن) **(4)**
- وعليه تعد مناظرة ابن برد على السنة الأزهار تمثيلا للمناظرات الخيالية وقد اعتمد في ذلك أسلوب جدلي والأدلة العقلية متجها في ذلك إلى النقد الذاتي في مفاضلاته.
- ثم قام البهار فقال: (لا تنظرن إلى غضارة منبتي.ونظارة ورقي ورقتي وانظروا إلي لقد صرت حدقة باهتة تشير إليه.وهينا شاخصة تندي بكاء عليه.)

ولولا كثرة الباكين حولي ۞ على أخواتهم لقتلت نفسي

---

(1)عبد العزيز بن عبد الله العواد.النثر الأدبي الأندلسي. ط1 1996. ص148

(2)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص290

(3)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص123

(4)المصدر نفسه. ق2/م1 ص129

- ثم قام **الخيري** فقال: (والذي أعطاه الفضل دوني ومد له بالبيعة يميني ما اجترأت قط إجلالا له واستحياء منه على أن أتنفس نهارا أو أساعد في لذة صديقا أو جارا فلذلك جعلت الليل سترا واتخذت جوانحه كنا)
- ثم استوت آراء الأزهار وأجمعت على تقديم الرئاسة للورد: (إن لنا أصحابا وأشكالا واقرابا نلتقي بها في زمن ولا نجاورها في وطن فهلم فلنكتب بذلكم عقدا ينفذ على الاقاص والاداني.فكتبوا رقعة نسختها هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر وضروب الزهر وسميتها وشتويها وبيعيها وقضيها حيث ما نجمت من وهاد أو ربوة وتفتحت من قرارة أو حديقة عندما راجعت من بصائرها وألهمت من مراشدها واعترفت بما سلف من هفواتها وأعطت للورد قياده وملكته أمرها وعرفت انه أميرها المقدم لخصاله فيها والمؤمر لسوابقه عليها. واعتقدت له السمع والطاعة والتزمت له الرق والعبودية وبرئت من كل ذهر نازعته نفسه المباهاة له والانتزاء عليه في كل وطن ومع كل زمن فانه زهر قضى عليه لسان الأيام هذا الحلف فلنعرف أن إرشادها فيه وقيام أمرها به) **(1)**
- ومناظرة ابن برد تعكس في مضمونها أوضاع المجتمع الأندلسي في ظل ملوك الطوائف فالورد يرمز به إلى الملك **ابن جهور** فالكاتب يحاول أن يقر له الرسالة والحكم على حساب حكام المقاطعات الأخرى حين رمز لهم بالأزهار الأخرى (البنفسج.النرجس.البهار.الخيري)
- وقد جنح **ابن برد** إلى أسلوب التلميح والإشارة من مثل قوله: (هو أولى بالرئاسة منا ...وان بذلنا الإنصاف عن أنفسنا ولم نسبح في بحر عماننا ولم نمل مع هوانا دنا له ودعونا إليه فمن لقيه منا حياه بالملك) فهي تعبير بشكل أو بأخر عن الظروف السياسية التي عرفتها بلاد الأندلس في هذا العهد.ومن كثرة الحكام واستقلال كل مقاطعة بحاكمها واشتداد روح التنافس بين هؤلاء الملوك على الحكم والسلطة والنفوذ.
- فابن برد يجعل من ابن جمهور ملكا تخضع الملوك لأمره وتنقاد الأهواء
- ومن المناظرات التي جاءت على لسان النرجس مناظرة الوزير الكاتب **أبي الفضل بن حسداي** كتبها **(للمقتدر بن هود)** وهي مناظرة مغايرة للمناظرات السابقة حيث أن الحوار لم يعقد بين : (النرجس والأزهار الأخرى وإنما جعل الحوار بينه وبين احد الناس من خواص المقتدر بن هود) **(2)**

فالخطاب لم يوجه للملك لبن هود مباشرة بل جاء عن طريق احد خواصه ليكون له الوقع في نفس الملك ويحظى باهتمامه ليرقى إلى درجة خواصه فيقول : " حتى أتيح طريق من خواصك يقصدني وسبيل من عبيدك يعتمدني" **(3)**

- والنرجس في مناظرة لبن حسداي يرمز به إلى : النديم المخلص أو الصديق الوفي الذي لا يريد الحاسدون له خيرا في ظل الأمير صاحبه) **(4)**
- وان رسول الملك مر على النرجس فوجده في حالة ذبول فخاطبه متسائلا: " يا أيها الزهر الفارد والنور الشارد الساحر بحدقه.وأجفانه. الناظر بورقة وأغصانه الباهو بورقه وعقيانه مالي أرى قبضتك غبرا ذابلة.ومنابتك شعثا ناحلة وعهدي بك تمج الأنواء ريقتها في ثغورك فتبح حافلة.وترضع الانداء أفنانك فتغدو حاملة فتنوء بجيدك منثني.كأنك أصبحت منثنيا وقد ساءني ما عانيت من ضناك ونحولك" **(5)**
- ويبالغ بشعوره بان ينقله من مقامه ومن مجاورته:" للنبات الهشيم إلى جنات السور المقيم ونتسعد بالفوز العظيم باستسلام راحة الملك الكريم" **(6)**
- وقد سعى ابن حسداي في مناظرته إلى إثبات تفوق النرجس على غيره من أنواع الأزهار حيث وصفه بأنه:" قائد الأنوار.ووافد الأزهار.وأنا لها جالب وهي طاردة ومبسر بورودها.زهي مؤيسة متباعدة فاني غلبت بما طبعي من التيقظ والذكاء" **(7)**

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1. ص129

(2)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص291

(3)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص471

(4)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص291

(5)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص471

(6)المصدر نفسه. ق3/م1 ص471

(7)المصدر نفسه. ق3/م1 ص472- 473

- وقد عبرت هذه المظاهر عن هموم الكاتب الذاتية,فقال على لسان النرجس: " فكم تمنى الأزهار أن تضام لديك مطالبي وتكثر في ذراك مشاربي فأزل عني حسدهم بكبتهم فقد شجاهم تقدمي قبل وقتهم" (1)
- وفي النهاية يختم **ابن حسداي** مناظرته بأسلوب يمزج فيه بين غرض المدح والاستعطاف والرجاء للتقرب من الملك **ابن هود** ونيل رضاه: " فلا تضع أيها الملك سبق تقدمي وحق مقدمي فقد أشخصت طرفي إليك أملا وبسطت نحوك كفي سائلا.وحسبي أن تلاقيني ببشرك وتناجيني بفكرك فتنبه الغرم من وسنه وتنشر الحزم من جنته ذلك من براعة العلا.وأصالة النهى ذكاء يره الأول اقتراح زنده ومضاء يغري بأسر هز خده. ولديك من مناهل الكرم ونواصل النعم وما يزري بالمزن ويوفي على الديم:

ما نفخ لنا من طيب خلقك شيمة ۞ إذا كانت الأخلاق مما توهب (2)

- وعليه فقد تبين لنا من خلال مناظرة **ابن برد** على لسان الورد ومناظرة **أبو الوليد** في تفضيله للبهار على غيره.وأخيرا مناظرة **أبو الفضل بن حسداي** على لسان النرجس مدى التشابه بينهما من حيث الغاية وهي التقرب من الملوك وكسب ثقتهم أو نيل رضاهم.ومدى التنافس بينهم على السنة الأزهار والتي تعكس من جهتها الوضع السياسي المشحوة بالتنافس والصراع الذي شهده ملوك الطوائف. هذا الوضع الذي دفع بالكتاب الأندلسيين إلى تفضيل احد الملوك على الآخر وذلك باستخدام مهارته الفنية في ذلك. فكانت المناظرات أفضل تمثيل لهذا الواقع.

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1. ص472

(2)المصدر نفسه. ق3/م1 ص472- 473

المناظرة بين المباني: يعد هذا النوع من المناظرات خصوصية أندلسية وشكلا جديدا عرف عند الاندلسيين في هذا العهد ويعود ذلك الى طبيعة البلاد المادية.وما عرف عنها من كثرة القصور الضخمة والمباني الفخمة وفي هذا المجال تنافس الملوك والأمراء

- ومن قبيل المناظرات التي دارت على السنة المباني ومحاولة استنطاق الجماد.مناظرة أقامها أبو جعفر بن أحمد الداني) بين قصرين من قصور (المعتمد بن عباد) باشبيلية,أحدهما (المبارك) والآخر (المكرم) وهي مفاخرة ضمنية يبادر فيها القصر المبارك,وهو المكان الذي هجره الملك لينتقل الى القصر المكرم بالحديث فيقول:" نحن ايها المحل السعيد,والقصر القديم الجديد.وان نبضت فينا عروق.نعلم أنه لبعضنا على بعض حقوق.فما أحقنا بحق المشايعة والمتابعة لما نظمنا من سناء الدولة اللخمية وتشرفنا به من ولاء المملكة المعتمدية-عقد الله لنا أسبابها, ومد علينا أطنابها- وحقا أقول أيها القصر المكرم:لا جرم انه لك السبق والتقدم,فانك أس الخلافة.وقرارة الرياسة ومركز الدل المتداولة. شهدت الأشهاد انه بك مهدت البلاد,وعنك انبثت الجياد كأنها الجراد على حين اشتدت شوكة المارقين.وحميت جمرة المعاندين فألظوا بهم مجلحين.وشنوا عليهم الغارة ممسين ومصبحين. فأذلوا كل جبار عنيد وقطعوا دابر كل ختار مريد.حتى خضدوا تلك الشوكة,وأطفأوا تلك الغائرة فانجلت الغماء وسكنت الدمهاء بتدبير قاضي العدل وحكم عباد البأس والفضل. فمرت لك كذلك برهة. وتراخت بك على تلك الحال مدة آمنا سربك صافيا شربك.لا يطار غرابك, ولا يضار بسوء جنابك فهنيئا لك النعمى الأولى.وهذه أخـــرى" (1)

- ويواصل القصر المبارك حديثه وقد ظهر في صورة الراضي بالقضاء والقدر والاستسلام لحقيقة الواقع الذي يعيشه من حب الملوك لتغيير قصورهم وهجرتهم من الى الأفضل. والنعاني المتضمنة في هذه المناظرة تنم عن أحوال ملوك الطوائف آنذاك التي شهدت تغيرا وتقلبا في أساليب المعيشة وتنقلهم بالحاشية من حال الى حال ومن مكان الى آخر. فيقول: " ولما ثاب من سعدي ثائب.وأسعد جدي قدر غالب. درج عنك الي وطلع من تلقائك بطالع الاقبال علي.المولى المعتمد الذي أحياك رفاقا قدم.وأسب فيك كبيرا قد هرم.كما أحيا ذكري.ونوه من قدري.اذ حط اسمي عن عرض الدور لأثبته في ديوان ساميات القصور....

في كل شـــــارق الزوار تكنفني ۞ وبعد حول يزار الركن والحجر

لو أن ايوان كسرى كان عاصرني ۞ فكان لــــــي دونه عز وفتخر

بساحتي تعقد الرايات يتبعهـــــا ۞ جيش يسايره أو يقدم الظفـــر

وان الخجل منك ليكسوني أثوابـــا ۞ والمعرفة بحقك تقتضينـــــــي

اعترافا لك واسعابا على ما ضيعته قبل من مداخلتك وفرطت قديما فيه من مواصلتك فاني كنت آنفا في نحو ما انت فيه اليوم زاهيا- هنأك الله المنحة منه وسوغك النعمة اليك وجب أن أخاطبك معتذرا مستغفرا...." (2)

---

(1)ابن بسام . الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص759

(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 750

ثم يصرح القصر **المبارك** أنه بحث طويلا عن كاتب يكتب عنه هذه الكلمات ليكون وسيطا وشفيعا له عند الملك (المعتمد) فكان هذا القصر الجديد المكرم خير من يمثله فيقول :" وتنازلت أطلب من يجيد ما يكتب حتى قيض فنشئ هذه الرقعة وحلي لدي بالبلاغة فخاطبك عني بما تراه وتتوضح مغزاه وقد استوجب باتصاله بي.واعتلاقه بسببي حقوقا عندي وحظا وافرا اعتنائي وودي وأسألك فضل العناية به دوني وصدق الشفاعة له عني عند المولى المنعم. ولا أقل من أن يبلوه ويخبره فان استحق بالاحسان احسانا أوسعه وأوسعني عنه انعاما وامتنانا. وان كانت الدولة السعيدة غنية عنه فما أخلق مكارمه بأن يلحفه ظلها ويبوئه فضلها فيكون في خباياها. ويقيم في ذراها ليعلم من علم بقصده لها انه قد حلي بطائل منها وعسى ان يظفر بعد حين رأي في تشريفه بتصريفه" (1)

- ويرد عليه القصر المكرم ردا لا يقل أصلا ونبالة وفضلا عن رأي القصر المبارك حيث يقول:" أحسنت ايها القصر المبارك أحسنت,شد ما بنيت وسرعة ما القيت وأصبحت- والله يتم سناءك وينمي بهائك- وبهذه الطبائع محبب المقاطع والمنازع:

ومن يك عبـــــدا للمؤيد لا يزل ۞ حميدا مساعيه سديدا سهامـــه

مليك اذا ما عم أمرا فانمـــــــا ۞ ذريعته خطية وحسامـــــــــه

لقد هيأت لك الهيئة العلوية مراتب سنية وأطلعتك النصبة الفلكية مطالع من السعود سمت بك صعدا الصعيد. ومنحتك من عزة السلطان ما اناف بك على الأقران الى العنان فأين منك الجوزاء. وقليل لك ان أقول الابلق الفرد وتيماء! انت فلك نجوم الملك وسماء رجوم الشرك... والته يا سيد القصور. وبهجة الدعور ما تقرر لك لدي. وقص عنك الي من محاسن أحرزتها صفتك وفسرتها جملتك من تحليلك بوجهين على منصبين فيضيف الى مجلس بين حيرين كلاهما محاسنه فائقة... فأنت منها في ظل ممدود وطلح مخضود وطلع منضود...

لقد فات حسنك كل القصور مثلما ۞ قات المؤيد كل ملك في الورى

ملك اذا وقف الملـــوك ببابــــه ۞ عاد المعظم منهم متصغـــــرا

طلب المعـــالي بالعـوالي واللها ۞ فاختارهـــا والطالبوهـــا بالعرا

وبودي أيها القصـــر المألـــوف جنابـــه. المنيف نصابـــه. لو أمكننا اللقـــــاء حتى الشفـاء. ويتمكن الاخــــاء:

ولو كـــــان سعى الجهــــــاد ۞ سعى بي نحـــوك فرط الوداد

وشخصك الا أطالعـــــه لحظا ۞ فاني اطالعـــه بالفـــــؤاد

ولقد أثقل ظهري وأعيا ناهض حمدي وشكري اذ أخذت بطرفي الفضل وسمتني خطتي العجز في القول والفعل ما تبرعت به- ولك انم الطول فيه- من مبادهة المخاطبة...

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص762

فلولا ما اتصل بي عنك وتقرر لدي من لدنك من صحة طويتك.وسلامة دخلتك,لقلت : هذا الجفاء مجلو في صورة الثناء. والازدراء مخبو تحت لسان الاطراء وانك امعنت في كتابك في التصريح... ولا مررت منه بفقرة الا صرحت لي عن ندرة. وكلما اعدت طرفي راعي حسن ما تعيده وتبيده فطفقت تارة به اعجب وأخذت طورا منه أعجب وقلت:" لله كاتبه,لقد اوجز فأعجز واقتضب فكأنما أسهب. ثم عدت أقول لا عجب استملي من محاسن "القصر المبارك" فكتب. وهل هو الا البحر يقذف بالدر والروض يبسم عن يانع الزهر" (1)

- تقوم مناظرة أبو جعفر بن أحمد على نوع من اعتراف الطرفين المتناظرين بأحقية الآخر وأهميته وقيميته والحجج والبراهين المستخدمة تخدم كلا الطرفين المتناظرين (المبارك,والمكرم)
- فنرى القصر المبارك وهو القصر القديم الذي هجره الملك المعتمد يتحدث عن القصر المكرم المحل الجديد فيقول: " وحقا أقول أيها القصر المكرم لا جرم أنه لك السبق والتقدم فانك أش الخلافة. وقرارة الرياسة. ومركز الدول المتداولة. شهدت الأشهاد أنه بك مهدت البلاد. وعنك امبثت الجياد كأنها الجراد.... ومعلوم أيها القصر الذي يزان به العصر... وانما العجب الأعجب ما نمى الي عنك. مما تكامل فيك واجتمع لك. من حدائق بواسق في أيسر من رجعة الطرف وأسرع من قبضة الكف الى أنوار انبعثت وازهار تنوعت فمن ورد كتوريد الخدود. ونرجس كمقل الغيد وسوسن كأنه راحة ثنت النبان على قراضة من العقبان... فاني كنت آنفا. في نحو ما انت فيه اليوم زاهيا- هنأك الله المنحة منه وسوغك النعمة الجسمية به- من الشغل المطرد بخدمة المولي المعتمد..." (2)
- وكذا حديث القصر **المكرم** عن القصر **المبارك** فيه نوع من المديح والاطراء حين يقول: " أحسنت أيها القصر المبارك أحسنت شد ما بنيت وسرعة ما لقيت... لقد هيأت لك الهيئة العلوية مراتب سنية وأطلعتك النصبة الفلكية مطالع من السعود سمت بك صعدا من الصعيد ومنحتك من عزة السلطان ما أناف بك على الأقران الى العنان فأين منك الجوزاء؟ وقليل لك أن أقول الأبلق الفرد وتيماء! أنت فلك نجوم الملك وسماء رجوم الشرك... والله يا سيد القصور وبهجة الدهور ما تقرر لك لدي. وقص عنك الي من محاسن أحرزتها صفك..." (3)
- كما ضمت هذه المناظرة حججا عملية وذلك بلجوء أحد الطرفين الى توظيف أبيات من الشعر لبيان أهمية الطرف المتناظر ومكانته. فمن ذلك قول القصر **المكرم** في شأن القصر **المبارك**

لقد فات حسنك كل القصور مثلما ۞ قات المؤيد كل ملك في الورى

ملك اذا وقف الملـــوك ببابـــه ۞ عاد المعظم منهم متصغـــــرا

طلب المعـــالي بالعـوالي واللها ۞ فاختارهـــا والطالبوهـــا بالعرا

ولو كـــــان سعى الجهـــــاد ۞ سعى بي نحـــوك فرط الوداد (4)

وشخصك الا أطالعــــــه لحظا ۞ فاني اطالعـــه بالفــــؤاد

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص766

(2)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 759.766

(3)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 762

(4)المصدر نفسه. ق3/م2 ص 764

- كما لجأ القصر المبارك الى الشعر لتقوية دوره وتبيان أهميته ومكانته قديما وحديثا فيقول:

في كل شـــــارق الزوار تكنفني ۞ وبعد حول يزار الركن والحجر

بساحتي تعقد الرايات يتبعهـــا ۞ جيش يسايره أو يقدم الظفـــر

يسعـــد محتسب في الله معتـمد ۞ عليه أفعالــــه فـــي دهر غرر (1)

- وهـــذه المناظرة تقوم عـــلى الحجج والبراهين باعتبارهـــا العنصر الفعلي والمنتـج للمناظـرة ويضاف الى المناظرات التي عرفت عند الأندلسيين والتي جرت على ألسنة الأزهار والمباني نوعا آخر جاء على لسان الأدوات وأجمل ما مثل هذا النوع من المناظرات مناظرة لابن برد الأصغر أجراها على لسان كل من السيف والقلم وكتبها الى الموفق ابي الجيش مجاهد وكان يرمز بمناظرته تلك الى ما كان شائعا في عهد ملوك الطزائف من اعتراف بالقوة ومحاولة تقريب ذوو الكفاءة الحربية من الملوك ضف الى ذلك سيطرة لغة الحرب والقوة على لغة العلم والقلم. فيبدؤها بقوله: " أما بعد حمد الله بجميع محامده وآلاءه والصلاة على خاتم أنبياءه. فان التسابق من جوادين سبقا في حلبة وقضبين نسقا في تربة والتحاسد من نجمين أثار في أفق وسهمين صارا على نسق والتفاخر في زهرتين تفتحا من كمامة وبارقتين توضحتا من عمامة لأحمد وجوه الحسد وان كان مذموما مع الأبد وربما امتد أحد الجوادين بخطوة أو حصل أحد القضبين بربوة وكأن السهمين أنفذ مصيرا أو راح أحد النجمين أضوء تنويرا أو غدت احدى الزهرتين أندى غضارة أو مست أحدى البراقتين أسنى انارة فالمقصر يرتقب تقدما وتقارب الحالتين في المجانسة يشب نار المنافسة وان حال بينهما قدح النقاد وقبح الحاسد الأضواء" (2)

- وهو بمثابة تمهيد يعترف ابن برد من خلاله بفضل كلا من السيف والقلم ووضعهما في نفس المنزلة التي يستحقانها ويواصل في اطراءه ومدحه لكل من الأداتين السيف والقلم والاعتراف بتساويهما في الأهمية والغاية معا . فيقول: " وان السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان الى القصد من بات يسري الى المجد وسلمين يلحقان بالكواكب من ارتقى لساميات المراتب وطريقين يشرعان نهج الشرف لمن ترقى اليه ويجمعان شمل الفخر لمن تأتب عليه ووسيلتين يرشفان العلى في عاشقها ويبسطان في وصال مجتمعين لا يفرق تجميعهما جررا أذيال الخيلاء تفاخر وأشما بأنف الكبرياء تنافرا وادعى كل واحد منهما أن الفوز لقدحه وان الدر من أصدافه وان البكر من زفافه وان البناء من تشييده وان الملأ من تعضيده. وان كباء الثناء موفوف على مجامره وأن خطيب الفخر محبوس على منابره. وان حلل المآثر من نسيجه. وان أفراد المفاخر من تزويجه وحين كشف الجدال قناعه ومد الخصام ذراعه وهز الأباء من عطفه وأشم الأنف من أنفه. قاما يتباريان في المقال ويتساجلان في الخصال ويصف كل واحد منهما جلال نفسه. ويذكر فضل ما اجتنى من غرسه ويأبى بمنقبه نافرت الشها. ومرتبة ريضة خيسها, ورياسة من ذوائب الجوزاء صادها. ونباهة في صهوة العيوق أفادها " (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2. ص760

(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص523

(3)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 524

- ويبدأ الحوار بين الاداتين ويشتد الخصام بينهما حين يبدأ القلم بالتباهي والتفاخر وحجته في ذلك المكانة التي حظي بها في الذكر الحكيم وهي أجل مكانه. فقال القلم :" ها. الله أكبر أيها المسائل بداء يعقل لسانك ويحيز جنانك وبديهة تملأ سمعك وتضيق ذراعك خير الأقوال الحق وأحمد السجايا الصدق والأفضل من فضله الله عز وجـل في تنزيله مقسما به لرسوله فقال: " والقلـــم وما يسطرون" (1)

وقال: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم" (2) فجل من مقسم وعز من قسم فما تراني وقد جللت بين جفن الايمان وناظره وجلت بين قلب الانسان وخاطره لقد أخذت الفضل برمته وقدت الفخر بأزمته " (3)

- ثم يأتي السيف ليرد على القلم فيعرض محاسنه هو الآخر ويذكر بمناقبه بوصفه أداة القوة ووسيلة الحرب لا غناء عنها حيث يقول مخاطبا القلم: " عدنا من ذكر الطبيعة الى ذكر الشريعة. ومن وصف الخصلة الى وصف الملة لا أسير ولكن أعلن قيمة كل امرئ ما يحسن. وان عاتقا حمل نجادي لسعيد. وان عضدا بات وسادي لسديد وان فتى اتخذني دليله لمهدي وان امرءا صيرني رسيله لمفدي يشق مني الدجى بمصباح ويقابل كل باب بمفتاح. أفصح والبطل قد خرس وابتسم والأجل قد عبس. أقضي فلا أنصف وأمضي فلا أصرف أزري بالوفاء. وأهتك الأمة هتك الرداء" (4)

- وتشتد لهجة الحوار وتزداد حدته ويعرض كل طرف محاسنه ومناقبه يثير بها غضب الآخر وحقده ويظهر هذا من خلال رد القلم الذي يكشف فيه عن غضبه وحنقه ويتهم بذلك السيف بالخيانة والجور مفتخرا بمناقبه حيث يقول: " نعوذ بالله من الحوز بعد الكور وقبحا للتحلي بالجور والخيانة تسود ما بيض الصفاء وتكدر ما أخلص الاخاء وتوكد أسباب الفتن وتضرب بقداح الفتن. الحق أبلج.والباطل لجلج ان تأبى النصفة فانها في قدحها المأمونة الطائر محمودة الباطن والظاهر أحكم فأعدل.وأشهد فأقبل. وترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل أعد نفسي. وأستكفي فأكفي أحلب الغنى من ضروعه وأجتني الندى من فروعه وهل أنا الا قطب تذور عليه الدول وجواد شأوه يدرك الأمل. شفيع كل ملك الى مطالبه ووسيلته الى مكاسبه. وشاهد نجواه قبل كل شاهد ووارد معناه قبل كل وارد" (5)

- ويجيب السيف بلغة أشد غضبا زحنفا ويخرج الحوار من دائرة المفاخرة فيعمل على القلم بشدة ويدخل بذلك الحوار في دائرة السباب ويحاول كل طرف اظهار معايب الآخر فقال السيف:" يا الله! استنت الفصال حتى القرعة. ورب صلف تحت الواعد. لقد تحاول امتدادا بباع قصيرة وانتفاضا بجناح كسيرة أمستغرب والفلس ثمنك.ومستجلب وكل بقعة وطنك؟! جسم عار. ودمع بارد تحفى فتنعل بريا حتى يعود جسمك فيا. ان الملوك لتبادر الى دركي ولتتحاسد في ملكي.ولتتوارثني على النسب ولتتغالى في على الحسب فتكللني المرجان وتنعلني العقبان وتلحفني بخلل كحلل. وحمائل كخمائل حتى أبرز براز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء.

فقال القلم: من ساء سمعا ساء اجابة.أستعيذ بالله من خطل أرعيت فيه سوامك وزلل افتتحت به كلامك وان ازدرائك بتمكن وجداني وبخس أثماني لنقص في طباعك.وقصر في باعك. الا وان الذهب معدنه في الحفر

(1) سورة القلم الآية 1

(2) سورة العلق الآية 4

(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1. ص 524

(4)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 524

(5)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 525

وهو أنفس الجواهر والنار مكمنها في الحجر. وهي احدى العناصر . وان الماء وهو الحياة أكثر المعايش وجدانا وأقلها ثمنا. وقلما تلقى الاعلاق النفسية الا في الأمكنة الخسيسة وأما التعري فعنينا بالجمال عن جر الأذيال. وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه. أو يبتهج الاغريض حتى يجذب سعفه . أم يتلألأ الصبح حتى تتجلى سدفه ان الضحاء للرجال مهروف. وان الحفر على النساء موقوف ولولا جلاء الصفايل صدأك لأسرعت ذهابا وعدت مع التراب ترابا" (1)

- ويزداد الحوار حدة وياتي دور السيف ليستأثر بمحاسنه فقال السيف: " جعجهة رحى لا يتبعها طحن وجلجلة وعد لا يليها مزن في وجه مالك تعرف امرته وجه لئيم وجسم سقيم وغرب يفل ويم يطل ودموع سجام كأنهم سخام ورأس لم يتقلقل في لب وجوف لم يتخصخص فيه قلب أوحش من جوف العير يشهد عليه كثرة الجور بقلة الخير فهب من نومك. وأفطر من صومك ان انتضاني جاهل أوهمته أني سائل ففر خوفا أن يغرق وولى حذرا أن يخترق أكرع يوم الوغى في لبة البطل فأعوذ كالخد كسي صبغ الخجل كأنما اشتملت بالشقيق أو شربت ماء العقيق.

- فقال القلم: " ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا. ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة. ان ماءك السائل جامد وان جرمك الملتهب لبارد. ولن يغرق فيه حتى تكرع في السباسب العطاش. ولن يحترق به حتى يقع في نار الحباحب الفراش. فأقصر عن جفنك من العمى رواقا واحلل من خصرك للجهل نطاقا. يسفر البلاء لك عن قضيب عاج ولسان سراج وقدح ورق جلل بالعقبان. وحلة نرجس فوق جسم أقحوان. لليل في قوديه لطخ وللمسك في صدغيه نضح" (2)

ثم نلاحظ تدخلا لابن برد يقاطع فيه هذا الحوار الشديد اللهجة بين الأداتين بحوار سردي ينهي به ما نشأ من تنافس وخصومة بينهما بعد: " أن أكثر تعارضهما وطال تراوضهما وقابل كل واحد منهما يجمعه جمعا. وقرع بنبعه نبعا ولم ينثن أحد الصارمين كهاما ولا أرتد أحد العارضين جهاما فبادرا الى السلم يعقدان لواءها. والى المؤالفة يردان ماءها. وقالا: ان من القبيح أن تتشتت أهواؤنا وتتفرق آراؤنا وقد حمعنا الله في المأتلف الكريم وأحلنا بمحل غير ذميم بأعلى يد فالت آمالها ووافت المطالب أوطانها. ولم تقابل بابا مغلقا الا قرعته ولا حجابا مضلعا الا رفعته ولا جدا عاثرا الا أقالته ولا أملا غائرا الا أسألته تلك يد الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها ومستوجب المكارم ومستحقها العاقد لواء المجد بذوائب السماك والمطل بفخره على الأفلاك. والمقدم اذا أحجمت الأبطال. والضاحك اذا بكت الآجال. والساري الى العليا اذا أدلج الكرام والمسهد في الآراء اذا هجد الأنام والطالب ثأر العديم بوجوده والمشفع النيل بمزيده والمسعف لميعاده والمخلف لايعاده والمجري في ذوايات الهمم ماء.والمطلع في ظلمات الآمال سناء فاذا قد عدل بيننا بحكمه يوم وعاه ويوم سلمه فجاوز بك حد المسالمة. وجاوز بي حد المشارسة. ولم يثنك حتى بلغ مناه ولم ينثني حتى وافق هواه.ولم يقصر بي عن غاية بلغك اليها. ولم يقدمك الى مرتبة أخرني عنها فأجمل رداء نرتديه.وأفصل حذاء نحتذيه.وأهدى سبيل نقصده.وأصفى منهل نرده.مؤالفة نجرر ذيلها.ونميل ميلها." (3)

- ثم يعقد القلم معاهدة خطية بينهما حتى حتى لا يغدر أحدهما بالآخر. فقال القلم:" ان مما نبرم به عقدنا ويستظهر به بعضنا على بعض.وان حالت حال كان للدهر انتقال.ان نخط كتابا مصيبا.يكون لنا مثابا وعلينا رقيبا فقد يدب الدهر بعقاربه بين المرء وأقاربه ويسعى بالنميمة بين الفرعين من الأرومة"

---

(1) ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص 525
(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 526
(3)المصدر نفسه. ق1/م1 ص 527

- فقال السيف: أنت والبيان.وجريا والميدان فقال القلم:ان النثر في ذلك مثل يسير وان للشعر في ذلك ذكى خطير وانه لشد والحادي وزاد الرائح والغادي.وأختاره على التثر تنويها للذكر فقال:

قد آن للسيف ألا يفضـــل القلمـــا ۞ مذ سخر الفتى حـــاز العلى بهما
ان يجتن المجد غضا مــن كمائمـه ۞ فانمــا يجتني من بعض غرسهما
ما جريا أمـــــلا فوافيـــا أمـــدا ۞ الا وكانت خصال السبق بينهمـــا
سقاهما الدهر مـــن تشتيه جـرعا ۞ ولليالي صروف تقطع الرحمـــا
حتى اذا نام طلاف الجهل وانتبهت ۞ عين النهى قرعا سنيهما ندمـــا
راحا يكف ابي الجيش التي خلقـت ۞ غمامة كل حين تمطر النعمـــــا
يـــا أيـــها الملك الســامي بهمته ۞ الى السماء علا قد أعيت الهممــا ... (1)

- وبهذا يختم ابن برد مناظرته التي وصفت بأنها : (من بدائعه العقم المستنزلة للعصم) (2) وذلك يعود لأهمية موضوعها الذي يتناول التنويه بقيمة كل من السيف والقلم باعتبارهما أداتين مهمتين في حياة الناس. فالسيف يرمز للقوة باعتباره لغة الحرب. وهي اشارة الى الحياة السياسية في ظل ملوك الطوائف التي شهدت انقلابات وفتن وتمردات

فالسيف يعكس طبيعة الجند ورجال الحرب وأداة القوة والقلم بدوره يعكس طبقة الأدباء والكتاب الذين قل شأنهم في ظل الملك أبو الجيش العامري وباعتبار أن الجند والحراس هم حاشية الملك وعماد الملك فقد نالوا مكانة رفيعة. وفي المقابل تأخرت رتبة الكتاب والأدباء. وقد حاول ابن برد ان يسوي بين أصحاب القوة وأصحاب العلم في مجتمع عرف في تاريخ الاندلس بالتشتت وكثرة الفتن. ولا يعترف الا بلغة السيف والقوة للحفاظ على بقاءه

- كما انه في مقاطع اخرى من المناظرة أعرب عن سخطه من هذا الوضع السائد ومن نظرة اصحاب القوة والسيف للكتاب من أمثاله حين قال على لسان السيف :" أمستعرب والفلس ثمنك.ومستجلب وكل بقعة وطنك؟ جسم عار ودمع بار" ويضيف السيف :" ان الملوك لتتوارثني على النسب ولتغالي في على الحسب"
- وهي كلها دلالات واماسات تحمل في باطنها واقعا اجتماعيا تعانيه الطبقة المثقفة في ذلك العصر.
- وعليه تعد مناظرة ابن برد مرآة عاكسة للواقع المغيش في ظل ملوك الطوائف من صراعات بين رجال السيف الذين ينظرون الى طبقة الكتاب نظرة احتقار وانتقاص وتقليل من الشأن ويرون أنفسهم أحق بالمكم. في حين نرى رجال القلم أنهم أهل لهذه الوظيفة على اعتبار انهم الأساسيين في المجتمع. بما يتمتعون به من ثقافة عالية ورؤية صائبة. وتأثير قوي في توجيه المجتمع.والعمل على ترقيمه واستقراره.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص528
(2)المصدر نفسه. ق1/م1 ص531. 532

المقامة: لقد أنتج الخطاب الادبي العربي عددا كثيرا من النصوص الابداعية والأجناس الأدبية المختلفة. وان كنا لا نستطيع ذكرها في هذا المجال. فانه يمكن التركيز على واحدة منها وهي المقامة وللوقوف على مفهومها يتعين التعرض لها من وجهين:

أ- اللغوي: جاء في لسان العرب المقام: موضع القدمين. والمقام والمقامة وبالضم. الاقامة. والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس (1)

والمقامة: المجلس والسادة ويقال للجماعة من الناس يجتمعون في مجلس (مقامة) كذلك زمقامات الناس مجالسهم) (2) والمقامة بفتح الميم تعني المجلس والجماعة من الناس يقول في هذا القلقشندي: " وهي في أصل اللغة اسم المجلس والجماعة من الناس وسميت الأحدوثة من الكلام لسماعها" (3)

- ولقد عرفت المقامة كمفهوم عند العرب في جاهليتهم حيث كانت تعني عندهم مجلس القبيلة أو مجتمع القبيلة. وقد استعملت الكلمة بالمعنيين (المجلس والجماعة) في ذلك العصر. وذلك من خلال أبيات من الشعر. فنجدها على سبيل النثال عند الشاعر " لبيد بن ربيعة" تعني الجماعة من الناس حيث يقول:

ومقامه غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

- **وقوله:**

ومقـام ضيق فرجتـــه بلســـان وبيـــان وجدل

- ونجدها عند الشاعر " زهير بن ابي سلمى" **بمعنى "السادة:**

وفيهم مقامات حسـان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعـــل

- ثم تطور مفهوم لفظة (مقامة) لأنها تذكر في مجلس واحد: يجتمع فيه الناس لسماعها أما في تاريخ الأدب فان المقامة قصة وجيزة أو حكاية قصيرة مبنية على الكدية) (4)
- وقد تطور مدلول لفظة مقامة ليدل على معنى المحاظرات عند "الجاحظ" وهذا (عندما تحدث عن عبد النور كاتب ابراهيم بن عبد الله ابي الحسن وقد استخفى بالبصرة في عبد قيس خوفا من أمير المؤمنين أبي جعفر وصف عبد النور مجلس القوم فقال: " كانوا يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعراء الشاهد والمثل ومن الخبر الأيام والمقامات" (5)
- وانتقل المفهوم من موضع القيام والجماعة من الناس الى الخطب والأحاديث الشخصية التي تلقى في المجالس (وبذلك أصبحت تعني تلك الخطب الوعظية والأخلاقية التي تلقى أمام الخلفاء. فكتب **ابن قتيبة** فصلا في كتابه " عيون الأخبار" بعنوان مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك " وهذا ما جعل البعض يرجع طفولة هذا الفن الى أحاديث الزهاد والوعاظ وخاصة عند ابن دريد) (6)
- وابتداءا من القرن الرابع الهجري أصبحت لفظة (مقامة) تطلق على لون من ألوان القصص العربي باعتبارها فنا نثريا تتصل مواضيعها بحياة الناس وتصور للمجتمعات شأنها في ذلك شأن الفنون الأدبية الأخرى وفي هذا الشأن يقول:" زكي مبارك" : وأظهر أنواع الأقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو نظرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون" (7)

---

(1)ابن منظور. لسان العرب.دار صادر.بيروت. م12 ط1 1955 ص498
(2)عبد العزيز عتيق. الادب العربي الأندلسي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط2 1976 ص476
(3)القلقشندي. صبح الأعشى. ج14 ص 110
(4)عمر فروخ. المنهاج (في الادب العربي وتاريخه) منشورات المكتبة المصرية ط1 1959 ص238
(5)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص291
(6) مصطفى الزباخ. فنون النثر الأدبي بالأندلس. دار العالمية للطباعة والنشر ط1 1987م 2123
(7) زكي مبارك. النثر الفني في القرن 4ه دار الجيل. بيروت ج1 1975 ص242

غير أن المقامة تميزت من حيث أنها (قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة ينتهي مغزاها الى عبرة أو عظة أو طرفة يرويها شخص واحد خيالي لا يتغير) (1)

- واذا اعتبرنا المقامة فن من فنون القصص العربي تأتي على شكل حكاية قصيرة وقد تطول وترمي الى عبرة وعظات وقد تعكس في بعض جوانبها الظواهر السائدة في المجتمعات آنذاك (فلا بد أن تشتمل كل مقامة على راو يروي عن بطل المقامة. الذي يتصف في معظم المقامات بأنه محتال أفاق ماكر متسول. ولكنه في الوقت نفسه أديب واسع العلم. سريع البديهة. يرتجل الكلام. ويجيد الشعر ويعرف النوادر اللغوية والشوارد اللفظية ويحسن تأليف النكت الأدبية) (2)

- فان للكاتب (شوقي ضيف) رأي في هذا ملخصه " أن المقامة ليست قصة بالمعنى الحديث. ومع ذلك فهي تشمل على عناصر قصصية. لا من حيث الحوار الممتد فيها فقط بل أيضا من حيث مضمونها وتصويرها لعناصر الشر والفساد. غير أن البديع وغيره أرادوا بها تعليم الناشئة والأهم هي الغاية والأسلوب الذي تعرض به الحادثة" (3)

- أما عن مواضيع المقامات فمتنوعة/ منها المواضيع الوعضية والجدلية وقد تعالج مواضيع نحوية ولغوية وفقهية أو فلسفية أما الموضوع الرئيسي والذي قامت عليه المقامة هو موضوع الكدية أو الشحاذة والغاية من فن المقامات هو تعليم النائشة فنون الكتابة والانشاء في أيهى صورة أدبية مثقلة بأنواع البيان والبديع والزخرف اللفظي.

- وقد اختلفت آراء الباحثين في أصل نشأة ها الفن ونعني بها متى أصبحت لفظة " مقامة" تعني فنا نثريا قائما بذاته. له ميزاته وخصائصه؟ منهم من يربط نشأة هذا الفن بأحاديث "ابن دريد" وأول من تعرض لهذه القضية " الحصري" في كتابه " زهر الآداب" فيقول: " ولما راى ابا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب أربعين حديثا وذكر أنه استنبطها من ينلبيع صدره واستنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر في معارض عجمية وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما ظهر تنبو عن قبول الطباع. ولا ترفع له حجمها الاسماع وتوسع فيها اذ حرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة علضا بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفا وتقطر حسنا ولا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وعطف مساجلتها ورق مناقلتها بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندري وجعلهما يتهاديان الدر, ويتنافئان السحر" (4)

- ويرى الكاتب (زكي مبارك) أن منشئ فن المقامات هو " ابن دريد" حين يقول: " ان بديع الزمان عارض بمقاماته أربعين حديثا أنشأها " ابن دريد" والمعارضات دائما كانت في الكمية" (5)

- ومنهم من يرجع نشأة هذا الفن لبديع الزمان الهمذاني فيحدثنا " القلقشندي" عن نشأة المقامة كفن نثري فيقول: " واعلم أن أول من فتح عمل المقامات علامة الدهر وامام الادب البديع الهمذاني (398هـ) فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه. وهي في غاية البلاغة وعلو الرتبة في الصنعة ثم تلاه الامام ابو محمد القاسم الحريري (516هـ) فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية من الحسن وأقيل عليها الخاص والعام" (6)

ومن المؤيدين لهذا الرأي " مارون عبود" والذي أن بديع الزمان منشئ فن المقامة ومخرجها في حلتها الأخيرة من غير أن يتأثر أو يأخذ ممن سبقوه فيقول: " ان خطة المقامات هي من عمل البديع فلا لابن فارس ولا لابن دريد في صنعها . فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشي. وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب لألف عام" (7)

---

(1) عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس مرجع سابق ص477
(2)محمد يونس عبد العال في النثر العربي(قضايا وفنون ونصوص) الشركة المصرية العالمية لونجمان ط1 1996 ص241
(3)شوقي ضيف.المقامة.دار المعارف بمصر 1964 ص 09
(4)الحصري. زهر الاداب وثمر الألباب . مطبعة الرحمانية تحقيق زكي مبارك. ط2 1931 ج1 ص 235
(5) زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع هجري. مصدر سابق ص206
(6)القلقشندي. صبح الاعشى في صناعة الانشا. مصدر سابق ص110
(7) مارون عبود.بديع الزمان الهمذاني. دار المعارف مصر (د ط) 1963 ص34

- وفي منظور (ابن خلكان) أن بديع الزمان له السبق في باب المقامة وقد تأثر به من جاء بعده: " بديع الزمان هو صاحب الرسائل الرائعة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتضى أثره واعترف في خطبته بفضله وأنه هو الذي أرشده الى سلوك هذا المنهج" **(1)**
- ومن الكتاب من كان رأيه مزجا للآراء السابقة محاولا بذلك التوفيق ففي رأيهم أن فكرة انشاء المقامات كانت من ابتكار البديع دون أن ننسى تأثره بغيره ممن سبقه (ومع ان بديع الزمان الهمذاني(ت398هـ) هو ميتكر هذا الفن الذي قدمه في صورته النهائية من حيث الشكل فان ذلك لا ينفي تأثره بمن سبقه) **(2)**

ويذهب في هذا الاتجاه الكاتب (مصطفى الشكعة) فالبداية الأولى لهذا الفن كانت من تعاليم وأحاديث " ابن دريد" والتكملة مانت لبديع الزمان حيث أخرج المقامة في حلتها الأخيرة كفن عربي أصيل له خصائصه فيقول:" ان فكرة انشاء المقامات عند بديع الزمان الهمذاني قد تبلورت في مخيلته نتيجة لأمور كثيرة وفكر متعددة ومنها هيكل الحديث عند ابن دريد. فابن دريد أنشأ الأحاديث للتعاليم فأخذ بديع الزمان الفكرة وهذبها وأدخل عليها الحياة والحركة والمفاجئة وجعلها من أسس فن المقامة" **(3)**

- وعليه يمكننا القول أن المقامة كفن وضع تقاليدها وأسسها بديع الزمان الهمذاني بناءا على أحاديث ابن دريد التعليمية وتبعه في ذلك الحريري وقد تأثر كثير بمقامات بديع الزمان. فمنهم من سار على منواله ونسج على منوالها زمنهم من خرج عن حدود المألوف عن مقامات بديع الزمان الهمذاني واختفت من المقامة الكدية والشخصيات ...
- وكان من رواد هذا الفن –المقامة- في الأندلس وبالتحديد عهد ملوك الطوائف (الوزير أبو حفص عمر بن الشهيد قال عنه(ابن بسام) في كتابه(الذخيرة) :" وأبو حفص هذا في وقتنا كان فارس النظم والنثر وأعجوبة القرن والعصر ونهاية الخبر رقم برود الكلام ونظم عقود النثر والنظام هو ان لم يزر لملك ولم تدر عليه رحى الملك فليس بمتأخر عن طبقات المحسنين ولا بسكيت حلبات الكتاب المجيدين" **(4)**

- ويستهل الكاتب مقامته بالحديث عن صناعة الكتابة من حيث القيمة والفائدة فيقول:" ان صناعة الكتابة محنة من المحن ومهنة من المهن والسعيد من خدمت دولة اقباله والشقي من كانت رأس ماله والعاقل من اذا أخرجها من مثالبه لم يدخلها في مناقبه لاسيما وقد تناولها يد كثير من الشوق وباعوها بيع الخلق فسلبوها تاج بهائها ورداء كبريائها وصيروها صناعة يكاد الكريم لا يعيرها لحظة ولا يفرغ في قالبها لفظة اذ الحظ أن يعثر الكرام اذا ولي الاعلاج وأن تستنعج الآساد اذا استأسدت النعاج. غير أنه من وسم بسمتها وظهر في وسمتها فغير مجهول مكانه وحسب اذا اتفق يوم سرور وطرب. ورغب رغبة كريم أن يؤرخ له بمنثور ومنظوم؟ أقسم لو كان وجه الانسان في صفاقة نعله أو وقاحة حافر بغله . لما وسعه غير الاسعاف على حكم الانصاف والا النصب فيما تسمعه. وربما تستبدعه ولئن مرت بك كلمات محاليات تنظمها سلوك هزليات . فانما هي أوصاف طابقت موصوفاتها...(5)

- ثم يخلص الكاتب الى مقدمة اخرى ليحكي جانبا من جوانب الربيع واخضرار المروج ووصف النباتات والحيوانات فيقول:" فدونكها عذراء. محجلة غراء كما رفع عنها سجف الابداع وأبرزت

---

(1)ابن خلكان. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان. تحقيق احسان عباس دار الثقافة بيروت (د.ط) (دت) ج1 ص54
(2)محمد يونس عبد العال. في النثر الفني. مرجع سابق ص240
(3)مصطفى الشكعة. بديع الزمان الهمذاني. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ط1 . 2003 ص302
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص 670. 671
(5) المصدر السابق ق1/م2 ص675. 676

من كناس الاختراع تنظر بعين الغزال روع وأريس بعدما أطمع نعم.اتفق من الربيع وقت حلول الشمس في الحمل. وقام وزن الزمان واعتدل وأخذ آذار على ما اعتاد . فحلى الوهاد والنجاد وخلع على ظهور المروج ضروب الدبابيج. وأثقل صدور الأشجار بحلي النوار.وأطبى نفوس الأطيار بنضارة الثمار.فبعثت أشجانها ترجع ألحانها فما شئت من رمان تملأ كف العميد. من أمثال النهود تحت القلائد والعقود.وتفتق عن أمثال الجمر.ان وصفت فكالثات الحمر أو ارتشفت فكالرضاب الحصر أو الخمر.ولما انتظمت للزمان هذه المحاسن حنت نفس الفقيه بسيادتها . الى كرم عادتها من الاحسان الى الاتباع" (1)

وهي مقدمة ثانية طويلة (تثقل صاحب الذخيرة فيعمل فيها مقصه وينقلنا الى فصل يضعنا رأسا في مسار لبداية الحقيقة لهذه المقامة) (2)

- ويمكننا تقسيم هذه المقامة الـى مرحلتين على أســاس البطل في كل مرحلة. كما قسمها (ابن بسام) فـي (ذخيرته)

أولا: المرحلة الديكية وبطلها الديك. وتبدأ بوصول الكاتب الى منزل بدوي ذي هيئة وزي يبدو عليه الكرم فيقول :" وصلنا الى منزل بدوي,ذي هيئة وزي

له منزل رحب عريض مزرب   بأعواد بلوط وطوج مفتل

ترى بعر الآرام في عرصـاته   وقيعانه كأنه حــب فلفـل

فهش وبش وكنس منزله ورش وصير عياله الى ناحية وجمع أطفاله في زاوية وجعل يدور كالخذروف أمام الصفوف يتلقى الواحد منا بعد الواحد. يأخذ بركابه ويكشر عن أنيابه ويتمثل:

أخذي كذا بركاب الضيف أنزلــه   ألذ عندي من الاسفنج بالعسل

أو من رغائف كانون ملهوجــــة   أو راتب بقري جيد العــــمل

أو من خوار عجول في مسارحها   أو من ركوب الحمير الفره في الكفل

- ثم مال بنا الى بيت مكنس منوع مجنس قد جلله حصرا بلدية وغشاه بسطا بدوية ومد فيه شرائط وحبالا كأنه يريد أن يخرج خيالا. وعلق منها غلائل وملاءات. وهمايين وسراويلات. وكم شئت من خرق معصفرة وعصائب مزعفرة حتى المقنعة والخمار والدلال المستعار.
- وقد اتخذ في الحائط كوة وثانية وملأها حقاقا وآنية ... فقلت يا صاحب المنزل.هنئت وهنيت لقد أوتيت وجعلت أرقق عن صبوح. وأقول:

- **متى كان الخيام بذي طلوح**

من أين للبداوة بهذا الرونق والطلاوة وكيف حتى أغرت على حانوت العطار ومتى نقل سوق البز الى هذه الديار؟ لقد قرت بك الأعين وسرت الأنفس.هذا زي العروس فأين العروس؟ فضحك البدوي ملء فيه وتوسمت الازدراء فيه. وأنشد:

يا أخي نحن على أنـ   ـــانتاج بـدوي

سادة ناس لنافــــي   هذه الدنيا دوي

عندنا ان جاء ضيف   يشبع جم وري...

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص676

(2) علي بن محمد. النثر الأدبي الأندلسي.دار الغرب الاسلامي. ط1 1990 ج2 ص567

ثم قام من مكانه ودعا بصبيانه وأغراهم بديك له هرم ليذبحه في طاعة الكرم فأجروه لأمهم الهاوية من زاوية الى زاوية حتى سقط الديك سقوط طليح جسما بلا روح. فأقبلوا اليه... وانتفض منهم نفضة. وصعد في بعض الجوائز وحمد الله حمد الفائز وتمثل:

اذا غرقت ببحـــر من الردى فيــاض

فلا يكـن بهـــلاك عليك ظنك قـــاض

فليس في كل وقت سيف المنية ماض (1)

- وراح الديك الهرم يتألق في الافق واقفا موقف الخطيب وقت الظهيرة وصفق بجناحيه بعد أن قضيت صلاة الظهر مذكرا اياهم بفضائله وكيف أنه كان مؤذنهم في الأسحار فيقول: " أيها السادة الملوك. فيكم الشاب متع بالشباب والأشيب نور شيبة مع الكواعب والأتراب وقد صحبتكم مدة وسبحت الله تعالى على رؤوسكم مرارا عدة. أوقضتم بالاسحار. وأأذن بالليل والنهار وقد أحسنت لدجاجكم سفادا. وربيت لكم من الفراريج أعدادا, فالآن حين بلي في خدمتكم تاجي . أنعي الى دجاجي. وتنحي الشفرة على أوداجي؟! وحين أدركني الشيخ يمزق لحمي ويطبخ؟ ياللكرام . من ذل هذا المقام ! وجعلت دموعه تسمح من دمه والحزن يطبق على فمه ثم غشي فاجتمعت البداوة من كل ناحية اليه يضربون وجهه بالماء ويخلصون له في الدعاء. ثم أفاق من غشيته وألشد:

علام يقتل شيخ في كل ذنب بري؟

محقق متـــــحر موحـــــد سني...

لا ذنب لي غير أني مؤذن بدوي (2)

- فرقت له قلوب الحاضرين وأقبلوا على صاحب الدار باللوم لكن البدوي لا يزال مصرا على ذبحه مزينا لحمه. لكن الديك يعترض على ذلك معللا على أن لحمه لا يصلح. لأن الهرم قد دب اليه: (وهنا عاد الديك الى الكلام فأثنى على البدوي سوى محاولة ذبحه وغمز كرمه حين قارن بين هرمات الديوك التي لا يصلح لحمها طعاما وبين لحم الفروج للآكلين) (3) فقال الديك: أما علم أن هرمات الديوك, ليست من مطاعم الملوك...) (4)
- وبهذا تنتهي المرحلة الديكية, لتبدأ المرحلة الديرية.
- ثانيا: المرحلة الديرية: وصف الكاتب من خلالها طول السفر ومتاعبه فيقول:" ولم تزل الجياد تمعج بكماتها والشمس تنتقل في درجاتها.حتى أشرفنا على عين كالدينار, كأنما هندست بالبركان, ذات ماء ريان.....) (5)

ولقد لأطنب في وصف المكان الذي جلسوا فيه للاستراحة وهي قربة من القرى المسيحية وصفها (احسان عباس) بقوله:" دار البطاريق وملعب الكأس والابريق) (6). فوصف الكاتب جمال المكان على ما فيه من فتن واغراءات بقوله:" نباتها غصون قدود.تهتز في أوراق من برود,وتثمر رمانا من نهود. وتفاحا من خدود. وعقارب من أصداغ. وأفاعي من أسورة وعقود.وفيها مدام من رضاب. وسقاة من كواعب أتراب, وغيد لمهوى قرط.وارتجاج تكثيب مرط..." (7)

(1) المصدر السابق ق1/م2ص 679
(2)المصدر السابق ق1/م2ص680
(3)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص310
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص680
(5)المصدر السابق ق1/م2ص681
(6)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص310
(7)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص681

- ثم وصف كيف أن القسيس حلف عليهم أن ينزلوا ضيوفا عنده والاقامة في ديره فبهروا بجمال المكان من غلمان وجواري بقوله:" اذ نظرنا الى أطراد صفوف. من أعطاف خنثة وخصور هيف. وشموس وأقمار على أفلاك جيوب وأزرار لا سيوف الا من مقل ولا درق الا من خجل ولا عارض الا من خلوق ولا صناعة غير تخليق, ولا اسم غير عاشق ومعشوق. فتشفع القسيس بحسن خدودهم وأقسم بنعمة قدودهم. الا أجزلتم المنة وثنيتم الأعنة وتعريجا الينا..." (1)

- وبعد ارتحال الكاتب وموكبه يمرون بكنيسة مهدمة مهجورة فأنشد فيها الكاتب قصيدة يصفها فيها بقوله:

وكنيسة أخذ البلى منها كمـــا أبصرت فيئا في معـــار ينهب
نمت علينا في السفارة نفحـــة من ماء كرم كان فيها يسكب
وكم ابتنى القسيس منها منبرا من جؤذر وبدا عليـــه يخطـب
بئس المصلى ان أردت تعبـــدا فيه ولكن كان نعـم الـمشرب (2)

- ثم يخلص الكاتب الى وصف الصيد والطرد بقوله:" وما زلت أروى هناك بالرائب والميس حتى كاد كياني ينقلب الى كيان التيس. ثم رحلنا وتذكرنا الطراد فمشت الجياد وتواسيت آساد. واستعد بباز وكلاب. فاذا بحر من برك تخرقه سفين من برك. وفي السيور صقور اذا نظرت. وليوث اذا جردت. تنظر من أمثال الدنانير. وتخطف بأشباه المرهفة الذكور. فأرسلناها ارسال السهام الأحداق...) (3)
- ثم يتحدث الكاتب عن لقائه بشاب فار من الحصن له رغبة في اعتناق الاسلام. وهذا أثناء عودة الكاتب فيقول: " اذ تلاقانا شاب كما ذهب غقيق خديه. ونم شاربه بالتذكير عليه. متقلد حسام كأنما طبع من لحظه لا من لفظه...

ذو مقلة شهلاء رومية وذو لسان عربي مبين

قلنا: مالك لا أبا لك؟ فقال: منفلت من السجن...
ومن ذل عبادة الاوثان. الى عز عبادة الرحمان..." (4)
- وبهذا تنتهي مقامة (ابو الحفص) ويبدو من خلال هذه المقاطع أنها موجهة الى الفقيه (ابن الحديد) (وقد وجدنا أن أبا حفص بن الشهيد يتحدث عن فقيه اسمه ابن الحديد وهو الذي يرافق الكاتب في رحلته التي يشرعان فيها... ولم يذكر صاحب المصدر الذي أخذنا هذه المقامة منه اسما لها يميزها به فارتأينا أن نقترح لها واحدا لنتمكن من نعتها به دون الحاجة الى التطويل بذكر كاتبها في كل مرة) (5)
- ويعد (ابو الحفص) أحد الذين مثلوا حركة الابداع في الأندلس بمقامته هذه والتي تمثل خير تمثيل لقصة الرحلة في المقامة الأندلسية.

- ومن المقامات الاندلسية البارزة في هذا العصر مقامة للأديب °ابي محمد بن مالك القرطبي) وهي مقامة طويلة خاطب بها ممدوحه **المعتصم بن صمادح** ملك **المرية** ويدور موضوعها حول المديح طلبا للعطاء وكما يدور حول الحماسة ونظرا لطولها فقد اجتزأ (ابن بسام) فصولا منها وساق بعض فصول منها فنلمح في بدايتها تعبيرا بالفرحة لقيام دولة بني صمادح حيث يقول: " بشرى لنا ولدولتنا الغراء وهنيئا لنا ولحظرته الزهراء فتح تفتحت له أزاهير النجاح وبسر تباشرت له تباشير الفلاح وراء اشرق منه حين الصباح وخبر تضرعت به لوائح الرياح يوم هز له الرمان ثنى عطفه وشمخ عزة بأنفه" (6)

---

(1)المصدر السابق ق1/م2ص682
(2)المصدر السابق ق1/م2ص682
(3)المصدر السابق ق1/م2ص683
(4)المصدر السابق ق1/م2ص684 .685
(5)علي بن محمد. النثر الأدبي الأندلسي. دار الغرب الاسلامي ط1 1990 ج2. ص566
(6)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص741

وفي فصل منها يثني على ابن صمادح ويمدحه بقوله: " فلله يومنا بالأمس ما أجلبه للألطاف الأنس حين طلع علينا من كان طلوعه الذالي الى الأعين من وسنيها وواقع في القلوب من سكنها. طلع طلوع الصباح المتهلل وجاء مجيء العارض المسبل دلفنا اليه كالقطا الأسراب فبهرنا الأمر العجاب أن لا يرجع نافرها. ولا يقع طائرها" (1)

- ثم ينتقل في فصل آخر ليصف يوم معركة قانت قد نشبت بين المعتصم وبين أحد أعدائه فيفصل في وصف جيش ممدوحه وأدواته من سيوف ودروع وخيول... : لا تسمع الا همهمة وصهيلا وقعقعة وصليلا فخلت الأرض تميل ميلا.والجبال تكون كثبا مبهلا. لا تعلم الأصوات تلك الغمائم وضوضاء تلك الهماهم ومن وهواه صهيلا ودرداب طبول أزئير ليوث بأجام أم قعقعة رعد في ازدحام غمام؟ فتزاحم في الأفق الهميم والهديد وتلاطم في الجو النئيم والوئيد فكادت الدنيا بنا تميد . لا تبصر غير ململة جأواه وموارة شهباء قد ضعضعت التلال ودكدكت القلال" (2)
- ثم يصف ظهور بني صمادح ويتابع في مدحه له من تميز في الرأي وبالبأس والشجاعة والاقدام فيقول:" حتى لاح لنا من ملك الأملاك وثالث القمرين في الأحلاك وجه جلا هبوة ذلك العثير والعجاج الأكبر.." (3)
- بعدها يتحدث عن فوز ممدوحه وهزيمة واستسلام العدو فيقول: " فرمى بيد صاغرا الى السلم ثقة بعفو كظل المزنة الممدود وكرم كشط على اللجة المورود.فلولا حلم كالجبال رصين.وجود كالسحاب هتون لبادوا خلال تلك الديار كما بادت جديس في وبار.ونغلت تلم المنازل نغل الجلد ومحت وشائع من برد" (4)
- ثم يعود ليثني على ممدوحه ويذكر كرمه ومدى سعة قلبه وكرمه فيقول: " ثالث القمرين وسراج الخافقين وعماد التقلين المعتصم بالله أو الرئاستين... وما رأيت وجها أسمح ولا حلما أرجح ولا سجية أسجع.ولا بشرا أبدى ولا كفا أندى ولا غرة أخمل ولا صلة أكمل..." (5)
- وفي الأخير يعتذر الكاتب عن عدم اشتراكه في المعركة وذلك لحاجة أهله وأطفاله الفقراء اليه حين يقول :" يا لهفتي ألا تكون معونتي له الا باللسان دون السنان. أطاعن أمامه دركا وأزاحم قدامه الأقران لكاكا. ولولا أفرخ كزغب القطا يدبون في فائلة عندي دبيب الكوى فيستشفون علالتي ويستنزفون بلاتي لامتطيت من جدواه السابح اليعبوب وتقلدت من نداة الصارم الرســوب" (6)
- وبهذا ينهي (ابن مالك القرطبي) مقامته ولقد أطنب فيها وعبر عنها (ابن بسام) بقوله:" ومد ابن مالك في رسالته هذه أطناب الأطفاب وشن الغارة فيها على عدة شعراء وكتاب من جاهلين ومخضرمين ومحدثين ولو ذكرت من أين استلب واختطف جميع ما وصف وانصرف الى كل أحد كلامه نثره ونظامه لحصل هو ساكتا وبقي باهتا" (7)
- وتعد هذه المقامة مزيجا بين المدح والحماسة فقد بدأ مقامته بمدح ملك المرية (المعتصم بن صمادح) والثناء عليه ووصف حروبه والتغني بانتصاراته وذها ما نجده في الشعر وحين يقول: " فاني أنبئه ولا أنبئ الا حقا. وأخبره ولا أخبر الا صدقا أما الأفئدة من بعده فمفؤودة . وأما الأكباد لبعده فمكبودة. والدهر من بعده ليلة ليلاء" (8)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص742
(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص742
(3)المصدر السابق ق1/م2ص743
(4)المصدر السابق ق1/م2ص747
(5)المصدر السابق ق1/م2ص750
(6)المصدر السابق ق1/م2ص751
(7)المصدر السابق ق1/م2ص752
(8)المصدر السابق ق1/م2ص741

- والغرض من كل هذا استجداء الأمير واثارة عطفه والتقرب منه, وهذه سمة الكتاب في عصر ملوك الطوائف من التنافس في مدح الملوك والدنو منهم والتقرب من بلاطاتهم.

- وتعد مقامة ابو المطرف عبد الرحمن بن فتوح أحد المقامات الأندلسية التي ظهرت في هذا العصر. وهي مقامة نقدية بطلها (ابن فتوح) الكاتب نفسه وليس بطل خيالي (يدور موضوعها حول ذكر الاندلس وشعرائها ويعرض الكاتب آرائه النقدية غير المبنية على اسس سليمة. فيذهب الى أن أعذبهم لفظا وأرجحهم وزنا هو أبو حفص بن برد وان أبا عامر بن شهيد هو البحر العجاج والسراج الوهاج وأن أنظمهم الأخبار وأبرعهم هو أبو الوليد بن زيدون وأن أشغفهم بالبديع هو أبو بكر ابراهيم بن يحيى الطبني) (1)

- وخلاصة هذه المقامة (أن ابن فتوح كان ليلة في رمضان يطوف بالمسجد الجامع بالمرية 430هـ وهو يردد بيتا فسمعه فتا حسن المنظر فسلم عليه واستحلفه اعادة ما قاله فأعاده ثم قال له أنت أخذته من العباس بن الأحنف ثم سأله عن سبب ترديده البيت. فأخبره أن ذلك كان لفراق حبيب. فولى الفتى " وقد غرس في كبده ثمرة وده" وعاد ابن فتوح الى بيته وذكرى ذلك اللقاء لا تزايله وفي الفجر جاء الفتى وكان اليوم ماطرا فلم يجد خمرا ليقطعا بها يومهما فتسليا يتذكرا شعراء بلدهم وأدباءه وهنا كان الفتى هو السائل وابن فتوح المجاوب فوضح رأيه في ابن برد وابن شهيد وابن زيدون وأبي بكر الطبني" (2)

- يقول ابن فتوح :" كنت ليلة في رمضان أطوف بالمسجد الجامع بالمرية سنة ثلاثين واذا فتى حسن المنظر. فسلم علي سلاما ارتاحت له نفسي وانشرح له صدري فرددت عليه رد من توسم فيه سمة الفهم فقال لي: بحرمة الأدب الا ما أعدت علي البيت فأعدته وأنشدت سائر الأبيات فقال: " الشعر< لك؟ قلت: أجل > ثم قال لي: انما أخذته من قول العباس بن الأحنف:

وأحســـن أيــم الهوى يومـــك الذي ⁂ تروع بالهجران فيـه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخـط ولا رضى ⁂ فأين حلاوات الرسائل والكتب

فقال: وريت بك زنادي فأخبرني عن السبب الموجب لترديدك البيت، قلت له: منيت بخل مولع بالخلاف مائل الى قلة الانصاف ان لاينته غضب. وان استعتبته عتب، ةقد علم الله شفقة نفسي لفرقته.

فقال : قلب الله لك قلبه وجنبك عتبه ثم ولى عني وقد غرس في كبدي ثمرة وده. فبت الليلة مستأنسا بخياله جذلان بوصاله حتى رأيت غرة الفجر تلمع في كفل الدجى فخلته بحرا تسرب فيه جدول. أو عجاجا سل من تحته منصل فقمت ثابتا على قصده.فلم أثبت أن سمعته ينشد ويطلب منزلي. فقرع الباب وأذنت له فدخل فرحبت به وقمت اليه وأقبلت عليه. فقال لي: يا ابن الكرام ان هذا يوم قد بكى ماء غيمه.ونبض عرق برقه وخفق قلب رعده واغروقت مقلة أفقه. ونحن لا نجد الخمر فبم نقطع تأويبه؟ فقلت: الرأي الى سيدي أبقاه الله فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرك ووقوفك على شعراء عصرك؟ قلت: خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظا وأرجحهم وزنا: قلت: الرقيق حاشية الظرف الأنيق ديباجة اللطف أبو حفص بن برد. قال: فمن أقواهم استعارات وأصحهم تشبيهات؟ قلت: البحر العجاج والسراج الوهاج أبو عامر بن شهيد. فقال: فمن أذكرهم للأشعار وأنظمهم للأخبار؟ قلت: الحلو الظريف البارع اللطيف. أبو الوليد بن زيدون قال: فمن اكلفهم لالبديع وأشغفهم بالتقسيم والتتبيع؟ . قلت الرائع في روضة الحسب. المستطيل بمرجه الادب أبو بكر ابراهيم بن يحيى الطبني. فأنشد:

- **وخاطب قسا في عكاظ محاورا ۞ على البعد سحبان فأفحمه قس** (3)

---

(1)يوسف الطويل.مدخل الى الأدب الأندلسي. دار الفكر اللبناني بيروت ط1 1991 ص232

(2)إحسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) دار الثقافة نشر وتوزيع.بيروت.لبنان.ط1 1962 ص

(3)المصدر السابق ق1/م2ص786. 787

الفصل الثانــى

1- الرســـائل:

1. البناء الفنـــــي للرســالة
2. النظام اللغـــوي للرسـالة
3. النظام البلاغــــي للرسـالة
4. النظام الموسيقــي للرسـالة

2- المناظرات:

1. البناء الفـــني للمناظـــرات
2. البناء اللغـوي للمناظـــرات
3. النظام البلاغــي للمناظـــرات
4. النظام الموسيقي للمناظـــرات

3- المقامـــات:

البناء الفنـــــي للمقامـــات:

السـرد

الحـوار

المشاهد الوصفية

الطابع الخيالــي

1- الرسائل

1– 1- البناء الفني للرسائل

تعد الرسالة بنية نصية مغايرة للنصوص الأخرى ومنظومة شخصية يكون المرسل اليه غائبا فيها. كما يكــون الخطاب فيها كتابيا أو شفهيا ولمحاولة دراسة بنائها الفني يتعين علينا معرفة هيكلها الخارجي وما يضمه من مقدمة أو التمهيد وخاتمة.

-هيكل الرسالة الخارجــي:

أ- مقدمة الرسالة:

اذا أردنا أن ندرس بنية الرسائل الأندلسية في عهد ملوك الطوائف، فاننا نلاحظ أن قالبيتها تنتفي منها الخطوات التمهيدية المعروفة في الرسائل المشرقية. فلا نجند الافتتاحية متضمنة العنوان والبسملة والتحميد. والسبب في ذلك قد يعود الى الذين عنوا بجمع التراث الأدبي ويؤرخون له ويجمعون هذه النصوص فيكتفون باختصارات فيما ينقلونه. قد تمس الموضوع وحذف الفقرات التمهيدية فيها وعدم ايراد الرسائل كاملة. ويمكننا أن نرد ذلك الى رغبة الكتاب الأندلسيين في اثبات الذات الأندلسية وذلك من خلال مخالفتهم للكتابة المشرقية. ومن ثم عرفت رسائلهم أشكالا مختلفــــة (عما ألفناه في الرسائل المشرقية التي تبدأ في الغالب بالبسملة والتحميد والصلاة على الرسول الكريم) (1)

- فقد تفتتح الرسائل في هذا العهد بأسلوب النداء وبه يستحضر المرسل المرسل اليه ويجلب انتباهه. فيكون الخطاب وكأنه آني. وقد يكون الغرض منه التعظيم والتقدير ومثاله ما نجده في رسالة **عامر بن التاكرني** قوله: " يا سيدي، وأجل عددي، وذخيرة الأيام عندي..." (2) في مخاطبته للوزير (أبو جعفر بن عباس)

- ومنها أيضا قوله) ابي عمر بن الباجي) :" سيدي، ومن أبقاه الله للكرم يتبوأ سطته. والشرف يدرع بردته. والنعر يلبس سرباله. والفخر يسحب أذياله..." (3) والغرض منه التعظيم والاجلال.

وهذه الظاهرة- مناداة المخاطب- شائعة في الرسائل الأندلسية وبخاصة ما كان منها موجها الى الأمراء والملوك والوزراء, وهو من قبيل المجاملات السياسية.

- كما قد تفتتح الرسائل الأندلسية بالسلام وهذا ما جاء في رسالة (أبو محمد بن عبدون) يعاتب فيها بعض أصدقائه حيث يقول: " سلام على من نظر بقلبه لا بعينه. وحكم بيقينه لا بظنه. ونطق بعقله لا بهواه.." (4)

---

(1)فايز عبد النبي فلاح القيسي.أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. دار النشر للنشر والتوزيع ط1 1989 ص315
(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص669
(3)المصدر السابق ق2/م1ص191
(4)المصدر السابق ق2/م2ص 680

- ومن الرسائل التي افتتحت بأسلوب النداء تلك الرسائل التي جرت بين (ابن عبدون) والوزير (ابو القاسم بن الجد) حين يقول:" يا راية المجد رفعت فان تلقيتها باليمين وأعطيتها الثناء الثمين شددت عليها يد الضنين" (1) وقوله :" يا أعظم من لو سرت بأنواره لاهتديت,وأفخم من لو اقتديت بآثاره اكتفيت,ومن ابقاه لفخر آباءه بفضله الا من بنيه..." (2)

- ومنه ما جاء في رسالة (ابن الدباغ) حيث يقول:" يا سيدي... يومنا يوم تجهم محياه,ودمعت عيناه,وبرقعت شمسه الغيوم..." (3)

-ومن ذلك قول أحدهم:" كتابي يا سيدي,وأجل عددي, كتب الله لك السلامة ووهب لك الكرامة" (4)

- وفي قول(ابن زيدون) :" يا مولاي وسيدي.الذي ودادي له واعقدادي به واعتمادي عليه..." (5)

- وقد تبدأ الرسائل الاندلسية بما تحمله العبارات من معاني التعظيم والاجلال ومن ذلك قول (ابن زيدون) (للمعتضد بن عباد):" أطال الله بقاء الحاجب فخر الدولة. مولاي وسيدي ومولى المناقب الجليلة والضرائب النفيسة في أكمل ما تكفل به من علو القدر ونفاذ في الأمر وخصـــه من النعم بأصبغها سربالا..." (6)

- وكما كتب (ابو محمد بن عبد البر) الى (ابي المطرف بن الدباغ) رسالة يبدأها بقوله:" لأنك المنتهى الذي اليه تجري.وتبتغي لديه الزلفى ويتوصل به الى العليا. وأنا ممن يتشيع فيك تشرعا طبعا لا طمــعا..." (7)

- ومما جاء في رسالة (ابن عبد البر) عن (علي بن مجاهد العامري) الى (ابن ابي عامر) يعزيه فيها. فيقول:" لو استغنى- أعزك الله بالبصر وأيدك بالنصر-أحد عن التعزية, واكتفي مصاب عن التسلية لأصالة رأي وسعة علم.وجلالة قدر.وجزالة نفس وشدة كظم لكنت انت الغني عن ذلك... " (8)

- وكذلك الرسالة التي كتبها (ابن طاهر) الى (ابي بكر بن عبد العزيز) يقول في مستهلها:" ومن ذا الذي يضاهيك.الى النجم مراميك فشأوك لا يدرك وشعبك لا يسلك..." (9)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق2/م2ص 670
(2)المصدر السابق ق2/م2ص 676
(3)المصدر السابق ق3/م1ص304
(4)المصدر السابق ق1/م2ص636
(5)المصدر السابق.ق1/م1 ص340
(6)المصدر السابق.ق1/م1 ص404
(7)المصدر السابق ق3/م1ص316
(8)المصدر السابق ق3/م1ص221. 222
(9)عبد الملك الأنصاري المراكسي.الذيل والتكملة.تحقيق.احسان عباس.دار الثقافة.بيروت 1965 ج5 ص592

- وعلى نحو ما جاء في رسالة (لابن البر) في الشفاعة حيث يقول:" من حكم شيمك-أيدك الله- الحالية وديدان هممك العالية أن توجب للراغب. وتنعم قبل عزيمة الطالب. وتسعف من غير شفاعة ولا مسألة وتلتزم الحق من غير ذمام ولا صلة... " (1)

- وافتتاح الرسائل الأندلسية بهذه الصيغ ظاهرة شائعة لدى الكتاب الأندلسيين من كثرة الاطراء ومدح الملوك والثناء عليهم. وهذا يدخل في اطار المجاملات السياسية. وهي تنم عن قدرتهم في مجال الكتابة من بلاغة في التشبيه وروعة في التصوير وحسن اعتبار العبارة. وفي هذا المجال أخذ الكتاب الأندلسيون في التنافس في مدح الملوك والتقرب منهم والدنو من بلاطاتهم بغية الوصول الى غايات وطموحات شخصية.

- وقد تفتتح الرسائل الأندلسية بأبيات شعرية وهذا قليلق في عذه ملوك الطوائف. ومثاله ما نجده فيما كتبه (أبو القاسم بن الجد) في رسالة الى الوزير (ابي القاسم الأهوزني) يعزيه في موت أخيه حيث يبدأها بأبيات من الشعر.فيقول:

لا بد من فقد ومن فاقـــد   هيهات ما في الناس من خالد

كن المعزى لا المعـزى به   ان كان لا بـد مـن الواحـد (2)

- وافتتاح الكاتب رسالته بأبيات من الشعر محاولة منه لاثبات قدرته في مجال الكتابة وسعة اطلاعه ووفره مخزونه الثقافي وحسن مزجه بين النثر والشعر من قبيل التنويع.

- كما تفتتح بعض الرسائل بحكمة وهذا ما جاء في رسالة (ابن الطاهر) حيث يقول في بدايتها:" الدنيا- أعزك الله- لبيس بدار قدار.والمرء فيها على شفا جرف هار.وانما هي جسر على الطريق. وعدو في ثياب صديق" (3)

- وتوظيف مثل هذه البدايات ينم عن تمكن الكاتب واطلاعه على الموروث الأدبي

- وأيضا قد تفتتح بألفاظ تدل على الجواب أو الوصول (وصل. ورد . وافى...) منها ما ورد في رسـالة الأمير (أبو عبد الرحمن بن طاهر) في قوله:" وافى كتابك الكريم رائدا في جناب التسلية..." (4)

- وفي قول (ابي محمد بن البر) :" ورد كتابك فلحظت منه فجر البيان وشجر الاحسان وثمار البديع المزرية..." (5)

وفي قول أحدهم:" ورد كتابك الأثير.المقابل بين النثر البليغ والنظم البديع.تصرفت فيهما تصرف من اذا حاكى الكلام طرز..." (6)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص210
(2)المصدر السابق ق /م ص
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص 84
(4)المصدر السابق ق3/م1ص451
(5)المصدر السابق ق3/م1ص206 207
(6)المصدر السابق ق1/م2ص118

- وكذلك في قول القائل:" وصل الي- وصل الله اعتلاءك وأثل مجدك وسنائك- خطابك الكريم نظما ونثرا..." (1)

- ومنها ما يدل على الوصول:" ورد كتابك فرفع مغضوض نواظري وحرك سكون خواطري وأقام عاثر همتي" (2)

- ومنها :" ورد كتابك ففضضت ختمه عن رياض تفتحت عن أزاهر كلمك ومشرت طيه عن جواهــــر حكمك..." (3)

- وأيضا:" ورد كتابك الكريم يعرب عن ود لا تكذب فيه صفاته وعهد لا تقــــرع صفاته" (4)

- ومنها:" وردني لك كتاب لطيف الحجم خلته للطفه سحـــــاءة وتوهمته مـــن خفته هباءة" (5)

- ومن الصيغ ما يأتي على هذا النحو:" أنهي الى من تقليدك العهد وامضاءك العقد الناصر. سيدي وأسني عددي..." (6)

- وللرسائل الأندلسية في هذا العصر أساليب أخرى تفتتح بها وذلك ألفاظ مثل:(كتبت. كتابي. اني. أنا. وافتني...)

. ومثاله :" اني-أعزك الله- وان كان الدهر وضعي ورفعك وضاق عني ووسعك..." (7)

-ومنها ما نجده في رسالة (أبو عمر التاكرني) حين يقول:" كتبت عن نفس تفيض بمائها وتجيش بدمائها" (8)

-وما كتبه (أبو عمر بن الباجي):" كتابي عن نفس مستطارة بلوعتها.وكبد مذابة بروعتها.." (9)

وفي رسالة (ابن مجاهد) على لسان(ابن الأرقم) :" وافتني-أيدك الله- مساهمتك الكريمة. ومشاركتك السليمة الصادرة عن الصدر السليم..." (10)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م2ص118
(2)المصدر نفسه ق3/م1ص297
(3)المصدر نفسه ق3/م1ص213
(4)المصدر نفسه ق3/م1ص93
(5)المصدر نفسه ق3/م1ص306
(6)المصدر نفسه ق3/م1ص216
(7)المصدر نفسه ق2/م2ص729
(8)المصدر نفسه ق3/م1ص229
(9)المصدر نفسه ق3/م1ص190
(10)المصدر نفسه.ق3/م1 ص150

- - وفي رسالة (لأبي القاسم بن الجد) يقول في بدايتها:" كتبت ولسان القلم يتلعثم. وقدم الكلم يتأخر أكثر مما يتقدم..." (1)

- وفي رسالة (لأبي القاسم بن الجد) قوله:" كتبت وقد هزني وافد البشرى . واستخفني رائد المسرة..." (2)

وهي كلها ألفاظ تدل على الوصول وكل رسالة لها أثرها في متلقيها.

- ومن الرسائل الأندلسية ما يخلو من المقدمات فيكون بذلك الولوج في الموضوع مباشرة. من ذلك قول (ابن خفاجة) في احدى رسائله يوجهها الى صديق له.فيقول:" ان النبيذ بساط موضوعه الراحة والانبساط قلما يطيب رضاع الكأس الا مع الصديق الشقيق..." (3)

- ومن الرسائل الخالية من التقديم رسائل الاستغاثة الموجهة منها الى (يوسف بن تاشفين) حيث جاءت بدايتها على هذا النحو:" لما كان نور الهدى-أيدك الله- دليلك وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الصلاح معالمك.ووقفت على الجهاد عزائمك.وصح العلم بأنك لدعوة الاسلام أعز ناصر..." (4)

- وقد يرجع خلو بعض الرسائل الاندلسية من صيغ المقدمات التي رأيناها الى مقتضى الحال وما يقتضيه الاهتمام بالموضوع الرئيسي على حساب الفواتح وما استدعته الظروف المحيطة بها الخطاب الأدبي والجو العام الذي انتج فيه والغاية المرجوة من كتابته فمن ذلك الرسائل الحاملة لمعاني الاستغاثة والاستنجاد وطلب العون من مدن خارج الأندلس وهذا في عهد ملوك الطوائف أين تفاقمت الأوضاع وتزايد النزوح الصليبي وكثرة الفتن بين أبناء الوطن الواحد.

ب- خاتمة الرسالة: ومن الملاحظ على خواتم الرسائل الأندلسية في هذا العصر أنها جاءت على شكل أدعية أو اقراء سلام وقد يعود هذا الى الأثر الايجابي الذي يتركه الدعاء في نفسية المتلقى من دعاء له بطول البقاء ودوام الصحة...ومحاولة الكاتب استمالة المتلقي ونيل رضاه.

ومثاله قول (ابن زيدون) في رسالته الجدية:" ... والله مبشرك من اطلابي بهذه الطلبة. واشكائي من هذه الشكزى بصنيعة تصب منها مكان المصنع... فهب ذنبا لحرمه. واشفع نعمة بنعمه. لتأتي الاحسان من جهاته. وتلك الى الفضل من طرقاته ان شاء الله" (5)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق2/م1ص296
(2)المصدر السابق ق2/م1ص288
(3)المصدر السابق ق3/م2ص546
(4)المصدر السابق ق2/م2ص758
(5)المصدر السابق ق/م ص

ومن الخواتم ما جاء اقراء سلام. ومثاله قول أحدهم:" ...وأقرئك سلاما كودي كريما وكندي المسك شميما. وان مننت بابلاغه اخواني باخائك" **(1)**

- وقد تختتم الرسائل بالمدح الذاتي الموجه الى المرسل اليه كما هو معروف في قصائد الشعر ومثاله قول(أبو جعفر بن عباس) في رسالة بعث بها الى (أبي الحزم) يقول في ختامها:" ... فانك امام وأنا مأموم. وأنت حاضر وأنا معدوم. وأنا قف وأنت نهر. وأنا جدول وأنت بحر" **(2)**

- وفي قول أحدهم:" ... فدونكها قد حبر الحبر تطريزها . واليكها قد خلص الفكر ابريزها...يخال مدادها من بهيم الليل صنع. ويحسب رقها من أديم الصبح قطع أرسلناها كافورةبمسك موسومة.وأهديناها درة بياقوت مختومة" **(3)**

- كما تختك الرسائل بأبيات من الشعر كما رأينا أنها قد تفتتح بها. ومثاله ما جاء في رسالة(ابي القاسم بن الجد) الى (ابن القصيرة) يقول في ختامها:"

هو الدهر لا يفتأ يمر ويحلو لي   سبيان عندي مـا يجدو مـا يبلي

اذا أشكلت يومـا عليه ملمـه   فمن ظهر قلبي ما يجدوه وما يبلي

ودونك من روضة السلام تحيـة   تنسيك غض الورد فـي راحة الطل **(4)**

وهذا النوع من الختم ينم عن قدرة الكاتب بين المزج بين الشعر والنثر وسعة اطلاعه ومدى تذوقه لفن الشعر فمعظم الكتاب الأندلسيين شعراء كابن زيدون وابن خفاجة وغيرهم.

- واذا عدنا الى ورود الدعاء في الرسائل الأندلسية فاتنا نلحظ له صورا متنوعة ووجودها مختلفة. فمن صوره:

1- **<u>وروده في مكان المقدمة</u>**: ويأتي الافتتاح به مباشرة ومثاله ما جاء في قول أحدهم:" أفاز الله يا سيدي الأعلى قدحك، وجعل لمرضاتك كدحك وسدد الى أغراض الصواب سهامك. وأورد على حياض السحاب أعلامك" **(5)**

- وما جاء في رسالة لأحد وزراء طليطلة في مدح (الأمير المأمون بن ذي النون) يقول فيها:" أطال الله بقاء سيدي.وجعل درج المعالي مستقرة تحت قدمه وسرج المساعي مسفرة عن بوارق هممه" **(6)**

---

(1)المصدر السابق ق2/م2ص758

(2)المصدر السابق ق1/م2ص655

(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص 439

(4)المصدر السابق ق3/م1ص84

(5)المصدر السابق ق1/م2ص635

(6)المصدر السابق ق3/م1ص410

2- ورود الدعاء على شكل جمل اعتراضية: وهذه الصورة تقوم عليها معظم الرسائل الأندلسية دون استثناء خاصة ما كان في العزاء والرثاء والمدح. ويأتي على هذه الصيغ: (أبقاك الله- أعزك الله- أيدك الله- أطال الله بقاءك- أدام الله اعزازك...)

- ومن الرسائل التي جاء فيها الدعاء على هذا النحو رسالة(المؤتمن بن هود) الى الوزير (ابي بكر بن عبد العزيز) جاء فيها: " قد تتابع عنك- أعزك الله- أحسن الحديث المذيع لخفايا سروك وسرائره. المعرب عن سجايا سنائك" (1)

- وما ورد في رسالة (ابي المغيرة بن حزم) قوله:" أعزك الله- في الاحتماء حسم الداء, ولا عدو للانسان الا نفسه فالاحتراس كل الاحتراس. والمعاشرة الجميلة للناس" (2)

- وكذلك في رسالة (أبي محمد بن عبد البر) يقول فيها:" تلزمني- أيدك الله مولاي- علائق,لو وقف منها على السير لتجلى له وجه العذر" (3)

- ومنها ما كتبه(أبو الفضل بن حسداي) (للمستعين بن هود) جا فيها:" الدهر- أيدك الله مولاي- منتقل منقلب. والدنيا دول وعقب. ومقام القطان في الأوطان كمقام الأرواح في الأبدان" (4)

- وفي رسالة(ابن خفاجة) قوله:" بدء كون التمر- أعزك الله- وأول متوع الضحى نجوه. وانما تنسى الأشياء على تدريج وترتيب..." (5)

- وفي التهنئة ما ورد في رسالة (أبي القاسم بن الجد) قوله: " قد تجيء-أعزك الله- من شجر المساءة ثمر المسرة ويجتلى وجه المحبوب غب المكروه مشرف الأسرة..." (6)

- وفي التعزية نورد رسالة(ابن طاهر) والتي يقول في بدايتها :" الدنيا- صرف الله صروفها- على الفجائع مبنية وان الحازم من وطن لأحداثها وأيقن بانتكاثها فأوسعها صدرا رحيبا. وصليبا والدمع محدور. وقد صم قضاء ونفذ مقدور بوفاة الولد الطيب المبارك أبي عبد الله ابننا وقرة أعيننا..." (7)

- وكذلك رسالة (ابن الباجي) في التعزية جاء فيها:" فأبى لسان-أيدك الله- أخاطبك مذكرا. أو بأي مقال ألاطفك مبصرا . وقد أذهلني فجأة الخطب وتركتني طائر القلب واللب..." (8)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م1ص39
(2)المصدر نفسه ق1/م1ص153
(3)المصدر نفسه ق3/م1ص212
(4)المصدر نفسه ق3/م1ص461
(5)المصدر نفسه.ق3/م2 ص55
(6)المصدر نفسه ق2/م1ص291
(7)المصدر نفسه ق3/م2ص 78. 79
(8)المصدر نفسه ق2/م1ص190

- وفي رسالة أخرى (لأبي محمد بن عبد البر) عن (علي بن مجاهد العامري) الى (أبي عامر) يعزيه لوفاة ابنه. فيقول:" لو استغنى- أعزك الله بالبصر أيدك بالنصر- أحد عن التعزية وأكتفى مصاب عن التسلية لأصالة رأي وسعه علم وجلالة قدر. وجزالة نفس. وشدة كظم لكنت أنت الغني عن ذلك..." (1) والأمثلة كثيرة في هذا المجال.

3- ورود الدعاء حسب الأغراض المطروحة من خير وشر: وفيه تراعي منزلة المخاطب.ومثال ما جاء فيه الدعاء بالخير رسالة(ابن زيدون) (للمعتضد بن عباد) يقول فيها:" أطال الله بقاء الحاجب. فخر الدولة. مولاي وسيدي ومولى المناقب الجليلة..." (2)

ومنها قول (أبو محمد بن عبد البر) :" أطال الله بقاء الأمير الأوحد الخطير الأمجد مسرورا بسمو الأحوال والرتب معصوما من طوارق الأحداث والنوب" (3)

- وما جاء في هذه الرسالة: " وقد دعوت الله أن يبرئه ويرعاه في تقلبه وأنت بمجدك تؤمن على الدعاء وتبتدر هذا العلق بالاحتواء وتلزمه من مهرة الأطباء" (4)

- وفي قول أحدهم:" أطال الله بقاء سيدي وجعل درج المعالي مستقرة تحت قدمه وسرج المساعي مسفرة على بوارق هممه وضامئات الأماني روية من لعاب سق قلمه" (5)

- ومن الأدعية التي جاءت بالشر ما جاء في هذه الرسالة : " وان فلانا جارنا-لأجاره الله من ريب الزمان ولا صرف عنه صروف الحدثاء-يأبى الله أن يراه حائدا عن فساد وعائدا الى رشاد" (6)

وفي رسالة كتبت الى قواد البلاد على لسان (المعتمد بن عباد) جاء فيها:" الحال مع العدو قسمه الله بينة لا تحتاج الى جلاء ولا كشف. معروفة لا تفتقر الى نعت ولا وصف ومن لا يمكن مقاواته ومخاشنته فليس الا بمداراته وملاينته وكان- فل الله حده وفض جنده- قد اعتقد الخروج في هذا العام..." (7)

- والدعاء مجملا يأتي مختصرا ليفي بالغرض . مناسبا له

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م2ص222
(2)المصدر السابق ق1/م1ص405
(3)المصدر السابق ق3/م1ص217
(4)المصدر السابق ق3/م1ص60
(5)المصدر السابق ق3/م1ص410
(6)المصدر السابق ق2/م1ص282
(7)احسان عباس.تاريخ الأدب الأندلسي(عصر ملوك الطوائف والمرابطين) مرجع سابق ص 40

ج- تاريخ الرسالة: وهي احدى الطرق التي يصل بها الكاتب الى مراسلة الطرف الآخر. وذلك من خلال تحديد تاريخ كتابة الرسالة.ومثاله ما ورد في هذه الرسالة: " كتبت صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب.وقد أعز الله الدين وأظهر المسلمين..." **(1)**

ومن ذلك ذكر الشهر:" كنت منتصف الشهر المبارك وقد وافى بدخول بلنسية-جبرها الله- الفتح بعدما خامرها القبح..." **(2)**

- أما عن ذكر المكان الذي تكتب منه الرسالة فان الأندلسيين في هذا العهد لم يول اهتماما به مع أن هذا التحديد الزماني يعد من الوثائق الهامة في تاريخ أدب الرسائل. وهذا قليل في هذا العهد الا ما جاء عفوا. ومثاله ما ورد في هذه الرسالة:" كتابي من قرطبة وقد وردتها بحمد الله على رحب وسعة وأخلدت منها الى سكون ودعة..." **(3)**

- وفي رسالة أخرى :" كتابي... من وادي الزيتون ونحن فيه محتلوه ببقعة اكتست من السندس الأخضر وتحلت بأنواع الزهر" **(4)**

- وهذا القليل النادر يعود ربما الى كون المصادر الأدبية قد نقلت فصولا من هذه الرسائل بعيدا عن سياقها كما قد يقع البتر في أحد الأحيان فالغرض هو معرفة مدى ابداع الأندلسيين في مجال الكتابة الانشائية.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق2/م1ص241

(2)المصدر السابق ق3/م1ص101

(3)المصدر السابق ق3/م1ص293

(4)المصدر السابق ق3/م1ص282

2- البناء اللغوي للرسائل:

أ- المعجم اللغوي: جاءت لغة الرسائل الديوانية والاخوانية في عهد ملوك الطوائف عاكسة لما يجري في الساحة السياسية والاجتماعية للمجتمع الأندلسي لما حملته من دلالات. وقد تفاوت الأدباء في هذا العصر في اختيارهم للألفاظ وكيفية التعامل معها. وعليه يمكننا تقسيم لغة هذا العصر حسب الألفاظ الكثيرة الشيوع. ونجملها في:

- ألفاظ الاستعطاف والتوسل والاستشفاع: نجد الكتاب الأندلسيين يتفاوتون في التعبير عن توسلهم للحكام ومحاولة استعطافهم وكسب رضاهم واستدار الرحمة للصفح عنهم. واثرائهم بألوان المدح والثناء الذي من خلاله يستطيعوا أن يصلوا الى غرضهم والغاية من رسائلهم.

ويمكننا أن نجمل هذه الألفاظ في: (الشفاعة- المثول- الفضل- المهابة- الحضرة- السيادة- المجد- السعادة- الايثار- الانعام-الكرم- الجلال- العظمة- الغبيث-الروض- الوفاء- الحماية- الصفح-العذر-السماحة-العطف- العفو- الاعتلاء- مولاي- السلطان- الأمير- الحاجب- السيد...)

والمعجم اللغوي واسع بالمفردات الحاملة لمعاني الاستعطاف والشفاعة والتوسل التي توجه الى الأمراء والملوك والوزراء والشفاعة فيها تكون للكاتب نفسه وهـذا ما نجده في رسالة **ابن زيدون** (الجدية) والتي يستعطف فيها **ابن جهور** ويطلب عونه حيث يقول:" ان سلبتني-أعزك الله- لباس أنعامك... وغضضت عني طرف حمايتك بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك. وسمع الأصم ثنائي عليك... وليت شعري ما للذنب الذي أذنبت ولم يسعه العفو؟ ولا يخلو من أن أكون بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟" (1)

- ألفاظ العتاب والهجاء: يمكننا اجمال الألفاظ الدالة عليها في:" الود. الصفاء. العتاب. الاخاء. العهد. القطيعة. الجفاء. الصداقة. الشكوى. التقلب. نقض العهد. الخيانة. الوشاة. الغدر. الألفة. الاساءة. الاهانة. التحقير. الهجاء. اللوم. الجهل. الحمق. الجبن. الهزل. النفاق. الأنانية. السخرية. النذالة. الحثالة..."

- ومن قبيل رسائل العتاب نورد رسالة(ابن برد) في عتاب صديق له يقول فيها: " أظلم لي جو صفائك وتوعرت علي أرض اخائك... فليت شعري ما الذي أقسى مهجة ذلك الود. وأذوي زهرة ذلك العهد؟ عهدي بك وصلتنا تفرق من اسم القطيعة ومودتنا تسمو عن صفة العتاب ونسبة الجفاء..." (2)

- ومن رسائل الهجاء نورد رسالة **لأبي عامر الأصيلي** على لسان (أبو محمد بن أبي الفرج) يهجو فيها أهل شنتمرية ويذكر بعض صفاتهم من خمق وصغر العقل والجبن ... فيقول : " والله لقد جبلت البلاد وبلوت العباد فلا شك عندي ولا مرية أن أرذل الناس أهل شنتمرية الأوغاد الحثالة معادن الخساسة والنذالة أخلاق اللوم. وروايج الثوم. أحلام البغال وأقفال النعال. قوم شغلتهم الوراعة والطماعة عن التحلي بالجود والشجاعة..." (3)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص340
(2)المصدر السابق ق1/م1ص510
(3)المصدر السابق ق2/م1ص310

-**ألفاظ العزاء:** ويمكن اجمالها في (المصاب. البلاء. الرثاء. ابتعزية. النكبة. الألم. المصيبة. الخطوب. التأسي. التفجع. التحسر. البكاء. النعي...)

- ونورد في هذا المجال رسالة (لأبي محمد بن عبد البر) الى أحد أصدقائه يعزيه لموت والدته فيقول:" يا سيدي, ومن لا زال جأشه ساكنا. وحرمه آمنا...بودي-أعزك الله- لو خاطبتك بالتهنئة لا بالتعزية... ولنها الأيام تحلى وتمر. والأقدار تسوء وتسر. والرزايا تتطرف وتتحيف المنايا تستدرج وتتخطف... واتصل بي في وفاة الوالدة-المرجو لك دعوتها- المبلوة بركتها فساءني يعلم الله أن يطرق خطب رحماك ويطأ رزء ذراك مشاركة لك في الهمم ووقوعا معك تحت الحادث الملم..." (1)

-**ألفاظ الفرح والأمل والتهاني:** ويمكن اجمالها في: (التهنئة. السعادة. الفرح. السرور. الأنس. الوفاء. الشوق. الأمل. الفوز. الظفر. الهناء. الرجاء. الأمن. السلم. القوة. التأييد...)

- ومنها ما ورد في رسائل التهنئة لولادة الأطفال. وما يحدثه هذا الخبر في نفوس الأهل وما يزرعه من بهجة وسرور على الجو العام في الأسرة ومن ذلك ما جاء في رسالة (لأبي القاسم بن الجد) لأحد أصدقائه يهنئه فيها لولادة مولود له فيقول:" ان أحق ما انبسط فيه للتهنئة... أمل رجى فتأبى زمانا. واستدعى فلوى عنانا وطاردته المنى فأتبعها حينا. وغازلته الهمم فأسعرها حنينا. ثم طلع غير مرتقب وورد عن صحبة المباهج في عسكر كجب... فكان كالمشير الى ما بعده من مواكب الآمال والدليل على ما وراءه من كواكب الاقبال أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمة والبرق تتابعت اثر وميضه غمائمه..." (2)

-ألفاظ التولية والزجر والاستغاثة: منها: (التهديد. الوعيد. الخطر. المسيحية. الصليبية. العدو. النصرانية. الثورة. التمرد. الطاغية. الزجر. الطاعة. الولاء. الأمان. الصلح. العزل. التنصيب...)

- ومن أمثلة الرسائل التي تحمل معاني التولية والعزل رسالة (المتوكل بن الأفطس) في عزل وزيره أبي الوليد بن الحضرمي يقول فيها: " لما رأيت الأمر قد ضاعوالادبار قد انتشر وذاع أشفقت من التلف وعدلت الى ما يعقبنا- ان شاء الله- بالخلف وأقبلت أستدفع مواقع أنسي وأشاهد ما ضيعته بنفسي فلم أر الا لججا قد تورطتها وغمرات قد توسطتها فشمرت على الساق للجتها وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي أدخلني في رأيك ووطئت الذي كاد يحول بيني وبينه فعلك فنفسك لم وبسوء ضيعها ألمم واعتصم وان متت بجميل اعتقاد ومحض وداد فأنا مقر بذكره معترف بقلة وكثرة لكنك كنت كالمثل السائر:" شوى أخوك حتى اذا أنضج رمد" حتى أطمعت في العدو ولبست لأهل حضرتي الاستكبار والعتو واستهت بجيرانك وتواهمت أن المروءة التزام زهوك وتعظيم شأنك حتى أخرجت النفوس علي وعليك..." (3)

ومن الرسائل الحاملة لمعاني الاستغاثة وطلب العون رسالة (المتوكل بن الأفطس) بعث بها أمير المؤمنين **يوسف بن تاشفين** وقد تم عرض هذه الرسالة في الفصل الأول

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م1ص218
(2)المصدر السابق.ق2/م1 ص 292
(3)المصدر السابق ق2/م2ص 646. 647

- التراكيب:

أ- التراكيب الجاهزة: تعود هذه الرواقد المعرفية الى عملية الاسترجاع من أجل تنمية النص وتفريعه الى معارف متعددة مما يجعل النص منفتحا على دلالات مختلفة وتأويلات متعددة. كما أن الكاتب يعمد الى مجموعة من الآليات النعرفية من بينها : القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال والحكم والتاريخ من أجل اقناع المتلقي بهذه الكتابات واحداث الأثر أو الغائبة.

الروافد الدينية:

1- القرآن الكريم: يعد القرآن الكريم الرافد الأساسي المستخدم في رسائل الأندلسيين فكان حضوره ملحوظا لما له من قوة روحية وعاطفية وبلاغية. فكان أفضل دليل يلجأ اليه الأديب ليقوي كلامه ويعزز من حجته فيجعله خير شاهد.

- من الاقتباس القرآني ما نلمسه في رسالة **لابن شرف القيرواني** الى **ابن زيدون** وقد أهدى **المعتضد بعض** قصائده وطلب من **ابن زيدون** أن يوصلها له. يقول فيها:" فهو بدري اذا ليلي عسعس وشمسي اذا صبحي تنفس" (1) فالاقتباس من معنى هذه الآية الكريمة قوله تعالى:**" والليل اذا عسعس. والصبح اذا تنفس"** ◯

- فمن ذلك ما نجده في رسالة أخرى على لسان أحد المحبوسين يقول فيها: " لان لنا قوم خشنت ورقوا. وغلطت فأصلحت نقمتك وما أبطرته نعمة سواك وأدبت غلطتك من يسحب عن هوى غير هواك فاطلاق بامتنان وتسريح باحسان أو نزل من حميم وتصلية جحيم" (2) فالمعنى هنا يحملنا الى الآيتين الكريمتين. قوله تعالى: " الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان" ◯ وقوله أيضا:" فنزل من حميم وتصلية جحيم" ◯

- ومن ذلك قول(ابن طاهر) في احدى رسائله:" الأقلام ذكرها منزل في محكم الذكر" (3) وهذه اشارة الى قوله تعالى:" والقلم وما يسطرون" ◯

- وهذا ما نجده في رسالة (لأبي بكر بن سعيد البطليوسي) يخاطب فيها أحد أمراء الطوائف على لسان رجل فار من المعتقل يقول فيها: " الأمير- أيده الله- حرك الى ظلمي فسكن وجاءه فني فاسق ينبأ فأخذ بأدب الله تعالى وتبين وأنل رعت فارتعت وقرأت قوله تعالى:" ففررت منكم لما خفتكم" (4)◯

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق4/م1ص 173
◯ سورة التكويلا. الآيتين 17. 18
(2)عماد الأصفهاني. جريدة العصر وخريدة القصر. تحقيق آذرتاش وآذارتوش. الدار التونسية 1971 ج2 ص225
◯ سورة البقرة الآية 229
◯ سورة الواقعة الآية 93
(3)ابن خاقان. تلائد العقبان. تحقيق الأستاذ الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر 1990 ج2 ص65
◯سورة القلم. الآية 1
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م2 ص763
◯سورة الشعراء . الآية 21

- وهذا (أبو عامر التاكرني) يكتب رسالة عن المنصور محمد بن أبي عامر الى أهل قرطبة تضمنت آية من الذكر الحكيم يقول في رسالته:" ان كنت منكم بنبوة وعنكم بنجوة فاني شهيدكم بنفسي... ليصبح عند العدو- قسمه الله- أن الأيدي قد ارتبطت عليهم وأن الأعنة قد صرفت اليهم وأن الوقت قد أزن والغطاء قد كشف فيا ليت شعري لين المفر. أو يقولون نحن جميع صبر:" سيهزم الجمع ويولون الدبر" **(1)**

- ومن ذلك رسالة (**الوزير أبو الأصبغ بن الأرقم**) عن (**علي بن مجاهد**) إلى (**ابن رزين**) يقول فيها: " ولما دعاه الى السلم.وناداه باسم الصلح الآثم غره بايمانه واستدناه من مكانه فقبض عليه وخاس بما لقاه من العهد اليه ثم أراد أن يتبع الاساءة ضعفا والابالة ضغثا. باعتزامه الغدر بأخيه الأقرب ومحل أبيه. الحدب... وكان قد فكر وقدر " فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر" ○وليته قبل تدبيره لو نقح ما دبر" **(2)**

- ومن ذلك ما نجده في رسالة (ابن عبد البر) على لسان (المعتضد) الى **ابن أبي عامر** بخصوص تحليل دم ولده (اسماعيل) جاء فيها:" ومع أن الآراء قد تنشأ وتحدث والنفوس تطيب ثم تخبث والقرين يصلح أو يفسد وخليط يغوي أو يرشد. وكما أن داء العر قد يعدي كذلك قرين السوء قد يردي. ومن اتخذ الغاوي خدينا عاد غاويا ظنينا:" ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" ○ وهو زمان فتنة وشمول احنة ودمنة والناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم وأصدق من هذا قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم" ○ **(3)**

2**- <u>الحديث النبوي الشريف:</u>** يعد الحديث الشريف أحد الروافد الدينية الهامة بعد القرآن الكريم. ومن الملاحظ على الرسائل الأندلسية بنوعيها في هذا العصر قلة وروده فيها ومن الرسائل التي ورد فيها الحديث النبوي الشريف. رسالة (ابن طاهر) في العتاب. يقول فيها:" وأرفدت بقوله عليه السلام في من وصل أو قطع الرحم ولزكت كلامه على تفرده:"المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده" **(4)**

- ومثال ذلك ما ورد في رسالة(ابن زيدون) الجدية حيث يقول:" وشهد ابن العطار العاري من الثقة والأمانة... دون أن يلحق بخزيمة ذا الشهادتين وينوب منفردا عن اثنين" **(5)** والاشارة هنا الى ما ورد من الرسول صلى الله عليه وسلم حين جعل شهادة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري بشهادة رجلين وهو الملقب بذي الشهادتين.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص248
(2)المصدر السابق ق3/م1ص367
○ سورة المدثر الآية 19
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص110. 111
○ سورة التغابن الآية 14
(4)المصدر السابق ق3/م1ص54
(5)المصدر السابق ق1/م1ص410

• **الروافد الأدبية:**

أ- الشعر: يعد الشعر العربي أحد الروافد الأدبية كونه يعبر عن الموروث الأدبي والحضاري يؤتى به لتقوية المعنى واعطاءه بعدا آخرا وابعاد الملل عن نفسية المخاطب لما للنفس من ميل للغة الشعر. والأشعار التي حوتها رسائل الأندلسيين في هذا العهد منها ما هو مقتبس من الموروث العربي عبر العصور وأشعار أخرى من نتاج الأندلسيين أنفسهم يفتحون بها رسائلهم أو يختموا بها.

- ومن قبيل الرسائل المتضمنة أشعارا من الموروث العربي رسالة (ابن طاهر) يمدح فيها (أبا بكر بن عبد العزيز) يقول فيها:" فلله در الوزير الأجل أبى بكر جوزي بوفائه وفسح الله له في ظله وبقاءه فانه ما اكتحل في كربي بنوم ولا تمتع بمسرة ولقد كانت قذى عينيه حتى حلني من وثاقها" (1) وهذا تضمين لأبيات ابراهيم الصولي:

سأشكر عمرا ان ترخت منــيتي أيادي لم تمنن وان هي جلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها أيادي قذى عينيه حتى تجلت (2)

- ومن ذلك رسالة (حبوس) على لسان (ابن عبد الله) أمير قرموزة يقول فيها:" وان كنت أردت التخويف والايعاد والابراق والارعاد فقد كفاني بيت الكميت:

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك أي بضمائر (3)

- وفي رسالة بعث بها (ابن طاهر) الى أحد الملوك يقول فيها:" ومثلك في علو النصاب وشرف الانتساب أعلر بياني عنده بسطا ونص عليه من اختلالي فرطا ودعاه الى ما يجده عند الله محضرا يوم القيامة وما يبقى الا الأحـــاديث والذكر " (4)

ففي هــــذه العبارات تضميــــن لقــــول (حــاتم الطــائـــي) :

أماوي ان المال عاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر •

- وقد افتتح (ابو عبد الله محمد بن الحداد) رسالته بأبيات للمتنبي فيقول:

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده مــن توهـــــم

وعادي محبيـــــه بقــول عداته

وصدق ما يعتاده من الشك مظلـم • (5)

---

(1)المصدر السابق ق/م ص

(2)ابراهيم بن عباس. الديوان. الطرائق الأدبية القسم الثاني. صححه وخرجه عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة 1937 ص130

(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص26

(4)المصدر السابق ق3/م1ص56. 57

• ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره. صنعه يحيى بن مدرك الطائي رواية هاشم بن محمد الكلبي. دراسة وتحقيق عادل سليمان (د.ت) (د.ط) ص210

(5)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص693

•ديوان أبو الطيب المتنبي. شرح الواحدي. عناية فريدرج ديتريصي. برلين 1861. ص458

- ومثاله ما جاء في رسالة (ابي الفضل بن حسداي) يقول فيها:" وقد جرعتني أحداث الدهر غصصا وعدت متلوما منتقصا مشوها بعد اقتبال الجمال مؤنس اليمين موحش الشمال كأني شق في قفر أو صوت موسى في بحر وقد صننتها برقعة خمار أسود . وأدعى أبي أشكو الرمد وربما سقط أتبعه باليد وأنشد قبل أن أنشد:

سقط النصيـف ولــم تــرد اسقاطــه فتنـــاولته واتقتنـــا باليـــد (1)

- وفي رسالة(لأبي الحسن بن محمد بن الجد) في مخاطبة عمه (أبا القاسم بن الجد) يبدؤها ببيتين من شعر المتنبي:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الـــى الكـــذب

حتى اذا لم يدع لي صديقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

- ثم يختمها بأبيات من نظمه فيقول:

كتبت وقد غالت عزائي أشجان وقد شرقــت بالدمـــع أجفـــان

عزاء وأني بالعزاء قد هــوت كما قد ذوت فيكم تحوم وأغصان

وفاضت بحور للندى وتقلصـت ظلال العلا وانهد للمحد بنيـــان (2)

- وكتب (ابن القصيرة) رسالة في التعزية يقول فيها:" واحتبس فقيدتك- قدس الله روحها- حديقة نقلت الى الجنة قدس وذخيرة ايمان ضمت أكرم صوان. ولا تذهب نفسك حسرات ولا يتدارك نفسك زفرات:

قد فارق الناس الأحبة قبلنـــا وأعيا دواء المــوت كل طبيـــب (3)

- كما تضمنت رسالة (أبو عبيد البكري) (المعتمد بن عباد) بيتين للمتنبي هما:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جوف الردى وهــو نائم

تمر بك الأبطال كالمن هزيمـــة ووجهك وضاح وثغـــرك باســـم • (4)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص475. 476

(2)المصدر السابق ق2/م2ص559

(3)المصدر السابق ق2/م1ص317

(4)المصدر السابق ق2/م1ص237

• ديوان. أبو الطيب المتنبي. شرح الواحدي. ص552

ويعد الشعر من الموروث الأدبي الذي يشترط توفره في الأديب. وهذا الشأن يبين (النويري) المعارف الواجب توفرها في الأديب منها: (حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء منها كالحماسة والمفضليات والأصميات وديوان الهذليين وما شابه ذلك لما في ذلك من غزارة المواد وصحة الاطلاع على أصول اللغة...) (1)

ثم يذكر بالفائدة التي يجنيها الأديب من هذه المعارف الأساسية المتصلة بالتراث وقدرته على الاستشهاد بها عند اللزوم فيقول:" فاذا أكثرالمترشح للكتابة الى ابراز ما في ذخيرة حفظه منه ووضعه في مكانه ونقله في الاستشهاد والتضمين الى ما كأنه وضع له. وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كأبي تمام والمتنبي... للطف مأخذهم ودوران الصناعة في كلامهم ودقة توليد المعاني في أشعارهم وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة) (2)

- أما عن ورود الاقتباس في الرسائل الأندلسية منه ما يكون على مستوى الصياغة والغرض منه الاستشهاد ويذكر الشعر بشكله ومعناه والاشارة الى صاحبه ومثاله ما نجده في رسالة (أبي الحسن محمد بن الجد) في مخاطبة عمه (أبا القاسم بن الجد) حيث يبدؤها ببيتين من شعر المتنبي كما رأينا

- ومن قبيل التناص مع الشعر الجاهلي ما نجده في رسالة (الأعمى التطيلي) في العتاب. يقول فيها:" وان لم يكن شبع فري" تحيلنا هذه العبارة الى بيت (لامرئ القيس) يقول فيه:

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري •

- وفي رسالة (أبي بكر عبد الله بن سعيد البطليوسي) بعث بها لأحد الولاة يقول فيها:" لا معنى- دام عزك- لذكر ما أنا عليه من التعظيم والتأميل. ولا لتحميل وجه حالي معك وهو الحسن الجميل فضعيف هوى يبتغى عليه دليل" (3) فالمعنى مأخوذ من عجز بيت من شعر المتنبي يقول فيه:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبتغى عليه ثواب •

- كما تضمنت رسالة **ابن الدباغ** التي أنشأها في الشفاعة بيتين للمتنبي ختمها بهما. يقول فيها:" ولئن تسرعت وعجلت. فعلى فضل أتاه مولاي عجلت وعليه عولت واتكلت ولولا ثقتي بالرأي الجميل والمعتقد

---

(1) النويري م7 ص32
(2)المصدر نفسه م7 ص34
• ديوان امرئ القيس. تحقيق الشيخ ابن أبي شلب. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1974. ص284
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م2 ص756
• ديوان. أبو الطيب المتنبي. شرح الواحدي. ص687

الكريم النبيل لوقفت عند قدري وما تعديت طوري. حتى يكون هو- أيده الله- السابق الى ما يغني انشاءه:

وفي النفس حاجات وفيك فؤاده فطانة سكوتي بيان عندهـــــا وخطـــاب •

ومثلك مــن كـــــان الوســـيط فؤاده فكلمـــــه عني ولـــــم أتكلـــــم (1)

وقد تضمنت رسالة (ابن زيدون) الهزلية- هي الأخرى- مجموعة من أشعار العرب فيها أبيات للمتنبي. حين يقول: " والمراد يقول أبي الطيب:

ذكر الأنام لنا فكــــان قصيدة كنت البديع الفــــرد من أبياتهـــا

-كما ضمت بيتا لأبي تمام حين يقول:

" والمعنى يقول أبي تمـــام:

فلو صورت نفسك لم تزدهـــــا على مـــا فيك من كـــرم الطبـــاع

كما ضمت بيتا (لأبي نواس) دون الإشارة إلى قائله يقول: " وأنت المقول فيه: (كل الصيد في جوف الفرا)

و: **ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالـــم في واحـــد**

- وكما حل لبن زيدون منظوم قول المتنبي:

وكنت اذا كاتبته قبل هــذه كتبت اليه في قذال الدمستـــق

- بهذه العبارة: " ولولا أن للجور ذمة. وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذاك الدمستق"

• ديوان. أبو الطيب المتنبي ص686

• ديوان. أبو الطيب المتنبي ص654

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص 313

3- الأمثال والحكم: وتعد من الروافد الأدبية الهامة وتوظيفها يدل على مدى سعة اطلاع الأديب. وقد اشترط النقاد النظر في الأمثال والحكم من قبيل الكتاب والخطباء. يقول في هذا النويري:" النظر في كتب الأمثال الواردة نظما ونثرا كأمثال الميداني والمفضل وحمزة الأصبهاني وغيرهم. وأمثال المحدثين الواردة في أشعارهم كأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأمثال الموتدين"

ويعد تضمين الأمثال والحكم احدى الخصائص البارزة في رسائل الأندلسيين ويعود السبب في اشتراط النظر في الأمثال والحكم ما يحمله هذا النوع الأدبي من ميزات: (ويجتمع في المثل أربعة في غيره من الكلام: لايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة) (1)

- فمن الأمثال الواردة في الرسائل الأندلسية في عهد ملوك الطوائف ما نجده في رسالة **ابن زيدون** الهزلية. فقد أكثر من تضمين الأمثال. منها: " فكدمت في غير مكدم واستشمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم. ولم تجد لرمح مهزا ولا لشفرة محزا بل رضيت من الغنيمة بالاياب وتمنيت الرجوع) و(النار لا العار والمنية وال الدنية. والحرة تجوع ولا تأكل بثديها) و(كل الصيد في جوف الفرا)

- ومما جاء في سياق تحذير ابن عبدوس هذا المثل: (لا تكن براقش الدالة على أهلها) و(فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان)

- كما جاءت رسالته الجدية كذلك متضمنة بعض الأمثال العربية منها:" وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة المرك بالتعليق) وهو مثل يضرب في القناعة.

- وفي رسالته أيضا الى (ابي مسلمة) باشبيلية ورد ها المثل الزلل معه بل: أوردها سعد وسعد مشتمل. ما هكذا تورد الابل يا سعد) ويقصد به حسن الشيء وجماله .

- ومن توظيف الأندلسيين للحكمة. نورد رسالة لابن طاهر يبدؤها بحكمة فيقول:" الدنيا- أعزك الله- ليست بدار قرار والمرء فيها على شفا جرف هار انما هي جسر على الطريق وعدو في ثياب صديق" (2)

- ومن ذلك رسالة لابن حسداي للمستعين بن هود ويبدؤها بحكمة فيقول:" الهر- أيدك الله مولاي- منتقل منقلب والدنيا دول وتقلب. ومقام القطان فب الاوطان كمقام الارواح في الأبدان" (3)

- ويعود توظيف الأندلسيين للأمثال والحكم لما للنفس العربية من انجذاب وتذوق لهذا الفن الأصيل بالظافة الى قلة الألفاظ وعمق المعاني دليل على سعة اطلاع الأديب وثقافته الأصيلة.

---

(1)
(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص84
(3)المصدر نفسه ق3/م1 ص 461

4- **التاريخ:** يعود الهدف من توظيف التاريخ في الرسائل عامة هو الدليل وقوة الحجة والاحاطة بالوقائع التاريخية فالتاريخ سجل حافل بالبطولات وأخبار الشعوب السابقة والاحاطة به تعني التعرف على الماضي بايجابياته وسلبياته ومحاولة أخذ العبرة منه لبناء الحاضر والمستقبل ضمن سلسلة واحدة

واذا عدنا الى الرسائل الأندلسية بنوعيها الديواني والاخواني نجد أن الكتاب استقوا من الروافد التاريخية ما يعزز ثقافتهم ويقوي مكانتهم في الساحة الأدبية وتعد رسالة ابن زيدون الهزلية واحدة من الرسائل الأندلسية في هذا العهد التي حملت اشارات تاريخية واحتوت على ذكر شخصيات عربية وعجمية كثيرة.

- يقول في هذا ابن زيدون:" حتى خلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغففت منه وأن امرأة العزيز رأتك فسملت غيه. وأن قارون أصاب بعض ما كنزت والنطف عثر على فضل ما ركزت وكسرى حمل غاشيتك. وقيصر رعى ماشيتك والاسكندر قتل درا في طاعتك وأرشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم من جماعتك. والضحاك استدعى مسالمتك وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك وشرين قد نافست بوران فيك. وبلقيس غايرت الزياء عليك. وان مالك بن نويرة انما ردف لك وعمر بن جعفر انما رحل اليك وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك وجساسا انما قتلته بأنفتك ومهلهلا طلب ثأره بهمتك. السموأل انما وفى عن عهدك والأحنف انما احتبى في بردتك وحاتما انما جاء بوفرك ولقى الأضياف ببشرك وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك والسليلك بن السلكة انما عدا على رجليك وعامر بن مالك انما لاعب الظالسنة بيديك. وفنيس بن زهير انما استعان بدهائك... وأن هرمس أعطى بلينوس ما أخذ منك وأفلاطون أورد على أرسطا ليس ما نقل عنك وبطليموس من سوى الأسطرلاب بتدبيرك. وثور الكرة على تقديرك وبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك وكلاهما قلدك فب العلاج... وانك نهجت لأبي معشر طريق القضاء وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ... وجعلت للكندي رسما استخرج به الدقائق... وأن عبد الحميد بن يحيى باري أقلامك وسهل بن هارون مدون كلامك وعمر بن بحر مسمليك. ومالك بن أنيس مستفتيك..." **(1)**
- فقد استعرض (ابن زيدون) مشاهير الفرس واليونان والعرب وقد وصل عددهم 50 شخصية تاريخية كان لها مكانها في المجتمع. وبصمتها الخاصة في الساحة الادبية والتعليمية والفكرية من أمثال:" جابر بن حيان. الكندي. عبد الحميد بن يحيى. سهل بن هارون. مالك بن أنس. السموأل. حاتم الطائي.... وغيرهم" بالاضافة الى الاشارات التاريخية أو الوقائع من مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز. وقصة المهلهل مع جساس في حرب البسوس

---

(1) مصطفى الشكعة. الأدب الأندلسي(فنونه وموضوعاته) دار العلم للملايين. ط4 1979 ص596. 598

- ومن الشخصيات البارزة في التاريخ ما ورد في رسالة (الأعمى التطيلي) في العتاب حيث يقــول:" وانك-أعزك الله- لما تكلمت بلسان سهل بن هارون وجلست مجلس الفضل من المأمون..." (1)

- وعليه نلاحظ تعدد الروافد الدينية والأدبية التي استقى منها الكتاب الأندلسيين في عهد ملوك الطوائف وفي رسائلهم من قرآن كريم وحديث شريف وشعر ومثل وحكمة وتاريخ والاطلاع على هذا الموروث يعد من الشروط الأساسية للكاتب وقد نبه(ابن الأثير) في كتابه(المثل السائر) الى أن الكاتب لا بد أن يتعلق بكل علم بخلاف النحوي أو الفقيه أو المتكلم وانما واذا ما توافر الطبع المواتي فان الكاتب مفتقر الى أنواع كثيرة من آلات علم البيان وأدواته. وقد عدها ثمانية:" الأول:معرفة علم العربية من النحو والتثريف والثاني: معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب وال المستكره المعيب. والثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فان ذلك جرى مجرى الأمثال أيضا. الرابع. الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعات المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه. والخامس:معرفة الأحكام السلطانية في الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك. والسادس: حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوي كلامه والسابع:حفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عبليه وسلم. والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال والثامن:وهو مختص بالناظم دون الناثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر" (2)

<u>- الجمل المعترضة:</u>

- وترد بشكل كبير في الرسائل الأندلسية وأغلبيتها يأتي في طابع دعائي في أغراض التهنئة والمدح والتعزية من قبيل(أعزك الله- أدام الله اعزازك-أيدك الله...)

- ومن الجمل المعترضة ما ورد في التهنئة في رسالة(ابن خفاجة) يقول فيها:" بدأ كون التمر-أعزك الله- وأول متوع الضحى فجره..." (3) وفي رسالة (ابي القاسم بن الجد) في التهنئة كذلك يقول فيها : " قد يجتني-أعزك الله- من شجر المساءة تمر المسرة..." (4)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م2 ص729
(2) ابن الأثير.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة. نهضة مصر. 1960 ج1 ص43.44
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2 ص555
(4)المصدر نفسه ق2/م1 ص291

- ومن التعزية ما جاء في رسالة (ابن طاهر) يقول فيها :" موهوب الدنيا- أيدك الله- الى استلاب ومعمورها الى خراب..." (1)

- ومثاله ما جاء في رسالة(ابن البر) في التعزية قوله:" يا سيدي ومن لا زال جأشه ساكنا وحرمه آمنا بودي-أعزك الله- لو خاطبتك بالتهنئة..." (2)

- وفي رسالة أخرى له يقول فيها:" أنهي الي من تقليدك العهد وامضاءك العقد الناصر- سيدي أسنى عددي . أبقاه الله- على بلنسية... مكان المعتصم- رحمه الله- فقلت ملك تردد في عنصر وخاتم تنقل من خنصر الى خنصر وقد سددت-أيدك الله- ثلما وشفيت كلما..." (3)

- وفي العتاب ما ورد في رسالة(أبي عبد الله البزلياني) الى (أبي جعفر بن عباس) يقول فيها:" كلف المروءة- أبقاك الله- صعبة الا على الكرام وطرق الجفاء رحبة لسلوك اللئام..." (4)

- وفي رسالة(ابن طاهر) يقول فيها:" الدنيا-صرف الله عنك صروفها- على الفجائع مبنية..." (5)

- ونلاحظ على الجمل المعترضة ورودها دوما الى جانب الجمل ذات الطابع الدعائي وهذا في مختلف الأغراض من تهنئة وتعزية وعتاب...

- الخبر والانشاء:

أ- الخبر: ايراد التراكيب في أسلوب خبري يكون في الغالب دالا على تقرير الأحداث وهذا ما نجده في الرسائل المتبادلة بين ملوك الطوائف. فقد كانوا حرصين على تبادل المعلومات فيما بينهم ونقل الأحداث المستجدة والهدف من ذلك تزويد كل طرف بالأخبار والوقائع.

- ومن الرسائل التي تسرد الوقائع التاريخية رسالة **المعتمد بن عباد** الى **ابن صمادح** والتي يروي فيها وقائع معركة **لبيط** والتي انتصر فيها جيوشه على فرقة من النصارى يقول فيها: " وانما أشاركك- أيدك الله- في النعمة بأسوغها وأطالعك في الهمة بأبلغها... وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين سرعان من الجند-نصرهم الله- تناوش أطمع فيهم ودل بأنه قد سقط في أيديهم ثم صوبحوا يوم كذا بالحرب . وكوفحوا الى اخوة بالغرب بالطعن والضرب وانصرفوا ولاذوا بالاجحار واحتجزوا بالجدران والأسوار..." (6)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م1 ص81
(2)المصدر نفسه ق3/م1 ص218
(3)المصدر نفسه ق3/م1 ص216
(4)المصدر نفسه ق1/م1 ص228
(5)المصدر نفسه ق3/م2 ص78
(6)المصدر نفسه ق2/م1 ص262

- وفي رسالة (لابن برد) يتحدث فيها عن ضحايا الفتنة الأبرياء بأسلوب خبري حيث يقول:" فكم صال بناركم لم يشرككم في قدحها وشقي بفتنتكم ولم يغمس معكم يدا فيها وموفور سعيتم لذهاب وفره ومستور أعنتم على انكشاف ستره..." (1)

- وقد تأتي الأخبار بأفعال ماضية وهذا الأغلب ومثاله ما ورد في رسالة ابن برد في قوله:" أما بعد فانكم سألتم الأمان أوان تلمظت السيوف اليكم وحانت المنايا عليكم وهمت حظائر الخذلان أن تفرج لنا عنكم وأيدي العصيان أن تتحفنا..." (2)

- وفي رسالة (علي بن مجاهد) إلى (المعز بن باديس) صاحب افريقية يخبره فيها عن الفتنة الداخلية والتكالب الصليبي على البلاد فيقول:" ومما وجب التعريف به ما عم أقطار ثغرنا وغشي مجامع أفقنا من تمالؤ النصارى وتضافرهم في كل أزب الينا بجمع لا عهد بمثله ملأ الفضاء وطبت الأرجاء وشغلنا بالفتنة بيننا عن تخفيف وطأتهم وتضعيف صورتهم فطمسوا الآثار وجاسوا خلال الديار موفورين لا مانع منهم ولا دافع لهم الا التفاتة الله لأهل دينه بأن أقل فائدتهم وخيب مرامهم وأطاش سهامهم ةالحمد لله على منحه ومحنته" (3)

<u>**ب- الانشاء:**</u> لقد جاءت الرسائل الأندلسية مزيجا بين الخبر والانشاء فمن أغراض الانشاء: النداء . الاستفهام. التعجب... كما ورد في رسالة (أبي عبد الله محمد بن أيمن) على لسان **المتوكل بن الأفطس** يستصرخ فيها (أبا يعقوب يوسف بن تاشفين) يقول فيها:" .... لما كان نور الهدى- أيدك الله- دليلك وسبيل الخير سبيلك... فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها-أهلكم الله- عند افراط تسلطها واعتدائها... ومن أخطأه القتل منهم فانما هم بأيديهم أسرى وسبايا يمتحنونهم بانواع المحن والبلايا. وقد هموا بما أرادوه من التوثب وأشرفوا على ما أملوه من التغلب فيا الله ويا للمسلمبن!! أيسطوا هكذا بالحق الافك؟ ويغلب التوحيد الشرك ويظهر على الايمان الكفر ولا يكتنف هذه الملة النصر؟! ألا ناصر لهذا الدين المهتضم ولا حاميا لما استبيح من حمى الحرم!! " (4)

- ومن الاستفهام ما ورد في رسالة (ابن زيدون) " الجدية" حيث يقول:" وليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسعه العفو. ولا يخلو من أن أكون بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟ (5)

وتكثر في الرسائل الأندلسية مناداة المخاطب. مما يجعل من المخاطب قريبا من الكاتب كما لو كان حاضرا أمامه. ومثاله ما جاء في رسالة (ابن زيدون) قوله:" يا مولاي.وسيدي الذي ودادي له واعتدادي به واعتمادي عليه..." (6)

وما ورد في رسالة (لأبي عامر بن التاكرني) يقول فيها:" يا سيدي.وأجل عددي وذخيرة الأيام عندي" (7) والنماذج كثيرة في هذا الباب

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص489
(2)المصدر نفسه ق1/م1 ص500
(3)المصدر نفسه ق3/م1 ص273
(4)المصدر نفسه ق2/م2 ص 653- 654
(5)المصدر نفسه ق1/م1 ص 340
(6)المصدر نفسه ق1/م1 ص340
(7)المصدر نفسه ق1/م2 ص669

3- **النظام البلاغي:**

أ- الصورة والخيال في الرسائل: (الصورة هي وسيلة الشاعر والأديب في نقل فكرته وعاطفته معا الى قرئه أو سامعيه" (1)

- وتعد الصورة أداة من أدوات الزخرف والتنميق وتأتي على شكل تشبيه أو استعارة أو كناية أو مجاز يحاول الأديب من خلالها السمو الى ما وراء الواقع الى المجاز لينقل أفكاره من بعدها المكاني لتكتسي بعدا زمنيا مشكلة بذلك عالم فني خاص بالأديب ويؤكد (جاهز عصفور) على أهمية الصورة بقوله:" الصورة هي ابداع فني يخاطب الروح

والاحساس والخيال معا. فما تحصل عليه من التشابه أو سواه من عالم المجازات الاستعارية يكون له تأثير في انماء الصورة الجمالية الفنية فيضيف جديدا يشتبه في خيالنا وروحنا فالعناصر المكونة للعمل الفني هو اتحادا عضويا بحيث تتغلغل الفكرة أو العاطفة في كل جزء من أجزاء العمل الفني وبحيث تعكس كل صورة وكل لفظة فيها تقريبا" (2) ويضيف:" والصورة هي التعبير بما فيه من تحسين وتزيين أو خصوصية أو تأثير وهذا التحسين أو التزيين قد يسمى ايجازا أو توكيدا أو قصرا أو تقديما أو تأكيدا وبالجملة ما نسميه تركيبا كما يسمى أحيانا أخرى مجازا أو تشبيها أو استعارة أو كناية وبالجملة ما نسميه نحن بالصورة الفنية" (3)

- وعليه فالصورة تدرس من خلال التشبيه والكناية والاستعارة وما عرف عن الكتاب الأندلسيين اكثارهم من الزخرف والتنميق وتوظيفهم للصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وخيال وتعد البيئة الأندلسية مصدر الهامهم وأهم رافد استقى منه الكتاب هذه الصور لما عرفت به تلك البيئة من روعة مناظرها ووفرة خيراتها وجمال عمرانها فازداد شغفهم بها واستحضروها في شعرهم ورسائلهم ومناظراتهم وأصبحت وسيلة من وسائل التنميق والتزيين.

- ويعد الخيال احدى الوسائل التي لجأ اليها الكتاب الأندلسيون بافراغ ماضي خلجاتهم والتعبير عما يدور في نفوسهم ومحاولة ايجاد معادل موضوعي يعكس ما يحسه ويعيشه الكتاب في زمن عرفت فيه البلاد فتن واضطرابات وخلل سياسي.

---

(1)شوقي ضيف. في النقد الأدبي. مكتبة الدراسات الأدبية. دار المعارف. مصر. ط3 (د.ت) ص111
(1) جابر عصفور.الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي. دار المعارف. مصر.(دت) (دط) ص336
(2)المرجع نفسه ص35

- والتشبيه يعد أحد الصور البيانية التي يلجأ اليها الكتاب الأندلسيون لايصال أفكارهم الى الناس وصور التشبيه في معظمها حسية فمن صور التشبيه البليغ ما ورد في رسالة (ابن زيدون) "الجدية" يقول فيها:" وهل أنا الا يد أدماها سوارها وجبين عضه اكليله ومشرفي ألصقه بالأرض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفة" **(1)** فالكاتب هنا يشبه نفسه باليد التي جرحها سوارها فهي تتألم. وبالجبين الذي عضه تاجه. وبالسيف الذي ألصقه بالأرض دون أن يوضع في مكانه وبالرمح الذي يوضع على النار ليقوم ويعتدل.

- وعلى سبيل التشبيه البليغ ما جاء في رسالة (ابن برد) قوله:" العقل أب.والعلم أم. والفكر ابن.والقلم خادم"

- ومن التشبيه ما ورد في رسالة (ابن طاهر) حيث يقول:" مثلي ومثلك مثل رجل من العرب استقرى عقيله ربرب بل سليلة فضل وحسب فأجزلت قراه وأكرمت مثواه فلما اطمأن المجلس وانتظم التأنس سعت الى بعض أوطارها فراقه ما تحت ازارها..." **(2)**

- ومن قبيل التشبيه البليغ ما جاء في رسالة(أبي المطرف بن الدباغ) يقول فيها:" انك المنتهى الذي اليهلا تجري وتبتغى لديه الزلفى ويتوصل به الى العليا..." **(3)**

- ومن التشبيه ما جاء في رسالة (أبي عبد الله البزلياني) في عتاب صديقه(أبو جعفر بن عباس) يقول فيـــــــها:" وجئتك زائرا فأكأني جئتك آملا وأردت مصافحتك فما مددت يدا" **(4)**

-وفي رسالة (أبي القاسم بن الجد) في التهنئة يقول فيها " وطاردته المنى فأتبعها حينا وغازلته الهمم فأسعرها حنينا ثم طلع غير مرتقب وورد من صحبة المباهج في عسكر لجب فكان كالمشير الى ما بعده من مواكب الآمال" **(5)**

فالكاتب هنا يهنئ صديقه لولادة مولود له بعد انتضار وترقب طويل فكان مجيئه كالمشير الى ما بعده من مواكب السعادة والأمل فميلاده ميلاد للأمل والبهجة ثم يقول:" أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمه والبرق تتابعت اثر وميضه غمائمه..." **(6)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص340
(2)المصدر نفسه ق1/م1 ص496
(3)المصدر نفسه ق3/م1 ص316
(4)المصدر نفسه ق1/م2 ص643
(5)المصدر نفسه ق2/م1ص193
(6)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1 ص193

- ومثله ما جاء في رسالة (**ابن حسداي**) حيث يقول :" فأنت كالشمس لا يتعلق بها دنس ولا ثلب فما يضر القمر أن ينبحه كلب" (1) وهذا على سبيل السخرية والتفكة.

- ومن التشبيه البليغ ما ورد في رسالة (**ابن طاهر**) على سبيل السخرية يقول فيها:" عقال بفتور:هو أعزه الله لي سنان وأنا له المجن" (2) فالأمير سنان يهاجم به الحسداد وشبه نفسه بالمجن الذي يصد ضربات العدو.

- ومن الصور البيانية المشكلة لخيال الكاتب الأندلسي الاستعارة والكناية

- فعلى سبيـــل الكناية ما نجده في رسالة (**ابن البر**) في العتاب حين يقول:" أظلم لي جو صفائك وتوعـــرت على أرض اخائك" (3) فالعلاقة التي تربط الكاتب وصديقه قديمة تنم عن معاني المودة والألفة والتخلي عنها امر صعب يؤلم الكاتب.

- ومن الاستعارة ما جاء في رسالة (**ابن خفاجة**) قوله:" فما حديقة تفقأ القلع. وشكلت عليها الرياح الأربع ويمه يصلصل الرعد في أرجاءها ويضحك البرق خلال بكائها" (4) وهي على سبيل الاستعارة المكنية حذف المشبه به الانسان وترك أحد لوازمه وهو الفعل **ضحك** و **بكى**

ومن الاستعارة مـــا جاء في رسالة (**ابن زيدون**) يقول فيهـــا :" ولعمرك يا سيدي ان ساحة العذر لتضيق عنك" (5) **وهي** استعارة مكنية حذف المشبه به وترك لازم من لوازمه وهو الفعل تضيق

- ومثاله ما ورد في رسالة (**أبي جعفر بن عباس**) حيث يقول :" كتبت عن نفس تفيض بمائها وتجيش بدمائها..." (6)

- وفي قول (**ابن زيدون**) في رسالته "الجدية" :" وهل لبس الصباح الا برودا طرزته بفضائلك" (7) والأمثلة كثيرة في الرسائل الأندلسية فهذه سمة هذا العصر من زخرف لفظي وتزيين وتنميق

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق/م ص
(2)المصدر نفسه ق3/م 1ص72
(3)المصدر نفسه ق1/م1 ص655
(4)المصدر نفسه ق3/م2 ص 561
(5)المصدر نفسه ق1/م1 ص340
(6)المصدر نفسه ق3/م1 ص229
(7)المصدر نفسه ق1/م1 ص341

4- النظام الموسيقي:

اذا كان ما يميز الشعر عن النثر الوزن والقافية ويعدان من أهم مصادر الايقاع الخارجي المميز له فان للنثر كذلك ايقاعه الخاص والمتمثل في السجع والفواصل.

أ-السجع: (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد) (1) ويشترط لحسن السجع: (ألا تكون فقراته متكررة فاذا أوردت سجعتان تدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية للدلالات عليه

وينبعي لذلك كي يتوفر له الحسن أن يجمع بين أربعة شروط هي:

- اختيار الألفاظ حسب المعاني
- اختيار التركيب المناسب
- أن يكون اللفظ في الكلام مناسبا للمعنى
- أن تكوم كل فقرة مستقلة بمعنى لا يتكرر في السابقة أو اللاحقة (2)

وينقسم السجع من حيث طول فقراته وقصرها الى ثلاث انواع (معتدل الفقرات أو ما فيه زيادة الفقرة الاولى عن الثانية أو زيتدة الثانية عن الأولى. ويرى أن الثالث أحسنها والثاني أقلها لعلة جمالية وهي أن يصبح كالشيئ المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها) (3)

- وقد أكثر الكتاب الأندلسيون من استعمال السجع في رسائلهم ومن امثلته ما جاء في رسالة ابن عبدون في العتاب حيث يقول:" سلام على من نظر بقلبه لا بعينه وحكم بيقينه لا بظنه ونطق بعقله لا بهواه وأخذ من دنياه لأخراه" (4)
- فالألفاظ المسجوعة في هذه الرسالة هي عينه. ظنه هواه.أخراه

- ومن السجع ما نجده في رسالة (**أبي الحفص بن برد الأصغر**) يقول فيها: " وأنا الآن على طرف من اخائك معك فاما أن تدلني بحجة فأتنصل عنك واما أن تنبئ بحقيقة فأستديم خلتك واما أن تأزم على فأسك فأقطع حبلي منك" (5)فقد جاءت الالفاظ مسجوعة متناغمة (معك.عنك) (خلتك.منك)

- كما نجد هذا النوع من السجع واضحا في رسالة (**ابن زيدون**) الهزلية قوله:" أيها المصاب بعقله، المورط بجهله البين سقطه الفاحش غلطه، والعاثر في ذيل اغتراره ،الأعمى عن شمس نهاره ،الساقط سقوط الذباب على الشراب والمتهافت تهافت الفراش في الشهاب فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب" (6)

---

(1)ابن الأثير.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة. نهضة مصر. 1960 ج1 ص198
(2)لمصدر نفسه ج1 ص286
(3)ابن الأثير.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة. نهضة مصر. 1960 ج1 ص286
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1 ص680
(5)المصدر نفسه ق1/م 1ص502
(6)

فالالتزام كان بين كل فاصلتين. بين (عقله.جهله) (سقطه.غلطه) (اغتراره.نهاره) (الشراب.الشهاب) (أكذب.أصوب)

- وقد امتازت بايقاعها المنسجم وبقصر الجمل ويقول أيضا:" حافي الطبع سيئ الاجابة والسمع،بغيض الهيأة،سخيف الذهاب والجيئة،ظاهر الوسواس،منتن الأنفاس. كثير المعايب. مشهور المثالب.كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة ومشيك هرولة وغناك مسألة ودينك زندقة وعلمك مخرقة" **(1)**

- فجاء السجع في هذه المقاطع بين (الطمع.السمع) (الوسواس. الأنفاس) (المعايب.المثالب) (تمتمة.غمغمة) (فهفهة.قهقهة) (زندقة.مخرقة) ومن السجع ما جاءت فقراته قصيـــــرة ذات ايقاع حاد متلاحق فـــي مثل قولـــــه :" نخرت وكفرت.وعبست وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

- وعليه يمكن القول ان الرسائل الأندلسية تزخر بالأسجاع. منها ما جاءت خفيفة النبرات سؤيعة الحركات لما فيه من تعابير قصيرة تنتهي بفواصل موسيقية كثيرة النبرات ومنه م جاء طويل الجمل متباعد الأسجاع فجاءت رسائلهم متألقة في حلة البديع وزخارفه الى حد كبير معبرة عن قدرتهم الادبية وتميزهم في صنعة الكتابة تماشيا مع الذوق السائد في عصرهم.

<u>ب- الازدواج:</u> ويعد من ألوان البديع التي استعملها الكتاب الأندلسيون لتزيين رسائلهم لما له من أثر جميل العبارة واثرائها باليقاع الموسيقي. والازدواج: (أن تكون كل فاصلتين في النثر على قافية واحدة) **(2)** ويرى **(أبو الهلال العسكري)** أن له أهمية كبيرة وعدة من الصفات الجيدة حيث قال:" لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا. ولا تكاد تجد البليغ كلاما يخلةه ولو استغنى كلاما عن الازدواج لكان القرآن لأنه في نظمه خارج عن كلام الخلق" **(3)**

- ومن الازدواج ما نجده في رسالة (**أبي محمد بن عبد البر**) يقول فيها:" أنت الذي لا يداني شرفه ولا يتسامى سلفه ولا تجاري أعراقه ولا يباري اعراقه" **(4)** فصور الازدواج تظهر في الألفاظ التالية (يداني.يتسامى/ يجاري.يباري/ شرف سلفه/أعراقه اعراقه)

---

(1)
(2)أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين ط1 1220هـ ص199
(7)المصدر السابق ص199
(8)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م1 ص165

ومثال ذلك ما جاء في رسالة (**ابن الشهيد**) الى (**مجاهد العامري**) في العتاب يقول فيها:".... وتمخضنا الأيام مخضا وتركض بنا الليالي ركضا.تربي صحبة وحليفي صبوة وقد تخلينا عن الأنساب وانتسبنا الى الآداب. والدار اذ ذاك صقب والملتقى كثب فاذا شمخ بنا مارن وثار به كمد ساكن" (1)

- ويظهر الازدواج واضحا بين(مخضا.ركضا) (صحبة.صبوة) (صقب.كتب) (مارن.ساكن)

- ومن الازدواج ما نلحظه في رسالة (أبي عمر بن الباجي) يقول فيها:" المودات- أعزك الله- انما تثبت دلائلها وتصح مخايلها بضمرات الفؤاد.لا بمزورات الحقائق ومعهودات البطائق" (2) فالازدواج جاء في الالفاظ التالية (معتقدات الحقائق ومعهودات البطائق) والأمثلة كثيرة

- وعليه فالازدواج في الرسائل الأندلسية يكثر كالسجع زكلاهما يشكلان الموسيقى والانسجام للنص الأدبي.

ج- الجناس: ويكون الاهتمام فيه بالكلمات وأصواتها وما تحدثه من انسجام وتجاوب ويؤتى به لاتمام السجع والازدواجولاحداث النغم الموسيقي.

- ومن الرسائل الأندلسية الحاملة للجناس .رسالة (**ابن زيدون**) الهزلية يقول فيها: " قاطعة أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت في مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال... وكسرى حمل غاشيتك.وقيصر رعى ماشيتك" (3) ويظهر الجناس بين(الجمال.الكمال) (الجلال.الخلال) (غاشيتك.ماشيتك) وهو على سبيل الجناس غير التام.

- ومثاله ما نجده في رسالة (**ابن التاكرني**) الى (**أبي جعفر بن عباس**) يقول فيها :" نفس تفيض بمائها وتجيش بدمائها وتشكو الى الله عظيم أدوائها غيضا على تقلب الزمان وعجبا من تنكر الاخوان. لا يلفظني عجب الا الى مثله ولا انتقل من مستغرب الا الى شكله وان أبرمت حبلا من الاخاء نقض المفسدون مريرته. وأملأت يدي من أعتقد به للشدة والرخاء.أفسد الواشون سريرته" (4)

فالجناس تم بين (مائها.ذمائها) (مريرته.سريرته)

- وما جاء في رسالة (ابن الشهيد) الى (**مجاهد العامري**) يقول فيها:" ولقيت اخوانا لقوك خافوا الذي جعل الغدر شعارهم.والحذر من دثارهم ما أجروا في ذكرك فضلا على أن يجروا ذكرى لك وهم يعلمون أن مرماي غير مرماهم ومغزاي غير مغزاهم ويوقنون أن أبعد آمالي في صديق اذ سمى وأرفع رغباتي لديه اذ طمى" (5)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص228
(2)المصدر نفسه ق/م ص
(3)
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2 ص229
(5)المصدر نفسه ق1/م1 ص299

- فالجناس واقع بين (الغد.الحذر) (سمى.طمى)

- وفي رسالة (ابن طاهر) في التعزية يقول فيها:" موهوب الدنيا-أيدك الله- الى استلاب ومعمورها الى خراب ومطمعها الآتي والسراب تغافص العزة وتقطع در الدرة وتخون ذا الثقة النبرة فرج والله من الفضل ذوي ونجم في الرياسة هوى" (1) فالجناس تم بين (ذوي.هوى)

- ومن صور الجناس ما نجده في رسالة (أبي محمد بن عبد البر) في المدح حيث يقول:" أنت الذي لا يداني شرفه... ولا تجاري أعراقه ولا يباري اعراقه" (2) فالجناس واقع بين (أعراقه-إعراقه)

د-الطباق: وهو الجمع بين المعنى وضده في الجماة سواء كان سلبا أو ايجابا ومن الطباق ما جاء في رسالة (**ابن زيدون**) الى (المظفر بن الأفطس) يقول فيها:" وهو قتى نام جده واستيقظ حده" (3) فالطباق بين (نام-استيقظ) وهو طباق الايجاب.

- وفي رسالة (ابن طاهر) في الشكوى قوله: " ولله الشكوى فهو أضحك وأبكى" (4) فالطباق بين (أضحك.أبكى)

- ومن الطباق ما جاء في رسالة (ابن زيدون) الهزلية قوله: " سخيف الذهاب والجيئة " (5) الطباق بين (الذهاب.الجيئة)

- ومثاله ما نجده في رسالة (لأبي محمد بن عبد البر) عن **المعتضد** يقول فيها: " والناس عندنا الى ما عندك ظماء ولدينا الداء وأنت الشفاء" (6) الطباق وقع بين (الداء.الشفاء)

- ومثاله ما ورد في رسالة (لابن زيدون) يقول فيها:" ولعمرك يا سيدي.ان ساحة العذر لتضيق عنك وما تكاد تتسع لك" (7)

الطباق وقع بين (تضيق.تتسع)

- وما جاء في رسالة (لأبي جعفر بن عباس) قوله:" ومن أعجب العجائب ما يتصل بنا عنكم على ألسنة العامة وكثير من الخاصة" (8) الطباق بين (العامة.الخاصة)

- والرسائل الأندلسية تزخر بهذا النوع من البديع.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م1 ص81
(2)المصدر نفسه ق3/م1 ص165
(3)المصدر نفسه.ق1/م1 ص398
(4)المصدر نفسه ق3/م1 ص81
(5)المصدر نفسه
(6)المصدر نفسه ق3/م1 ص104
(7)المصدر نفسه ق1/م1 ص417
(8)المصدر نفسه ق3/م1 ص 233

هــ المقابلة: ومثالها ما ورد في رسالة (لأبي المغيرة بن حزم) في الشكوى قوله: " وحالي حال للسقام بها اتصال وللصحة عنها انفصال يعين على ذلك ضعيف البنية" (1)

- فقد قابل الكاتب بين الجملتين (السقام بها اتصال) (والصحة عنها انفصال)

- ومن صور المقابلة ما ورد في رسالة (ابن طاهر) في الشفاعة حيث يقول:" يتوسل بي الى مكارمك في توميق حالته والرم لحوالته لما جفت غضارته وعوض فكد العيش من رغد النعمة وحول الى الضيق بعد السعة الى التجول من الدعة" (2)

- فالمقابلة جاءت بين الجملتين : (وعوض نكد العيش) و(من رغد النعمة)

- ومثاله ما ورد في رسالة (لأبي الفضل البغدادي) يقول فيها: " وكنت مررت ببلاد شموسي الفضائل في آفاقها مكسوفة وعيون العلم والآداب في عرصاتها مطروقة وستائر الأحرار بين أهلها مهتوكة مكشوفة وجنباتها بألوان البلاء محفوفة وقد نضبت في رباعها مياه الأمانة والأمان ونبعة أهلها عيون الخيانة والبهتان" (3)

فالمقابلة وقعت بين الجملتين (الأمانة والأمان) و(الخيانة والبهتان)

- وما ورد في رسالة (ابن طاهر) قوله:" يعز الدين بمكانه ويذل الشرك بسلطانه" (4)

- وفي رسالة لأبي عبد الله البزلياني يقول فيها:" وخصب البلاد . واعزاز الدين وإذلال القاسطين وتوهين المشركين" (5)

- ومثاله ما نجده في رسالة (لابن برد) جاء فيها :" وقد رأينا أن نظهر سيوفنا فيك ونعبر بالنظر في أمرك فمهدنا لك الترغيب لتأنس اليه وظللنا لك الترهيب لتفرق منه" فقد وقعت المقابلة بين الجملتين: (فمهدنا لك الترغيب لتأنس اليه) و (وظللنا لك الترهيب لتفرق منه)

- وفي الأخير يمكننا القول أن الرسائل الأندلسية في عهد ملوك الطوائف امتازت بسهولة الفاظها وحس اختيارها وبقصر الجمل وطولها في البعض الآخر واستخدام التشبيه وتجسيم المعاني باستخدام الاستعارة وبعد الخيال وتعميق المعنى عن طريق الطباق والمقابلة وايثار الموسيقى بالأسجاع والأجناس وتوظيف الروافد الدينية والأدبية من النص القرآني والأحاديث وتضمين الأمثال والأشعار فجاءت رسائلهم معبرة عن الذات الأندلسية واثبات قدرتهم في مجال الكتابة والترسل.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م1 ص154
(2)المصدر نفسه ق3/م1 ص83
(3)المصدر نفسه ق1/م1 ص153
(4)المصدر نفسه ق1/م2 ص648
(5)المصدر نفسه ق/م ص

II- المناظرات :

1- البناء الفني للمناظرات:

• **هيكل المناظرة:** أخذت المناظرات الأندلسية طريق الرسائل في بنائها الفني من مقدمة وانتقال إلى الموضوع ثم خاتمة.

أ-المقدمة: من المناظرات الأندلسية السيف والقلم (لابن برد) فقد افتتحها الكاتب بالحمدلة.حين قال:" أما بعد حمد الله بجميع محامده وآلائه والصلاة على خاتم أنبيائه"

-وفي مناظرة الوزير (أبو محمد علي بن حزم) في فضل الأندلس يبدأها بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها:" الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الأكرمين..."

- ومن المناظرات ما يبدأ بالسلام ومثالها ما جاء في مناظرة (غرسية) حيث يبدأها بقوله:" سلام عليك ذا الروى والمروى..."

- ومن المناظرات ما كانت بدايتها بالدعاء مثلما نجده في مناظرة (لأبي الوليد الحميري) إلى ابن هود على لسان البهار يبدأها بقوله:" أطال الله بقاء المقتدر بالله مولاي وسيدي..."

ب-الخاتمة: جاءت مناظرة الأندلسيين كرسائلهم فكان اهتمامهم بالخواتم قليلا فجل اهتمامهم جاء في المقدمات وفي صدر المناظرات والخواتم قد تأتي على شكل منظوم من الشعر مثل ما جاء في مناظرة ابن برد قوله:"

قد آن للسيف ألا يفصل القلما   منذ سخرا للفتى حاز العلى بهما

2- البناء اللغوي في المناظرات:

أ-المعجم اللغوي: من الواضح أن الكتاب الأندلسيين في تعاملهم مع اللغة يمثلون واقعهم المعاش ويتعاملون معها من حيث البيئة الطبيعة للبلاد والعصر الراهن لها وعلى هذا جاءت لغة المناظرات الأندلسية في عهد ملوك الطوائف مسايرة للواقع الاجتماعي والسياسي للبلاد فجاء المعجم اللغوي زاخرا بالألفاظ الموحية ويمكن تقسيمها إلى :

1-ألفاظ النزاع الفكري وحركة الشعوبية

2-ألفاظ دالة على الطبيعة

1- **ألفاظ النزاع الفكري والشعوبي**: ويمكننا إجمال هذه الألفاظ في : (العروبة-الاسلام-المسيحية-النصرانية-العرب-العجم-المعاداة-القومية-المذهبية-الصراع-المفاخرة-التاريخ-العتق-المعارضة-الرق-الانتماء-...)

-وفي هذا المجال بورد بعضا من فقرات مناظرة ابن حزم في فضل الأندلس ومناظرة ابن غرسية يفخر فيها بالعجم يقول ابن حزم في فضل الأندلس والعناية بها والاعتراف بفضلها والفخر بعلمائها وفقهائها:" أما في قسم الأقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا ومعق تمائمنا مع" سر من رأي" في إقليم واحد. فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا من المحسنين للأحكام...وألفت عندنا تأليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها...(1)

- ويقول (ابن غرسية) في مناظرته :" مجد-نجد-بهم لا عراة شويهات لا بهم شغلوا بالمآذي والمران على رعي البعران وبجلب العز على حلب المعز جبابرة قياصرة ذوو المعافر والدروع للتنفيس على روع المروع..." (2)

2- **ألفاظ دالة على الطبيعة:** عرف عن الكتاب الأندلسيين حبهم وشغفهم بطبيعة بلادهم الساحرة وبمناظرها الجميلة ورياضها الفاتنة بمختلف أنواع الورود والأزاهير من ورد ونرجس وبهار وبنفسج... وما إلى ذلك وقد اختلفوا في تفضيلهم لهذه الأنواع فجاءت مناظرتهم مرآة عاكسة لهذا الشغف بالطبيعة. ويمكن إجمال الألفاظ الدالة على الطبيعة وخاصة الورود في : (الأزاهير-الورد-البنفسج-النرجس-الاقحوان-الخيري-الآسي-البهار-النوار-الروض-البساتين-الشجر-النبات...)

- ولجوء الكتاب الأندلسيين إلى استنطاق الورود والأزهار ومحاولة المنافسة بينهم تعكس الحالة السياسية لملوك الطوائف وإظهار التنافس الشديد بينهم في مجال الحكم والسياسية

-ومن المناظرات العاكسة لهذه الأوضاع السياسية مناظرة (أبو الفضل بن حسداي) في تفضيل البهار ومناظرة (أبو حفص بن برد) في تفضيل الورد على سائر الأزهار وقد خاطب بها **ابن جمهور** . وما جـــاء في مناظرة(أبي الوليد بن إسماعيل بن محمد) دعا فيها إلى البهار وقد رمز به المعتضد . ومناظرة الوزير(أبو عمر بن الباجي) على لسان البهار وقد رمز به **لابن هود**

---

(1) المقري-نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب-تحقيق د/إحسان عباس-دار صادر-بيروت-م3 1998 ص160

(2) ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2 ص706

ب-التراكيب:

• **تراكيب جاهزة:** لقد تعددت الروافد التي استعان بها كتاب المناظرات في الأندلس منها الدينية والأدبية

1-الروافد الدينية:

- **القرآن الكريم**: ونلاحظ هذا النوع من الاقتباس في مناظرة **ابن برد** على لسان (السيف والقلم) حيث انه وظف آيات من الذكر الحكيم في فضل القلم منها قوله تعالى:" والقلم وما يسطرون" ◯ وقوله في سـورة العلق:" اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" ◯ فجل من مقسم وعز من قسم

- ومن الاقتباس القرآني ما نلاحظه كذلك في مناظرة (أبي الطيب عبد المنعم القروي) للآية الكريمة قوله تعالى:" أهم خير أم قوم تبع" ◯ وفي مناظـرة (لأبي جعفر بن الدروين) اقتبس مـن القرآن قولـه تعـالى: " مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" ◯

- هذا عن الاقتباس من النص القرآني بنصه ومعناه أما عن الاقتباس بالصيغة دون النص ما نجده في مناظرة عبد المنعم القروي حين يصف العجم في رده على مناظرة ابن غرسية الشعوبية فيقول:" ... وسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" (1) وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى:" فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه رحمة وظاهره من قبله العذاب" ◯

- ومن تضمين الأحاديث النبوية ما نجده في مناظرة (ابن حزم) في فضل الأندلس حين أشار إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مفاخرة البلدان (أنه صلى الله عليه وسلم نام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت له أمام ملحان ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة ... وأنه نام مرة أخرى وفعل كفعله الأول فلما قالت له أم ملحان أدع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين" (2)

◯ سورة القلم الآية 1
◯ سورة العلق الآية 3-5
◯ سورة الدخان 143
◯ سورة النساء 143
(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2 ص735
(2) صحيح مسلم-تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء الكتب العربية 1995 ج2 ص104
◯ سورة الحديد الآية 13

2-**الروافد الأدبية:**

•**الشعر**: سلك الكتاب الأندلسيون في تضمين مناظراتهم طريقتين:

1- تضمين مناظراتهم أشعارا من الموروث العربي على مر العهود

2- تضمين مناظراتهم أشعارا من نتاج الأندلسيين أنفسهم

- فمن المناظرات الأندلسية المتضمنة أشعارا من الموروث العربي مناظرة (ابن غرسية) في الشعوبية فقد تضمنت بيتا لأبي تمام يقول فيه:

مستسلمين إلى الحتوف كأنما   بين الحتوف وبينهم أزحام

- كما تضمنت بيتا (لأبي العلاء المعري) يقول فيه:

من الألى غير زجر الخيل ما عرفوا   إذ تعرف العرب زجر الشاء والعكر

- ومن ذلك ما نجده في مناظرة (لأبي جعفر بن الدروين) حيث ضمنها بيتا (للنابغة الذبياني) يقول فيه:

سكين من صدء الحـديد كأنهم   تحت السنـور جنة البقـار

- ومن أشعار الأندلسيين ما نجده في مناظرة (ابن برد) حين ختم بمنظوم من الشعر يقول فيه:

قد آن للسيف ألا يفصل القلما   منذ سخرا للفتى حاز العلى بهما

- ومثاله ما نجده في مناظرة (لأبي جعفر بن أحمد) على لسان القصرين(المبارك.المكرم) وهما من قصور المعتمد بن عباد حين أنشأ منظوما من الشعر على لسان القصر المبارك يقول فيه:

في كل شـارق الزوار تكنفنـي   وبعد حول يزار الركن والحجر

لو أن إيوان كسرى كان عاصرني   لكان لي دونه عـز ومفتخر (1)

- ومن المنظوم ما جاء على لسان القصر المكرم قوله:

ومن يك عبدا للمؤيد لا يزل   حميدا مساعيه سديدا سهامه

مليك إذا هم أمرا فإنمـا   ذريعتـه خطية وحسامـه (2)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م2ص 760

(2)المصدر السابق ق3/م2ص759

- ومن الملاحظ على هذه المناظرة أنها مزيج بين الشعر والنثر وهذه السمة شائعة في المناظرات الأندلسية

- ومن المنظوم ما جاء في مناظرة (ابن عباس) في الرد على **غرسية** قوله:

عذرتك يا أخا الذهن العليل فأنت أقل عندي مـــن قليل

وفت على التهاجي والتلاجي يعرض الواهن النكس الذليل

وكيف أسل غضبـــا ذا غرار علـــى من سل من غار سليل (1)

- وفي مناظرة (**ابن حسداي**) إشارة إلى قول المتنبي قوله: " فكم تمنى الأزهار أن تضام لديك مطالبي وتكدر في ذراك مشاربي فأزل عني حسدهم بكبتهم فقد شجاهم تقدمي قبل وقتهم" (2) وقول المتنبي هو:

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

- <u>الأمثال:</u> ومن اقتباس الأندلسيين للأمثال ما جاء في مناظرة ابن برد على لسان السيف والقلم حين يقول:" نعوذ بالله من الحور بعد الكور" و" استنت الفصال حتى القرعى" و" رب صلف تحت الراعدة" و" من ساء سمعا ساء إجابة"

- ومثاله ما نجده في مناظرة (لابن غرسيـــة) يقول فيها:" إذا بزق خمر باع الكعبة أبو غبشانكم" اقتبسه مـــن المثل القائل: (أحمق من أبي غبشان) و(ابن غرسية) في توظيفه لهذا المثل يثير به معايب العرب وينقص من قيمتهم ويظهر حمقهم وشغفهم باللهو والخمر.

وقوله:" وان الذي بينكم وبين الهلكة من إبهام الحيارى" يشير إلى المثل القائل: " أقصر من إبهام الحبارى"

- ومن الأمثال ما جاء في مناظرة (لابن برد) بين السيف والقلم حين قال على لسان السيف : " جعجعة رجى لا يتبعها طحن" وهذا إشارة إلى المثل القائل :" أسمع جعجعة ولا أرى طحنا"

- ومن قبيل الحكم ما ورد في مناظرة (ابن برد) على لسان السيف والقلم (الحق أبلج والباطل لجلج) و(خير الأقوال الحق وأحمد السجايا الصدق) و(قيمة كل امرئ ما يحسنه)...

---

(1) ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م2ص754

(2) المصدر السابق ق3/م1ص473

•**الجمل المعترضة :** من الملاحظ على مناظرات الأندلسيين من ناحية التراكيب ورود الجمل المعترضة فمن ذلك ما ورد في مناظرة ابن برد في تفضيل الورد حيث يقول البنفسج:" وأنا-والله-المتعبد له والداعي إليه والمشغوف به..."

- وما جاء في مناظرة (لأبي الفضل بن حسداي) إلى المقتدر بن هود على لسان النرجس يقول فيها:" أنا-وصل الله بهجة اعتلاءك ونظر أوطانك-إذا لحظتني بعين الاعتبار قائد النوار ووافد الأزهار" (1)
- ومثاله ما جاء في مناظرة (ابن حزم) قوله:" أما بعد يا أخي-أبا بكر-سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ" (2) وقوله:" فاها-أي الأندلس-خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر" و:" وبلدنا هذا-على بعده في ينبوع العلم وتأيه من محلة العلماء-فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس" (3)
- كما وردت الجمل المعترضة في مناظرة (أحمد الداني) بين القصرين حيث يقول:" وأصبحت-والله يتم سناءك وينمي بهاءك-بهذه الطبائع" و" وتشرفنا به من ولاء المملكة المعتمدية-عقد الله أسبابها-ومد علينا أطنابها- وحقا أقول أيها القصر المكرم" (4)

•**الخبر والإنشاء**:

أ-الخبر: لقد تنوعت أساليب المناظرات بين الخبر والإنشاء فإذا جئنا إلى مناظرة (ابن حزم) نجده يستند إلى الأسلوب الخبري في الفخر ببلاده و بفقهائها وعلمائها . و إحصاء مجموع ما ألفوه في شتى المجالات فيقول:" فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب وقد مات-رحمنا الله وإياه- فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى.أما في قسم الأقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا ومعق تمائمنا مع "سر من رأى" في قسم واحد... فكان أهلها من التمكن في العلو والشعر واللغة والخبر و الطب والحساب...وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب **الهداية لعيسى بن دينار** في تفسير القرآن . كتاب أبي (عبد الرحمن بقي بن مخلد) فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مذهب مالك..." (5)

- ويأخذ ابن حزم في سرد عدد كبير من الفقهاء والعلماء وذكر الكتب التي ألفوها بأسلوب خبري.

---

(1)المصدر السابق ق3/م1ص 470
(2)نفح الطيب.مصدر سابق م3 ص160
(3)المصدر نفسه م3 ص167
(4)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق3/م2 ص759-762
(5)نفح الطيب.مصدر سابق م3 ص160

• **الإنشاء:** لقد امتزجت في المناظرات الأندلسية أساليب الخبر والإنشاء فجاءت في قالب سردي تقريري كما وردت في بعض الأحيان في قالب استفهامي أو تعجبي...

- ومثاله ما نجده في مناظرة (ابن برد) على لسان السيف والقلم فقال على لسان القلم:" ها.الله أكبر! أيها المسائل بدءا يعقل لسانك ويحير جناحك. وبديهة تملأ سمعك... فما تراني وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره وجلت بين قلب الإنسان وخاطره؟ لقد أخذت الفضل برمته" ثم يقول على لسان السيف:" يا الله! استنت الفصال حتى القرعى" ثم يرد على لسان القلم:" من ساء سمعا ساء إجابة... وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه؟ أم يبتهج الاغريض حتى يشذب سعفه. أم يتلألأ الصبح حتى تتجلى سدفه" (1)

- ومن الأساليب الإنشائية ما نجده في مناظرة (ابن حزم) في قوله:" ... إن أجاد قالوا:سارق صغير ومنتحل مدع.وان توسط قالوا : غث بارد وضعيف ساقط. وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا:متى كان هذا؟ ومتى تعلم؟وفي أي زمان قرأ؟ولأمه الهبل! (2)

- وفي قول(ابن برد) على لسان السيف :" أمستعرب والفلس ثمنك ومستجلب وكل بقعة وطنك؟" (3) والغرض من الاستفهام التحقير والإنكار.

- كما جاء الأمر بغرض المباهاة والفخر وتعظيم الشأن يقول على لسان السيف:" فهب من نومك. وأفطر من صومك وتحكم بطرف نظار في جسم ماء وحلة نار" (4)

- ومن النداء ما جاء في مناظرة (ابن برد) في تفضيل الورد قوله:" فقام منها قائمها فقال: يا معشر الشجر وعامة الزهر ان الله تعالى اللطيف الخبير" (5)

- ومن النهي ما جاء في مناظرة (ابن حسداي) وغرضه الرجاء واستعطاف الملك ابن هود حيث يقول:" فلا تضع أيها الملك سبق تقدمي وحق مقدمي فقد أشخصت طرفي إليك آملا وبسطت نحوك كفي سائلا" (6)

- الإطناب والإيجاز: يقوم أسلوب المناظرات الأندلسية في معظمها على الأطناب والإيجاز والتوسع في إيراد الألفاظ وبسط المعاني وكثرة المترادفات والتكرار وإخراج المعنى الواحد في عدة حلل. ومثاله ما نجده في مناظرة السيف والقلم لابن برد من خلال عرض كل من السيف والقلم مفاخره والإشادة بمحاسنه ومقارعة الطـرف الآخر والانتقاص مـن شأنه يقول القلم:" نعوذ بالله من الحور بعد الكور وقبحا للتحلي بالجور والخيانة تسود ما بيض الصفاء وتكدر ما أخلص الإخاء وتؤكد أسباب الفتن وتضرب بقداح الفتن الحق أبلج والباطل لجلج وان تأبى النصفة فإنها في قدحها لمأمونة الطائر محمودة الباطن والظاهر أحكم فأعدل وأشهد فأقبل ترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل, اعد فأفي وأستكفي

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص528
(2)نفح الطيب.مصدر سابق م3 ص156
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م1 ص528
(4)المصدر نفسه ق1/م1 ص528
(5)المصدر نفسه ق2/م1 ص127
(6)المصدر نفسه ق3/م1 ص473

فأكفي أحلب العز من ضروعه وأجتني الندى من فروعه وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول وجواد شأوه يدرك الأمل شفيع كل ملك إلى مطالبه ووسيلته إلى مكاسبه وشاهد نجواه قبل كل شاهد..." (1)
- والمناظرات الأندلسية يمتزج فيها الإيجاز والإطناب وعليه فأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء والإيجاز للخواص والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة (2)

- السرد والحوار: لقد غلب الحوار على مناظرات الأندلسيين ويعد هذا الأخير ركنا من أركان الأسلوب وأساس في رسم الشخصيات لذلك كان من أهم الطرق الفنية التي يتوخاها الكاتب في تحريك الشخصيات المتحاورة واستنطاقها فهو يخفف من رتابة السرد الطويل وإطفاء الحيوية وبعث الحياة في تلك المناظرات ويساعد في بناء الأحداث وهذا ما نلحظه في مناظرة (ابن برد) على لسان السيف والقلم حيث استعان الكاتب بالحوار على نطاق واسع. كالذي دار بين السيف والقلم اعتمادا على صيغتي قال ويقول: فمن ذلك يقول على لسان القلم:" ها.الله أكبر! أيها المسائل بدءا يعقل لسانك ويحير جناحك..." فيرد السيف فيلهج بمناقبه

فيقول السيف مخاطبا القلم:" عدنا من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة" وترتفع لهجة الحوار وتزداد حدة وها هو القلم يكشف عن ضيقه وتبرمه وغضبه ويرمي السيف بالجور والخيانة يقول:" نعوذ بالله من الحور بعد الكور.." فقال السيف:" يا الله!استنت الفصال حتى القرعى..." فقال القلم:" من ساء سمعا ساء إجابة.." فقال السيف:" جعجعة رحى لا يتبعها طحن وجلجلة..." فقال القلم:" إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا..." (3)

- وما جاء في المناظرة التي أقامها **ابن برد** بين الأزهار والرياحين وفضل الورد على سائره وخاطب بها **ابن جهور**

- ومناظرة **أبو الوليد إسماعيل بن محمد** في تفضيله للبهار وقد خاطب بها **المعتضد بن عباد**
- ومناظرة الوزير الكاتب **أبو عمر بن الباجي** على لسان البهار وقد خاطب بها **ابن هود** وهو في مناظرته تلك يخالف من سبقه حيث أنه رمز لنفسه بالبهار وغايته التقرب من الملك وهنا تظهر شخصية السارد وذلك باستعمال الضمير أنا فيقول:" أطال الله بقاء المقتدر مولاي وسيدي ومعلى حالي ومقيم أوذي وأعادني من خيبة العناء وعصمني معه... أنها تحية الزهر حياك بها وخبيئة ذخرها لك وأهلك لها.وقد أتيت في أوافي وحصرت رعاب أقراني وأنا عبد مطيع مسخر مملوك يتصرف مدبر حقيق أن يحسن إلي فأدني...أني سابق حبلة النوار وأول طلائع الأزهار وأنا ناظر الفضل وعينه" (4)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م1 ص527
(2)أبو هلال العسكر.كتاب الصناعتين-تحقيق محمد قميحة-الدار العالمية بيروت-ط1 1981 ص190
(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1 ص
(4)المصدر نفسه ق2/م1 ص759

- وقد يرد السرد بضمير المتكلم نحن ونجد هذا في مناظرة القصرين المبارك والمكرم يقول الكاتب على لسان القصر المبارك:" نحن أيها المحل السعيد والقصر القديم الجديد..." **(1)**

- ومثاله ما جاء في مناظرة السيف والقلم من استعمال ضمير المتكلم:" وقد عطفت علينا الأعين وثنت ألينا الأنفس وزهت بمحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الأحبة ووصلنا أسباب القلوب وتحملنا لطائــف الرسائــل" **(2)**

- ويمكننا التمييز بين نوعين من الرواة : راو متخفيا وراء الشخصيات لا يكشف عن هويته يجعل الشخصيات تتفاعل فيما بينها أثناء العمل السردي وراو يكون على الحياد والتحفظ ويحاول وضع حل وسط يعطي لكل طرف حقه ومثاله ما جاء في المناظرة التي أقامها ابن برد على لسان السيف والقلم فبعد أن أبدى كل طرف مباهاته وافتخاره وبالمقابل محاولة الانتقاص من قيمة الخصم والحط من شأنه والإعراب عن سخطه وغضبه يأتي الكاتب السارد في النهاية إلى محاولة العدل بينهما والإشادة بفضائلهما وأهميتهما في الحياة الاجتماعية والسياسية وهو بذلك يدعو إلى تحقيق المساواة بين الأدباء أصحاب القلم وهم النخبة المثقفة ويمثلهم الكاتب وبين الجند أصحاب القوة والسيف حيث يقول:

قد آن للسيف ألا يفصل القلما   منذ سخرا لفتى حاز العلى بهما

وفي مناظرة (الداني) على لسان القصر (المكرم والمبارك) نجد غيابا كلي للسارد فقد جرى الحوار بين القصرين وتفاعلت الأحداث دون أي تدخل من الراوي بل توارت شخصية وراء شخصية القصرين

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م2 ص759
(2)المصدر نفسه ق2/م1 ص128

3- **النظام البلاغي في المناظرات**:

أ-الصورة في المناظرات: أخذت المناظرات الأندلسية طريق الرسائل في الإكثار من الزخرف اللفظي والتنميق والجنوح إلى الخيال والمغالاة في استخدام التشبيهات والاستعارات والابتعاد عن لغة الواقع إلى لغة الخيال. وتوظيف صور البيئة الأندلسية في كتاباتهم ومحاولة استنطاق بساتينها وورودها وعمرانها ومبانيها وجعلوها تتحاور وتتفاخر فيما بينها مجسدة شخصية أحد ملوك الطوائف (ابن جهور-ابن هود-ابن عباد) فجاءت تلك المناظرات مرآة عاكسة لما يجري في عهد ملوك الطوائف من تنافس شديد على الحكم فاعتمد الكتاب في بناء خيالهم على صور التشبيه والاستعارة والكناية وطباق ومقابلة وغيرها.

- فمن صور التشبيه ما جاء في مناظرة (**ابن برد**) على لسان السيف والقلم يقول على لسان القلم:" فان كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا" (1) فقد شبه السيف بالريح وشبه نفسه أي القلم بالإعصار وهو على سبيل التشبيه البليغ

وقوله:" وان السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان إلى القصد وطريقين يسرعان نهج الشرق لمن تقرى إليه... ووسيلتين يرشفان العلى فم عاشقها... وشفيعين لا يؤخر تشفيعها" (2)

- ومن التشبيه في مناظرة (**ابن برد**) في تفضيله للورد على سائر الأزهار فيقول:" وهو الورد الذي إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا ولم نسبح في بحر عمانا... وهو كالياقوت المنضد في أطباق الزبرجد" (3)

- وقوله في مناظرة السيف والقلم على لسن السيف :" أكرع يوم الوغى في لبة البطل فأعود كالخد كسى صبغ الخجل كأنما اشتملت بالشقيق أو شربت ما العتيق" ويقول كذلك:" قد خط الفرند في صفحتي أمثال صغار الخيلان في البيض في صفحات الحسان" (4)

- كما جنح الكتاب الأندلسيون في مناظراتهم إلى أسلوب التصوير ومثاله ما جاء في مناظرة السيف والقلم يقول (ابن برد) في صورة القلم:" قضيب عاج ولسان سراج وقدح ورق جلل بالعقبان وحلة نرجس وفق جسم أقحوان لليل في فوده لطخ وللمسك في صدغيه نضج أنجلي عن المهارق الجلاء الغمام عن الحدائق وأرقم من منمنم يختال بين مسهم ومعضد فوق مسرد" (5)

- كما صورت مناظرات الأندلسيين ظاهرة المجالس التي كانت تعقد في قصور الملوك وبلاطاتهم ويظهر هذا من خلال المناظرات التي أقيمت على ألسنة الأزهار من اجتماع الأزهار وانتخاب قائدهم وجعله حاكمهم ومبايعته ومن هذا القبيل مناظرة (ابن برد الأصغر) في تفضيله للورد على الأزهار الأخرى ومن صور التشبيه ما جاء في مناظرة (ابن غرسية) في مفاخرته بالعجم حيث يقول:" بصر-صبر-تزان بهم المحافل الحجافل كواكب المراكب قيول على خيول كأنهم فيول" (6)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م1 ص526
(2)المصدر نفسه ق1/م1 ص523
(3)المصدر نفسه ق1/م1 ص469
(4)المصدر نفسه ق1/م1 ص526-527
(5)المصدر نفسه ق1/م1 ص526
(6)المصدر نفسه ق3/م2 ص708

- وقد تجلى التشبيه كذلك في المناظرة التي دارت بين القصرين (المبارك والمكرم) حيث يقول الكاتب في وصفه للقصر المبارك:" ... فمن ورد كتوريد الخدود ونرجس كمقل الغيد وسوسن كأنه راحة فنت البان... وخيري كأنما استعار شكله العيون" (1)

- ومن الاستعارة ما نجده في مناظرة السيف والقلم يقول الكاتب على لسان القلم :" أحلب الغنى من ضروعه وأجتني الندى من ضلوعه وهي على سبيل الاستعارة المكنية حيث حذف المشبه به وهو البقرة أو الشاة وأبقى على أحد لوازمه وهي الضروع والحلب.

- وما جاء في مناظرة (أبي جعفر بن أحمد الداني) بين القصرين حيث يقول على لسان القصر المبارك:" وان الخجل منك ليكسوني أثوابا والمعرفة بحقك تقتضي اعترافا لك واستعتابا" (2) فالكاتب شبه الخجل بشيء مادي حذفه وأبقى على أحد لوازمه وهو فعل الكسو

- وفي مناظرة السيف والقلم يقول ابن برد:" وحين كشف الجدال قناعه ومد الخصام ذراعه وهز الإباء من عطفه وأشم الأنف من أنفه..." (3)

وقوله :" يشق مني الدجى بمصباح أفصح والبطل قد خرس وابتسم والأجل قد عبس..." (4)

- وفي مناظرة (ابن برد) في تفضيله للورد يقول على لسان النرجس الأصفر:" والذي مهد لي حجر الثرى وأرضعني ثدي الحيا..." (5) وقوله:" وهو الورد الذي إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا ولم نسبح في بحر عمانا" (6)

ومن الكناية ما نجده في مناظرة لبن برد في تفضيل الورد قوله:" وهو الأحمر والأحمر لون الدم. والدم صديق الروح" (7) كناية عن الصراع وقانون القوة السائد في عهد ملوك الطوائف وما شهده من تناحر سياسي

-وقول (أبو جعفر بن أحمد الداني) على لسان القصر المكرم:" ولقد أثقل ظهري وأعيا ناهض حمدي وشكري..." (8) كناية عن اشتداد الحمل وثقل المسؤولية

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق3/م2 ص761

(2)المصدر نفسه ق3/م2 ص761

(3)المصدر السابق ق1/م1 ص524

(4)المصدر نفسه ق1/م1 ص524

(5)المصدر نفسه ق2/م1 ص128

(6)المصدر نفسه ق2/م1 ص128

(7)المصدر نفسه ق2/م1 ص128

(8)المصدر نفسه ق3/م2 ص765

4- النظام الموسيقي في المناظرات:

- لقد حفلت مناظرات الأندلسيين بالسجع وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد وقد عبر (عبد الغفور الكلاعي) عنه بقوله:" والذي عندي في هذا النثر والنظم أخوان فكما لا يقدح في النظم تكلف الوزن والقافية كذلك لا يقدح في النثر تكلف السجع" (1)

- و من صور السجع ما نجده في مناظرة ابن برد في تفضيله للورد حيث يقول:" يا معشر الشجر وعامة الزهر ان الله تعالى اللطيف الخبير الذي خلق المخلوقات وذرا البريات وباين بين أشكالها وصفاتها وباعد بين منحها وأعطياتها... فجعل لكل واحد منها جمالا في صورته ورقة في محاسنه واعتدالا في قده وعبقا في شيمه ومائية في ديباجته" (2)

- ومن السجع ما جاء خفيف النبرات سريع الحركات في تعابير قصيرة ومثاله قول(لبن برد) في مناظرته بين السيف والقلم:" وجه لئيم وجسم سقيم وغرب يفل ودم يهطل ودموع سجام كأنهن سخام" وقوله:" لم فأعدل وأشهد فأقبل.وأعد فأفي.وأستكفي فأكفي" (3)

- ومثاله ما ورد في مناظرة (ابن حزم) قوله:" صورة الأدب باهرة المرأى والحيان شاهدة لك بأذلق لسان وأصدق بيان وأنك أبو عذرتها ومالك جملتها وواحد فنونها ووارد معينها وقادمة جناحها. وصبا رياحها" (4)

- ومن أمثلة الازدواج ما جاء في مناظرة **السيف والقلم** قول ابن برد :" فان التسابق من جوادين سبقا في حلبه وقضبين سبقا في تربة والتحاسد من نجمين أنارا في أفق وسهمين صارا على نسق والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كمامة وبارقتين توضحتا من غمامة" (5)

- وما ورد في مناظرة (ابن برد) في تفضيله للورد قوله :" والأسف على تعاقب الموت دون لقائه وما انحل جسمي ومكن سقمي وإذ قد أمكن البوح بالشكوى فقد خف ثقل البلوى" (6)

- ومثاله ما جاء في مناظرة (ابن حسداي) في تفضيله للنرجس فيقول:" يا أيها الزهر الفارد والنوار الشارد الساحر.بحدقه وأجفانه. الناظر بورقه وأغصانه. الباهر بورقه وعقيانه مالي أرى قضبك غبرا ذابلة ومنابتك شعفاء ناحلة" (7)

---

(1) ابن عبد العزيز الكلاعي-أحكام صنعة الكلام-تحقيق محمد رضوان الداية-عالم الكتب-بيروت 1985 ص328
(2)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1 ص127
(3)المصدر نفسه ق1/م1 ص136
(5)المصدر نفسه ق1/م1 ص523
(6)المصدر نفسه ق2/م1 ص128
(7)المصدر نفسه ق2/م1 ص471

- الجناس: وقد حفل أسلوب المناظرات الأندلسية بالصنعة البديعية وسيما الجناس ومن صوره ما ورد في مناظرة ابن برد بين السيف والقلم حيث يقول على لسان السيف : " فتكللني المرجان وتنعلنـــي العقبان وتلحقني بخلل كحلـل وحمائل كخمــائل" **(1)** وهو على سبيل الجناس الغير تام.

- ومن الجناس ما نجده في مناظرة (ابن حزم) في فضل الأندلس يقول فيها:" وما زلت أتنسم ذكرك. فأترسم قدرك وأسمع خبرك فأرى خبرك" **(2)** وهو على سبيل الجناس الغير تام

- وفي مناظرة (ابن برد) يقول فيها:" إن الملوك لتتوارثني على النسب ولتغالي في على الحسب" **(3)**

وقوله:" والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كمامة وبارقتين توضحتا من غمامة" **(4)**

وقول (ابن برد) في تفضيله للورد على سائــــر الأزهار: " لا تنظرن إلى غضارة منبتي.ونضـــارة ورقي ورقتي" **(5)** وهو على سبيل الجناس الغير تام

- وفي مناظرة القصرين **المبارك والمكرم** يقول **الداني** :" فناهيك بمن أسعدته قريحة وعضدته لوذعية صريحة وإياك أعني أيها النشأة المباركية... أشجار نمت لحينها وتفتقت أثناء رياحينها نقلت من ري إلى ري فتجلت في أحسن زي" **(6)** وهو جناس غير تام.

- الطباق: ويشيع استخدام الأندلسيين لهذا البديع ومن أمثلة الطباق ما نجده في مناظرة (ابن برد) في تفضيله للورد قوله :" فجعل عبدا وملكا وخلق قبيحا وحسنا" **(7)**

- وقول (ابن حسداي) في مناظرته بين القصرين:" وشرف السيد على المسود" **(8)** الطباق بين السيد- المسود

- ومثاله ما جاء في مناظرة (ابن برد) على لسان السيف والقلم قوله:" لا أسر ولكن أعلن" وقوله:" أفصح والبطل قد خرس وابتسم والأجل قد عبس" وقوله:" الخيانة تسود ما بيض الصفاء وتكدر ما أخلــص الإخاء" و" إن ماء السائل لجامد وان جرمك الملتهب لبارد" **(9)**

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م1 ص525
(2)المصدر نفسه ق1/م1 ص137
(3)المصدر نفسه ق1/م1 ص525
(4)المصدر نفسه ق1/م1 ص523
(5)المصدر السابق ق/م
(6)المصدر نفسه /م
(7)المصدر نفسه ق/م
(8)المصدر نفسه ق/م
(9)المصدر نفسه ق/م

- وفي قول (أبي الوليد) في مناظرته:" وعرفت الورد بما عليه فيما ينسب إليه وما استحقاقه مالا يستحقه واستئهاله ملا يستأهله" (1)

- ومن الطباق ما ورد في مناظرة (ابن حزم) قوله:".....أن يسلم من المتآلف وينجو من المخالف..." (2)

- المقابلة: ومن صور المقابلة ما نجده في مناظرة (ابن هود) على لسان البهار حيث يقول:" وقديما أكرمني مولاي فلا يهني ووصلني فلا يصرمني ومنحني فلا يحرمني" (3)

- وفي المقابلة ما جاءت في مناظرة (ابن غرسية) الشعوبية قوله:" هم القياصرة والأكاسرة مجد نجد بهم لا رعاة شويهات ولا بهم شغلوا بالمادي والمران عن رعي البعران. وبجلب العز على حلب المعز" (4)

- ومن الملاحظ على مناظرات الأندلسيين قلة ورود المقابلات بالمقارنة بالكثرة الملحوظة على الجناس والطباق والسجع .

---

(1)المصدر نفسه ق

(2)المقرى-نفح الطيب-مصدر سابق. ق3 ص166

(3)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق2/م1 ص195

(4)المصدر نفسه ق3/م2 ص706

III- المقامات

1- البناء الفني للمقامات:

-الطابع القصصي

أ- السرد: يمكن اعتباره من الأركان الأساسية في القص وقد يقوم الكاتب بدور الراوي أو القاص كقول:" ابن الشهيد" في مقامته:" وملنا إلى منزل بدوي ذي هيئة وزي..." (1)

وقوله : " إذ نظرنا إلى أطراد صفوف من أعطاف خنثة..." (2)

وقوله كذلك :" وما زلت أروى هناك بالرائب والميس..." (3)

- ومثاله ما جاء في مقامة (ابن مالك) قوله:" بشرى لنا ولدولته الغراء وهنيئا لنا وحضرته الزهراء... فلته يومنا بالمس ما أحلبه لألطاف الأنس من طلع علينا من كان دلفنا إليه كالقطا... فخلت الأرض تميل ميلا..ز فكادت الدنيا بنا تميد... حتى لاح لنا من ملك الأملاك... جعلت أتأمل ضراغيم... فما رأيت جفنه قد انطوى... فكررت الطرف... خلتها سفنا تحمل شراعا... لم أكن ممن غره السراب ... ولا كنت كمن زجر... فانتقيت الجار قبل المنزل. وبوأت رحلي وارتعيت... أنساني الله رشدي يوم أنساه... وما رأيت وجها أسمح... وإني وإن أطنبت فأطيبت وأسهبت فأعذبت" (4)

- وما جاء في مقامة ابن فتوح قوله:" كنت ليلة في رمضان أطوف بالمسجد... فسلم علي سلاما ارتاحت له نفسي... فرددت عليه... ثم ولى عني وقد غرس في كبدي... فبت الليلة... حتى رأيت غرة الفجر... فخلته بحرا... وأذنت له... فرحبت به وقمت إليه وأقبلت عليه" (5)

- وقد يتحول السرد من المتكلم السارد أو الكاتب إلى الغائب كما جاء في مقامة ابن الشهيد قوله:" فهش وبش وكنس منزلة ورش وصير عياله ناحية" (6)

وقوله:" ثم قام من مكانه ودعا بصبيانه وأعزاهم بديك له هرم ليذبحه..." (7)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص676
(2)المصدر نفسه ق1/م2 ص682
(3)المصدر نفسه ق1/م2 ص 683
(4)المصدر نفسه ق1/م2ص 741-752
(5)المصدر نفسه ق1/م2ص786-787
(6)المصدر نفسه ق1/م2 ص677
(7)المصدر نفسه ق1/م2 ص678

ب- الحوار: وقد أعتمده الأندلسيون في مقاماتهم للتخفيف من رتابة السرد الطويل فجاء الحوار معتمدا على صيغ مختلفة ففي مقامة ابن الشهيد نرى الحوار الذي دار بينه وبين البدوي عند مازن البدوي ورتب منزله فأثار هذا فضول الكاتب فتسال قائلا:" يا صاحب المنزل هنيت وهنئت... من أين للبداوة بهذا الرونق والطلاوة؟ " فرد البدوي وهو يقول:" يا أخي نحن على أننا نتاج بدوي سادة ناس لنا في هذه الدنيا دوي عندنا إن جاء ضيف شبع حـــم وري" (1)

- وكذلك الحوار الذي دار بين الكاتب والفتى الفار من الحصن: " قلنا ما لك لا أبا لك؟ فقـــال: منفلت من السجن..." (2)

- أما عن مقامة ابن فتوح فنجد حوارا جرى بين الكاتب والفتى الذي لقيه وهو في طريقه إلى الجامع:" فقال لي: بحرمة الأدب ما أعدت علي البيت... فقال: الشعر< لك؟ قلت:أجل> ثم قال لي: إنما أخذته من قول العباس بن الأحنف" (3)

- وفي حوار آخر لهما الفتى يسأل والكاتب يجيب:" فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرعك ووقوفك على شعراء عصرك؟ فقلت: خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظا...قلت.... أبو حفص بن برد. قال: من أقراهم استعارات...؟ قلت:...أبو عامر بن شهيد..." (4)

ج- المشاهد الوصفية: لقد تعددت المشاهد وتعددت الأمكنة التي جرت فيها أحداث المقامة. ففي مقامة ابن الشهيد تنوعت الأمكنة وتعددت تبعا لها المشاهد الوصفية. في البداية نجد الكاتب يقدم وصفا رائعا للطبيعة قوله:" وأخذ آذار على ما اعتاد فحلى الوهاد والنجاد وخلع على ظهور المروج ضروب الدبابيج وأثقل صدور الأشجار بحلي النوار وأطبى نفوس الأطيار بنضار الأثمار . فبعثت أشجانها تـــرجع ألحانـــــها..." (5) (بيد أن المهارة الحقيقية للكاتب إنما تظهر في تلك اللوحات الوصفية الرائعة التي كان يطيل في رسمها ويحشد لها من الأصباغ والألوان ويرتـب فيهـا مـن مواقع الضياء والطـلال مـا يجعلها فعـــلا قطعـا نادرة مـن المنمنمات النفيسة) (6)

- كما نجد وصفا آخر لمواكب الكاتب أثناء رحلته حين يقف في مكان للاستراحة فيه عين يصفها بقوله:" حتى أشرفنا على عين كالدينار كأنما هندست بالبركار ذات ماء ريان من الشب والخصر وحصباء كالأسنان ذوات الأشر وقد حف بها النبات حفيف الشارب بفم الأمرد: وتزينت بخضرة كالمرآة الصقيلة طوقت الزبرجد" (7)

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م2 ص678
(2)المصدر نفسه ق1/م2 ص658
(3)المصدر نفسه ق1/م2 ص786
(4)المصدر نفسه ق1/م2 ص786
(5)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق.ق1/م2 ص681
(6)المصدر السابق ق1/م2 ص786
(7)علي بن محمد- النثر الأدبي الأندلسي- مرجع سابق ج2 ص572

- كما وصف الكاتب منزل البدوي بقوله:" ... إلى بيت مكنس منوع مجنس.قد جلله حصرا بلدية.وغشاء بسطا بدوية ومد فيه شرائط وحبال... وعلق منها غلائل وملاءات وهمايين وسراويل وكم شئت من خرق معصفرة. وعصائب مزعفرة... وقد اتخذ في الحائط كوة وثانية وملأها حقاقا وآنية وأودعها من عتاد العروس فاخـــره..." (1)

- ويخلص الكاتب إلى وصفه لكنيسة مهدمة فيقول:" وسرنا حتى رفع لنا في طريقنا جدر فإذا كنيسة عارية الأطلال من الجمال إلا تعلية المتوسم. للتخيل والتوهم كالثوب الكريم أخلقه ابتذاله. أو كخد الأمرد تغشاه سباله. فهيج ذكرا..." (2)

- ومن المشاهد الوصفية ما جاءت في مقامة (ابن مالك) حيث يقول في وصف يوم المعركة:" لا تسمع إلا همهمة وصهيلا وقعقعة وصليلا فخلت الأرض تميل ميلا والجبال تكون كثيبا مبهلا... ودرداب طبول أزئير ليوث بأجام أم قعقعة رعد في ازدحام غمام؟..." (3)

<u>د- الطابع الخيالي</u>: وقد ميز مقامة (ابن الشهيد) في وصفه للديك أثناء انفلاته من قبضة الصغار وراح يتألق في الأفق واقفا موقف الخطيب وقت الظهيرة وصفق بجناحيه بعد أن قضيت صلاة الظهر مذكرا إياهم بفضائله فيقول : " أيها السادة الملــوك فيكم الشاب متع الشباب والأشيب نور شيبه مع الكواعب... أو قضيتم بالأسحــار ..." (4) ثم انهمرت دموعه وأغمي عليه.

- وعليه يمكن أن نستخلص أهم السمات العامة التي اتسمت بها كتابات الأندلسيين في هذا العصر

- بسهولة الألفاظ في أغلبها وحسن اختيارها قصر الجمل. استخدام التشبيه وتوظيف السجع والجناس وتجسيم المعاني عن طريق الاستعارة والأشعار والأمثال والحكم والإشارات التاريخية...

- كما استطاع الأندلسيون أن يخرجوا عن حدود المألوف في كتابات المشارقة وهذا في مقاماتهم فقد اختفت منها الكدية أو الشحاذة. وأصبح الكاتب بكل مقامته واقتربت المقامة من فن الرحلة في تصويرها لرحلات الكاتب ومغامراته ووصف المشاهد وتسجيل الملاحظات.

---

(1)ابن بسام. الذخيرة.مصدر سابق ق1/م2 ص677
(2)المصدر نفسه ق1/م2 ص682
(3) المصدر نفسه ق1/م2 ص742
(4)المصدر نفسه ق1/م2 ص679

- اتخذ الأندلسيون من رسائلهم ومقاماتهم ومناظراتهم عرضا ليصبوا فيه بديع نثرهم. وقد حوى هذا الأخير مشاعرهم وأخبارهم وما جال في خواطرهم. فعبروا من خلاله عن واقعهم المرير.الذي يعد حلقة من حلقات تاريخ الأندلس الغابر.وفي المقابل استطاع النثر أن يعكس الجانب الآخر من جمال الأندلس ومدى حب الأندلسيين لطبيعة بلادهم الطبيعية والمادية وشغفهم بها.وتجلى هذا بشكل كبير في مناظراتهم بين الأزهار والمباني فجاءت زاخرة بالأساليب البديعية.حافلة بأسمى المعاني الجميلة.

- فكان الأدب النثري خير شاهد على إبداع كتاب ذلك العصر.